

ظواهر الحرب

٧٥

الرسالة القشيرية

للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري

تحقيق

الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود

الدكتور محمود بن الشريف

الجزء الأول

الطبعة الثانية



تصميم الغلاف: محمد عطية

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل مخلوق وخير
مبعوث ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

[سورة الكهف : ١٠]

obeikandi.com

تتميم

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَالْعَصْرُ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

إن معالم الإيمان ، وسمات التدين ، والفكرة الصحيحة عن الهدف الذى من أجله خلق الإنسان ، والمنطق السليم فى الصلة بين الله والعالم .. إن كل ذلك يكاد - فى العصر الحاضر - يندرس ويتلاشى .

وأنه لمن المؤكد ، أن الأغلبية العظمى من الناس الآن يسرون فى الحياة دون شعور واضح برسالة السماء ، وتوجيهها ، وهداياها !! وإنهم بذلك لفى خسر ، وإنهم بذلك لمن الأشقياء ومع أن رسالة السماء ، لا تعقيد فيها ، ومع أن هدى الله سهل واضح ؛ فإن الإنسان يحاول - منذ أن كانت الرسالة الإلهية - أن ينشق عليها ، وأن يقف منها موقف المتمرد .

هذه الرسالة ، يمكن تلخيصها فى كلمة : « الإسلام » وليس هناك من تعبير أدق ، ولا أجل من هذا التعبير ، إنه دقيق فى معناه ، جميل فى جرسه .

ورسالة الله إلى الإنسان : هى أن يُلقى الإنسان بقياده إلى خالقه ، هى أن يسلم الإنسان نفسه لربه . والمسلم من أسلم لله أمره ، إنه الذى يعتنق مبدأ السلام مع الله فإذا ما اعتنق مبدأ السلام مع الله ، كان قلبه سلاماً بالنسبة إلى نفسه : أى هدوءاً واطمئناناً ، و سلاماً بالنسبة إلى الله : أى رضا وغبطة ، و سلاماً بالنسبة إلى الخلق . فيسلم الخلق - للسلام الذى يعمر قلبه - من لسانه ويده .

فإذا ما : « أسلم » الإنسان ، فقد استجاب إلى الدعوة الإلهية .

هذه الدعوة التى تتسم بالتوحيد ، والوحدة والوحدانية ، والتى يعبرُ عنها بالإسلام : تختلف فى موقفها بالنسبة لتوجيه الإنسان ، بحسب موضوع التوجيه ؛ ذلك أنها توجه الإنسان بالنسبة للطبيعة ، للكون المادى للعالم المحس ، وفى هذا المجال تأمره أمراً ، وتفرض عليه فرضاً ، أن يغزو هذا العالم : فيصل إلى أعماق أعماق الأرض والبحار ، ويرتفع فى الأفق إلى أبعد ما يصل إليه العلم بوسائله وآلاته ، ويغزو الفضاء فيما بين السماء والأرض ، وترك له الاختيار فى استخدام الوسائل ، لذلك : لا حجر عليه فى الحرية ولا تضيق .

وموقف الدين الإسلامى من العلم واضح كل الوضوح ، فأول كلمة في الدستور الإسلامى : « القرآن » هى : « اقرأ .. » . ثم إن الآيات القرآنية التى تحت على العلم ، وتبين فضل العلماء كثيرة : يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(١) ، ويقول الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٢) ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٣) .

أما الأحاديث النبوية : فإنها هى الأخرى كثيرة ، من أجمعها : الحديث الذى رواه أبو داود ، والترمذى ، يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً ، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ، ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً : إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

وقد وضع هذا الاتجاه فى القرآن ، وفى الأحاديث الشريفة ، وضوحاً بيناً ؛ فاندفع المسلمون إلى البحث فى جميع ميادين الحياة : روحية كانت أو عقلية أو مادية ..

ونشأ عن ذلك : الحضارة الإسلامية التى أنتجت أمثال : جابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعيات ، وأبى بكر الرازى فى الطب ، وابن سينا فى الطب كذلك والفلسفة ، والغزالى فى الجانِب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ . وكثيرين غيرهم .

وقد أشاد كثيرون من منصفى الغربيين بالحضارة الإسلامية وبمناهجها يقول (غوستاف لوبون) :

« ويعزى إلى بيبكون ، على العموم : أنه أول من أقام التجربة والملاحظة اللتين هما أساس المناهج العلمية الحديثة ، مقام الأستاذ ولكنه يجب أن نعترف ، قبل كل شيء ، بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .

ويقول العلامة الشهير : « هيبولد » بعد أن يذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة : هو

(١) سورة طه . الآية ١١٤ .

(٢) سورة المجادلة . الآية ١١ .

(٣) سورة فاطر . الآية ٢٨ .

أرفع درجة في العلوم : إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريباً .

ويتبين لنا من هذا أن الإسلام :

* يبحث على العلم ويشجعه ، ويدعو إليه ، ويأمر بالاستزادة منه .

* وأن روح الإسلام هذه أنتجت حضارة خصبة عمّت جميع زوايا الحضارة المادية وجوانبها .

بيد أن : « اقرأ » ، أو الأمر بالعلم والثقافة في الإسلام قيّد بأن يكون : « بسم الله » ؛ وبذلك ينتفى الإيذاء والضرر في العلم ، وبذلك أيضاً تفرق حضارة الإسلام في هذا الجانب عن الحضارة الغربية ، فالحضارة الغربية لم تنشأ : بـ « بسم الله » وإنما نشأت بسم العلم . ومن أجل ذلك سخرت العلم في التنكيل ، والدمار ، والاستعمار ، وإشقاء الإنسانية !! .

وحضارة الإسلام نشأت بسم الله ، ولم تنشأ بسم العلم ، ومن أجل ذلك كان هدف العلم في الإسلام إرضاء الله وإسعاد الإنسانية هذا شأن الإسلام بالنسبة للكون المحسّ .

على أن : « اقرأ بسم ربك الذى خلق » حينما نقيّد العلم والثقافة بأن يكونا بـ : بسم الله ، وحينما نصيغ دراسة الكون بصيغة التوجه إلى الله ، فإنما تضعنا مباشرة أمام توجيه إلهي سافر - لا لبس فيه - يرشدنا إلى وجوب إعطاء جميع الأعمال التي نقوم بها ، صورة العبادة : ذلك أن ما كان بـ : بسم الله ، فهو عبادة .

وأن : « اقرأ بسم ربك الذى خلق » تنص على أن القراءة لا تكون : باسم منفعة شخصية ، ولا باسم مصلحة إقليمية ، ولا باسم غاية مادية أيّاً كانت ، ولا باسم وزير ولا أمير ، ولا باسم وطن أو بيعة ، وإنما هي : بسم الله ، وإذا كانت بسم الله ، فإنها تفيد الشخص باعتباره فرداً ، وتفيد المجتمع الخاص الذى نسميه : « وطننا » ؛ وتفيد المجتمع الإسلامى العام ، بل وتفيد الإنسانية جمعاء .

إذا ما تجردت القراءة لله تعالى : وكان هدفها الأول والأخير هو : « الله » : مصدر الخير والنور ، كانت : خيراً ، وكانت نوراً في جميع الأرجاء ، وفي جميع الأزمان .

وما كان يقصد القرآن قط بهذه الكلمة الأولى القراءة وحسب ، وإنما كانت القراءة رمزاً لكل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابى وكل ما يدعه الإنسان في الجانب السلبى :

إن هذه الكلمة الأولى ، تريد أن تقول : اقرأ بسم ربك .. تحرك بسم ربك ، تكلم بسم ربك ، إعمل بسم ربك ..

أما إذا امتنعت عن حركة أو فعل ، فينبغي أن يكون ذلك أيضًا بسم ربك ؛ ويكون معنى الآية في النهاية : جرد حياتك كلها وكيانك كله : أسبابًا وغايات لله سبحانه وتعالى : وإذا كانت الآية الكريمة واضحة المعنى في الجانب الإيجابي الذي يحثُّ على القراءة ، والذي يحثُّ على أن تكون القراءة : بسم الله ، فإن الجانب السلبي - قد نزلت فيه - فيما بعد - آيات صريحة الدلالة ، واضحة المعنى ، يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۖ ﴾ .

وأما ما ذبح على النصب : فلم يرد به الذابح وجه الله تعالى ، فهو أيضًا فسق ؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليه : فكل ما لم يذكر اسم الله عليه يجب إذن الامتناع عنه .

أما الإقدام عليه ، فإنه فسق يتفاوت في درجته من الرجس ، زيادة ونقصًا . وهكذا يضعنا الإسلام منذ « اقرأ بسم ربك » : أي منذ اللحظة الأولى من تاريخه ؛ على قمة الإخلاص ، وعلى قمة الإحسان ، وفي خضم من التقوى ، وعلى السنام من الصدق . فما دامت الحياة كلها لله ، فليس هناك مجال للكذب ، والرياء ، والنفاق ، والخديعة ، وإرادة غير الله بالأعمال .

وإزالة لكل لبس في هذا الجانب ، وحجًا في أن يسير الإنسان في الحياة على بينة من أمره - فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة - حدد الله ، سبحانه وتعالى - تحديدًا واضحًا كل الوضوح - الغاية التي خلق الإنسان من أجلها ، يقول سبحانه :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۖ ﴾ .

والإسلام يريد بذلك أن تكون حياة الإنسان في جميع اتجاهاتها ، وفي جميع جوانبها وزواياها .. حياة الإنسان أسسًا وبواعث . وحياة الإنسان وسائل ومناهج .. وحياة الإنسان أهدافًا وغايات .. يريد الإسلام أن يكون كل ذلك : عبادة .

وليس ذلك بالأمر المستحيل ؛ فالعمل الواحد يعمل به شخص من الأشخاص ، فيكون عملاً دنيويًا ، ويعمله شخص آخر فيكون العمل دينيًا .

(١) سورة الأنعام . الآية ١٢١ .

(٢) سورة الذاريات . الآية ٢٦ .

بل إن العمل الواحد يعمل به الشخص الواحد في وقت ما ، فيكون دنيوياً ، ويعمله هو نفسه في وقت آخر فيكون عبادة ، وكل ذلك إنما هو بحسب النية ، يقول صلوات الله وسلامه عليه : « إنما الأعمال بالنيات ؛ وإنما لكل امرئ ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

فإذا ما أراد الإنسان بعمله وجه الله كان العمل : عبادة مهما أغرق في الصورة الدنيوية ، وأحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه في هذا الجانب كثيرة معروفة .

بيد أن العبادة من ناحية قيمتها الروحية : درجات لا تحصى ؛ إنها قد تكون شكلاً من الأشكال ، مجرد شكل ، لا قيمة لها ؛ ولا وزن في مقاييس الروح وموازنها !! وقد تسمو وتسمو ؛ فتصل إلى : « أن تعبد الله ؛ كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه ؛ فإنه يراك » .

ولقد كان الرسول ؛ صلوات الله وسلامه عليه ، المثل الأعلى لنا في أن نعبد الله ؛ كأننا نراه ، أو في أن نرى الله في جميع ما نأتى وما ندع ؛ في الكون نذله ونسخره ، وفي المجتمع نصلحه ونهذبه ، وفي العمل نتقنه ونخلص فيه .. وفي الحديث نتحرى فيه الصدق والأمانة .

لقد حوّل الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، الحياة إلى عبادة ، فكان العمل عبادة ، وإن من الذنوب ذنباً لا يكفرها إلا السعى على المعاش ؛ والجهد عبادة وإن أفضل الأعمال : الإيمان ، ثم الجهاد .

ولقد وصل الأمر به صلوات الله وسلامه عليه : أن جعل الأكل والشرب والمشى عبادة . وهكذا أصبحت الحياة حركة وسكوناً لله ، سبحانه ، فأصبحت الحياة كلها عبادة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١) .

ولقد وضح هذا الاتجاه منذ اللحظة الأولى للوحى : ﴿ اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٢) ثم إن القرآن كله فسر ، ووضحته أعمال الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه : الحياة عبادة ، الأنفاس ، والحركات ، والسكنات والنوم ، واليقظة ؛ الحياة كلها بل ، والموت عبادة .

(١) سورة الأنبياء . الآيتان : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) سورة العلق . الآية : ١ .

تلك هي حياة الصوفية ، وذلك هو معنى الدين ؛ وهو معنى الإسلام ، وهو ما أراده الله بصريح آياته الكريمة وهدية المستقيم .

إن توضيح هذا ونشره ، والعمل على إحياء معنى الدين ، ونشر الشعور الديني ، وبيان معنى : « الإسلام وقيادة الأمم - من أجل سعادة الإنسانية - لتسلم وجهها لله .. ذلك هو المهمة الأولى لعلماء الدين : أجل مهمة ، وأسمى وظيفة .. إنها وظيفة الأنبياء والرسل . ومن أجل ذلك ومساهمة منا في توضيح الطريق ، نشرنا هذا الكتاب راجين الله سبحانه ، أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا .

نشرنا هذا الكتاب الذى يتحدث عن الصوفية وعن التصوف .

ذلك أن الصوفية هي الطائفة التي تعبد الله - في كل عصر - كأنها تراه .

وهي الطائفة التي تحس إحساساً واضحاً بالفكرة الدينية في معناها العميق .

إنهم مثل عليا كأشخاص ، ومثل عليا كمبادئ ، إنهم أمثلة حية لما ينبغي أن يكون عليه المتدين ، وهم أمثلة حاولت الكمال في الاقتداء برسول الله ﷺ والتخلق بأخلاق القرآن : ١ - وفي نشر هذا الكتاب رسم لفكرة العبودية الصحيحة ، وتوضيح لما ينبغي أن تكون عليه الصلة بين الإنسان وربه ، وبين الإنسان ومجتمعه .

٢ - وما لاشك فيه أن كل ما يقرؤه الإنسان يؤثر فيه ، ونحن إذن سعداء بالأثر الجميل الذى سيكون - بإذن الله - ثمرة لنشر هذا الكتاب .

٣ - ولقد أحضرنا مخطوطتين للرسالة القشيرية من تونس : إحداها بخط مشرقى ، والأخرى بخط مغربى ، ويسعدنا أن نخرج النص محققاً صحيحاً .

٤ - ولقد ألّف الإمام القشيري ، هذا الكتاب تصحيحاً وتوضيحاً للفكرة الصوفية في سلامتها ، ونقائها ونحن سعداء بإحياء هذا الكتاب في هذا العصر الذى شوّعت فيه الفكرة عن التصوف ، وأنكر كثير من الناس - عن جهل ، أو متعمدين - المثل العليا في الأخلاق ، والمعاملات ، التى دعا إليها الصوفية .

٥ - ولقد كان كثير من الباحثين يتمنون أن يكون هذا الكتاب الذى يعتبر مصدراً أصيلاً من مصادر التصوف - بين أيديهم محققاً مفهوماً ويسعدنا أن نحقق لهم هذه الرغبة . ولقد كان من تيسير الله ، لهذا العمل ، أن هذا الكتاب قد شرحه علم من أعلام الإسلام ، هو شيخ الإسلام : زكريا الأنصارى ، وكتبه علم من أعلام الإسلام ، هو شيخ الإسلام :

السيد مصطفى العروسى ، على الشرح حاشية نفيسة .
وقد استفدنا من الشرح والحاشية واغترفنا من أنوارهما الكثير .

أما مؤلف الكتاب : فإنه الإمام أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي (٣٧٦ هـ - ٤٦٥ هـ) .

ولد رضى الله عنه سنة : ست وسبعين وثلثمائة ، في شهر ربيع الأول ، في بلدة « إستوا » وكان سكانها من العرب الذين قدموا خراسان .
وهو عربى من قبيلة « قشير بن كعب » .

توفى أبوه وهو صغير ، فرُبَّيَ يتيمًا ، ولكن النجابة ظهرت فيه من صغره ؛ فتشقف بالأدب والعربية . ولكنه لم يكن يعلم الحساب فذهب إلى « نيسابور » ليتعلم طرفاً من الحساب ، حتى يتمكن من إدارة قرية له بإستوا .

وأرادت المقادير ، أن يحضر درس أبى على الدقاق ، فيرى إخلاصاً ويرى تقوى ، ويرى نوراً يرسم على وجهه ، ويشرق من كلماته فينبز قلوب السامعين ، ويجذبهم إلى الله ، وكانت فطرة القشيري النقية على استعداد تام لسلوك الطريق ، ورأى الإمام أبو على الدقاق فيه النجابة ، فقبله في زمرة مريديه ، ثم اصطفاه في زمرة أخصائه ، وزوجه ابنته ، مع كثرة أقاربها .

وانتهى الأمر بالقشيري إلى أن أصبح - كما يقول عنه الإمام عبد الغافر - « الإمام مطلقاً ، الفقيه ، المتكلم ، الأصولى ، المفسر ، الأديب ، النحوى ، الكاتب الشاعر ، لسان عصره وسيد وقته ، وسر الله بين خلقه ، مدار الحقيقة ، وعين السعادة ، وقطب السيادة ، من جمع بين الشريعة والحقيقة ، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعرى والفروع على مذهب الشافعى .. » .

ولقد ترجم له صاحب كتاب : « دمية القصر » أبو الحسن الباخري فقال :
« جامع لأنواع المحاسن تنقاد له صعاها ذلل المراسن ، فلو قرع الصخر بصوت تحذيره لذاب ، ولو ارتبط إبليس في مجلس تذكيره لتاب ، وله فصل الخطاب في فصل المنطق المستطاب ، ماهر في التكلم على مذهب الأشعرى ، خارج في إحاطته بالعلوم عن الحد البشرى ، كلماته للمستفيدين فوائد وفرائد ، وأعقاب منبره للعارفين وسائد ، ثم إذا عقد بين

مشايخ الصوفية حَبَوته ، ورأوا قربته من الحق وحظوته : تضاءلوا بين يديه ، وتلاشوا بالإضافة إليه ، وطواهم بساطه في حواشيه ، وانقسموا بين النظر والتفكير فيه . وله شعر يتوج به رؤوس معاليه ، إذا ختمت به أذنان أماليه .. » .

وقد كتب الإمام القشيري كثيراً من الكتب منها :

١ - الرسالة القشيرية التي نقدمها اليوم للقراء مغتبطين ، كتبها المؤلف في سنة : سبع وثلاثين وأربعمائة « إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام » .

كتبها تصحيحاً لأوضاع كثيرة انحرفت ، وبياناً لما ينبغي أن يكون عليه المرید الصادق . لقد كانت هناك جوانب كثيرة في الأجواء التي تزعم أنها صوفية قد دب إليها الفساد ، وسلك بعض المدّعين مسالك ، لا تمت إلى الدين ولا إلى التصوف بصلة ، كما هو الشأن دائماً في المدعين المزيفين الذين يوجدون في كل عصر : وفي كل ميدان : فأشفق الإمام القشيري « على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر : (أى أمر التصوف) على هذه الجملة قد بُنى قواعده ، وعلى هذا النحو سار سلفه » .

وقاده هذا الاشفاق إلى أن يكتب هذه الرسالة ، مبيّناً فيها جانبيين :

الجانب الأول : سيرة رجال التصوف وبعض أقوالهم ، وذكر في هذا الجانب كثيراً من أعلام الصوفية ، كنماذج ، يسير المرید على هديهم .

أما الجانب الثانى : فإنه مبادئ السلوك ومناهجه .. أو كما يقول هو بأسلوبه : « ذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في : آدابهم ، وأخلاقهم ، ومعاملاتهم وعقائدهم ، بقلوبهم ، وما أشاروا إليه من مواجيدهم ، وكيفية ترقّيه من بدايتهم إلى نهايتهم ، لتكون لمریدى هذه الطريقة قوة ، ومنكم لى بتصحيحها شهادة ، ولى فى نشر هذه الشكوى سلوة ، ومن الله الكريم فضلاً ومثوبة » .

ولقد كانت هذه الرسالة ، وماتزال ، النبع الصافى الذى يستقى منه كل دارس للتصوف وكل مستشرق لحياة النور » .

تلك هى الرسالة القشيرية : أما كتبه الأخرى فإن له :

٢ - فى تفسير القرآن : « لطائف الإشارات » طبع حديثاً .

٣ - وله كتاب « الفتوى » التى أوردتها السبكى فى الطبقات .

٤ - وله كتاب « حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح » مخطوط بالأسكوريال .

٥ - وله كتاب « المعراج » في بانكيبور ، وأخرجه وحققه الدكتور حسن عبدالقادر ، نشر بالقاهرة .

٦ - وله كتاب « شكايه أهل السنة » ذكرها السبكي في « طبقات الشافعية » كاملة .

٧ - وله كتاب « الفصول » وهو مخطوط بالقاهرة .

٨ - وله كتاب « اللمع » وهو مخطوط بالقاهرة .

٩ - وله كتاب « التوحيد النبوي » وهو مخطوط بالقاهرة .

١٠ - وله كتاب « التيسير في علم التفسير » وهو مخطوط في الهندوليدن .

١١ - وله كتاب « ترتيب السلوك » لم يطبع بعد ، وموجود ، مخطوطاً في الفاتيكان .

١٢ - وله كتاب « التمييز في علم التذكير » في استانبول ، وفارس ، والقيروان ، والقاهرة .

١٣ - وله كتاب « القصيدة الصوفية » مخطوط بالقاهرة .

١٤ - وله كتاب « الأربعين حديثاً » مخطوط في ليدن .

١٥ - وله كتاب « شرح أسماء الله الحسنى » مخطوط في : الموصل ، وفارس ، وتونس ، ودمشق ، وله كتب أخرى .

وقد توفي الإمام القشيري صبيحة يوم الأحد ، في السادس عشر من شهر ربيع الأول عام ٤٦٥ هـ خمس وستين وأربعمئة بمدينة « نيسابور » ودفن بجوار شيخه أبي علي الدقاق ، رحمه الله رحمة واسعة .

الدكتور عبدالحليم محمود

الدكتور محمود بن الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى تفرّد بجلال ملكوته^(١) ، وتوحد بجمال جبروته^(٢) ، وتعزّز بعلوّ أحدىته ، وتقّدس بسموّ صمديته^(٣) ، وتكبر فى ذاته عن مضارعة كل نظير^(٤) ، وتنزه فى صفاته عن كل تناهٍ وقصور ، له الصفات المختصة بحقه^(٥) ، والآيات الناطقة بأنه غير مشبّه بخلقه . فسبحانه من عزيز ، لا حدّ يناله^(٦) ، ولا عدّ يحتاله^(٧) ، ولا أمد^(٨) يحصره ، ولا أحد ينصره ، ولا ولد يشفعه ، ولا عدد يجمعه ، ولا مكان يمسه ، ولا زمان يدركه ، ولا فهم يقدره ، ولا وهم يصوّره .

تعالى عن أن يقال : كيف هو ؟ أو أين هو ؟ أو اكتسب بصنعه الزين^(٩) ، أو دفع بفعله النقص والشين ؛ إذ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، ولا يقلبه حى ، وهو الخبير القدير .

أحمده على ما يؤلى ويصنع ، وأشكره على ما يزوى^(١٠) ويدفع^(١١) ، وأتوكل عليه وأقنع ، وأرضى بما يعطى ويمنع .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة موقن بتوحيده ، مستجير بحسن تأييده .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده المصطفى ، وأمينه المجتبى^(١٢) ورسوله المبعوث إلى كافة

(١) ملكوته : سلطانه وملكه العظيم .

(٢) جبروته : قهره لغيره أو جبره لكل كبير .

(٣) صمديته : كونه المقصود فى الموانع على الدوام .

(٤) مضارعة كل نظير : مشابهة كل شبيه .

(٥) وهى صفات الربوبية التى تميز بها عن خلقه .

(٦) لا حدّ يناله : لا حصر يدرك كنهه .

(٧) لا عدّ يحتاله : لا كثرة تجمعه وتقدر عليه بالاحتيال .

(٨) أمد : غاية .

(٩) الزين : الكمال والحسن .

(١٠) يزوى : يقبض ويمنع .

(١١) يدفع : يبسط ويمنع .

(١٢) المجتبى : المختار .

الورى . صلى الله عليه وعلى آله مصاييح الدجى ، وعلى أصحابه مفاتيح الهدى ، وسلم تسلياً كثيراً .

هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبدالكريم بن هوازن القشيري ، إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام ، في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

أما بعد :

- رضى الله عنكم - فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من عباده ، بعد رسله وأنبيائه ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وجعل قلوبهم معادن أسرارهم ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم .

فهم الغياث للخلق ، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق .
صفاهم من كدورات^(١) البشرية ، ورقاهم إلى محال^(٢) المشاهدات بما تجلّى لهم من حقائق الأحدية ، ووفقهم للقيام بأداب العبودية ، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية^(٣) .
فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات تكليف ، وتحققوا^(٤) بما منه سبحانه لهم من التقلب والتصرف .

ثم رجعوا إلى الله^(٥) ، سبحانه وتعالى ، بصدق الافتقار ، ونعت الانكسار ، ولم يتكلموا على ما حصل منهم من الأعمال ، أو صفا لهم من الأحوال ، علماً منهم بأنه جلّ وعلا يفعل ما يريد ، ويختار من يشاء من العبيد ، لا يحكم عليه خلق ، ولا يتوجه عليه مخلوق حق ، ثوابه : إبتداء فضل ، وعذابه : حكم بعدل ، وأمره قضاء فصل^(٦) .

(١) صفاهم من كدورات البشرية : خلصهم وطهرهم من حظوظ أنفسهم ، حيث وقفهم للمجاهدة والريضة الدائمة .

(٢) محال : أماكن ومنازل .

(٣) مجارى أحكام الربوبية : منشأ تصرفاته تعالى فيهم وفي غيرهم من العطاء والمنع والإسعاد والإضلال .

(٤) تحقّقوا : أى اتصفوا الطمأنينة قلوبهم بما أبرزته القدرة العلية والحكمة الأزلية .

(٥) رجعوا إلى الله : فعملوا بأحكام الله تعالى متبرئين من الحول والقوة ، مراقبين الله في حركاتهم وسكناتهم ملاحظين أنفسهم

بالانكسار والافتقار إليه تعالى .

(٦) وفؤلاء الموصوفون بما ذكر ، هم : المقربون المتصفون بالإحسان . وفي الخبر الصحيح : « ما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » والأمة درجاتهم متفاوتة ، وينقسمون إلى : أصحاب اليمين ، وإلى المقربين كما دل عليه القرآن الكريم ، فمن صح إيمانه وعمل بما أمر به شرعاً فهو من أصحاب اليمين ، ومن قلت غفلاته وتوالت منه نوافله وطاعاته ، وتوالت على فقيهه ذكره ودعواته فهو المقرب والمحسن ، ويعبر عنه بـ « الصوفي » الذى صفا عن الأخلاق المذمومة وتخلّى بالأخلاق الحمودة ، حتى أحبه الله وحفظه في جميع حركاته وسكناته ، كما جاء في الخبر الصحيح : « ما تقرب المتقربون إلى بمثل أدائه ما افترض عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلى بالتواقل حتى أحبه ، فإذا أحبيته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » .

ثم اعلّموا ، رحمكم الله ، أن المحققين من هذه الطائفة انقضى أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم ، كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساها

حصلت الفترة^(١) في هذه الطريقة ... لا ، بل اندرست^(٢) الطريقة بالحقيقة :

مضى الشيوخ الذين كان بهم اعتداء ، وقلّ الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وستهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوى رباطه .

وارتحل عن القلوب حرمة^(٣) الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة^(٤) ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام^(٥) . ودانوا^(٦) بترك الاحترام ، وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات ، والارتفاق^(٧) بما يأخذونه من السوق ، والنسوان ، وأصحاب السلطان .

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال ، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال ، وأدّعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال^(٨) وتحققوا بحقائق الوصال^(٩) وأنهم قائمون بالحق ، تجرى عليهم أحكامه ، وهم محو^(١٠) ، وليس الله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم ، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية ، واختطفوا عنهم بالكلية^(١١) ، وزالت عنهم أحكام البشرية . وبقوا

(١) الفترة : التراخي والتفريط في طريقة الصوفية .

(٢) اندرست : زالت ومحييت ، يقصد أن طريقة الصوفية في الحقيقة قد زالت معالمها من نفوس الكثيرين بعد أن غلب عليهم قلة المبالاة ومخالفتهم الشريعة .

(٣) حرمة الشريعة : احترامها .

(٤) أى جعلوا قلة الاهتمام بأحكام الدين أقوى وسيلة يصلون بواسطتها لمقاصدهم الدنيوية الخسيسة .

(٥) لم يفرقوا بين الحلال والحرام ، بل جمعوا بينها من غير تحرر .

(٦) تدبّروا بعدم احترام الشيخ والعالم والكبير .

(٧) الارتفاق : الانتفاع .

(٨) زعموا أنهم وصلوا إلى الحقائق العليا ، وتخلصوا من محبة ما سوى الله ، ونفضوا أغلال الرق والعبودية لغير المولى سبحانه . والوصول عند الصوفية هو فناء العبد عن أوصافه وعاداته في أوصاف الحق سبحانه وتعالى .

(٩) أى زعموا أنهم اتصفوا بالقرب المعنوي من الله .

(١٠) وهذا من تنمة زعمهم : أى أنهم لم يبق فيهم بقية يتعلق بها التكليف لتمام فنائهم حتى صاروا إلى حالة ينتفى فيها العتب ، وينعدم اللوم على كل ما يصدر عنهم .

(١١) أى جذبت قلوبهم وأرواحهم للحق جذباً سريعاً حتى لم يبق فيهم سعة لغيره تعالى .

بعد فنائهم عنهم^(١) بأنوار الصمدية ، والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا ، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا ، بل صرفوا .

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحث ببعضه من هذه القصة وكنت لا أبسط إلى هذه الغاية لسان الإنكار ، غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها بسوء ، أو يجد مخالف لثلبهم مساعاً^(٢)؛ إذ البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة .

ولما كنت أومل من مادة هذه الفترة أن تنحسم^(٣)، ولعل الله سبحانه يجرى بلطفه في التنبيه لمن حاد عن السنة المثلى في تضييع آداب هذه الطريقة .

ولما أبى الوقت إلا استصعاباً . وأكثر أهل العصر بهذه الديار إلتاماً فيما اعتادوه واغتراراً بما ارتادوه^(٤) .

أشفقت على القلوب أن تحسب أن هذا الأمر^(٥) - على هذه الجملة^(٦) - بنى قواعده . وعلى هذا النحو سار سلفه .

فعلقت^(٧) هذه الرسالة إليكم ، أكرمكم الله ، وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم ، وأخلاقهم ، ومعاملاتهم ، وعقائدهم بقلوبهم^(٨)، وما أشاروا إليه من مواجيدهم^(٩)، وكيفية ترقيعهم^(١٠) من بدايتهم إلى نهايتهم ؛ لتكون لمريدي هذه الطريقة قوة ، ومنكم لي بتصحيحها شهادة^(١١)، ولي في نشر هذه الشكوى سلوة^(١٢)، ومن الكريم فضلاً ومثوبة . وأستعين بالله سبحانه فيما أذكره ؛ وأستكفيه ؛ وأستعصمه^(١٣) . من الخطأ فيه^(١٤) واستغفره واستعينه . وهو بالفضل جدير ، وعلى ما يشاء قدير .

(١) أى عن أنفسهم .

(٢) أى لنقصهم مدخلا .

(٣) أمل أن تنقطع الأسباب المفضية إلى التهاون والتكاسل عما به صلاح النفس .

(٤) ارتادوه : اختاروه وتلبسوا به .

(٥) وهو الوصول إلى أعلى الحقائق والأحوال .

(٦) مزاعمهم وادعائهم .

(٧) علقت : جمعت وألفت .

(٨) ومعتقداتهم في قلوبهم .

(٩) مواجيدهم : ما تجده قلوبهم من الإلهامات الإلهية .

(١٠) انتقلهم من كمال إلى كمال أعلى منه .

(١١) شهادة : إقرار بأنه صحيح طريق السلف ، بايضاح ما كانوا عليه .

(١٢) سلوة : بفضلاً لأولئك الزاعمين المدعين .

(١٣) أستكفيه وأستعصمه ، أطلب منه الكفاية والعصمة والحفظ .

(١٤) وفي نسخة أخرى « وأستعفيه » أى أطلب منه العفو عن الخطأ .

obeikandi.com

فصل

في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول^(١)

اعلموا ، رحمكم الله ، أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة^(٢) في التوحيد ، صانوا بها عقائدهم عن البدع^(٣) ودانوا^(٤) بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة : من توحيد ليس فيه تمثيل^(٥) ولا تعطيل^(٦) ، وعرفوا ما هو حق القدم^(٧) . وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم^(٨) .

ولذلك قال سيّد هذه الطريقة « الجنيد »^(٩) ، رحمه الله : « التوحيد أفراد القدم من الحدث »^(١٠).

(١) أصول علم التوحيد ومائلاته المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته ، وما يجب له وما يجوز ، وما يستحيل في حقه .
(٢) قال الشيخ العروسي في حاشيته « نتائج الأفكار القدسية » : « إن الدين بستان والشريعة سياجه ، والطريقة رياضه ، والحقيقة ثمراته ، فمن لا شريعة له لا دين له ، ومن لا طريقة له لا شريعة له ، ومن لا حقيقة له لا طريقة له ، ثم قال : « إن طريقة الصوفية تشتمل على عشرة أشياء : أحدها حقيقة التصوف ، وهي ترجع إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، والثاني : أن مدار ذلك على أفراد القلب والقلب لله وحده ، والثالث : أنه من الدين بمنزلة الروح من الجسد ، والرابع أن نظر الصوفي في وجه الكمال والنقص ، والخامس : أن نظر الفقيه فيما يسقط الحرج ، والأصولى ، فيما يصح به الإيمان ويشب ، فنظر الصوفي أخص من نظرها ولذلك صح إنكارها عليه ، ولا يصح إنكاره على أحدهما ، « فصولي الفقهاء خير من فقيه الصوفية » . والسادس : إظهار شرف التصوف ودليله : برهاناً ونصاً ، والسابع أن الفقه شرط في صحته ، فلذلك قدم عليه ؛ والثامن : ذكر الاصطلاح واختصاصه بكل فن على حسب ، والتاسع مفاتيح الفتح فيه أربعة أحكام : المبادئ : وصدق الرغبة في الوصول ، والتشوف للحقائق ، وعدم التقيد بالمتقول مع التحقيق . والعاشر : أنه طريق عجيب وغريب ومبناه على اتباع الأحسن دائماً ، ففى العقائد على اتباع السلف ، وفى الأحكام على الفقه ، وفى الفضائل على مذهب المحدثين ، وفى الآداب على ما به صلاح القلوب » .

(٣) البدع : جمع بدعة ، وهي ما يجرى على أصول الشريعة من نص الكتاب أو الحديث ، أو الإجماع ، أو القياس .

(٤) اتخذوا ما وجدوا عليه السلف من الاعتقادات والأعمال ديناً لهم .

(٥) تمثيل : تشبيه بحدث من الحوادث .

(٦) تعطيل : أى بنفى الصفات قراراً من تعدد القدماء كما ذهب إليه جماعة « المعتزلة » .

(٧) أى اعتقدوا بما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل ؛ والمراد بالقدم : القديم ، وهو الله سبحانه وتعالى .

(٨) التزوما المحض والافتقار إليه سبحانه ، واتخذوا العبودية شعاراً ، فلم ينازعوا في شئ من أحكام الربوبية ، والموجود

عن العدم ، هو : الحادث الذى وجد بعد أن لم يكن .

(٩) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، مولده ووفاته ببغداد ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م « وعرف بالخزاز

لأنه كان يعمل الخبز ، قال أحد معاصريه : ما رأيت عيناً مثله : الكتب يحضرون مجلسه لألفاظه ، والشراء لفصاحته ، والمتكلمون لمعانيه ، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد . وقال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه ؛ وعده العلماء شيخ مذهب

التصوف ، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة . ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة ، محمى الأساس من شبه الغلاة ، سالماً من كل

ما يوجب اعتراض الشرع .

(١٠) أفراده سبحانه من الحدث : أى الحادث ، وذلك إما يتم بعد معرفة ما يجب له تعالى ، وما يجوز ، وما يستحيل .

وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ، ولاتح الشواهد .

كما قال أبو محمد الجريري^(١)، رحمه الله : « من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهد زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف » يريد بذلك : أن من ركن إلى التقليد ، ولم يتأمل دلائل التوحيد ؛ سقط عن سنن^(٢) النجاة ؛ ووقع في أسر الهلاك .

ومن تأمل ألفاظهم ، وتصفح كلامهم ، وجد في مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق - بتأمله - بأن القوم لم يقصروا في التحقيق^(٣) عن شأو^(٤)، ولم يعرجوا في الطلب على تقصير . ونحن نذكر في هذا الفصل جملاً من متفرقات كلامهم فيما يتعلق بمسائل الأصول . ثم نحرر على الترتيب بعدها ما يشتمل على ما يحتاج إليه في الاعتقاد ، على وجه الإيجاز والاختصار ، إن شاء الله تعالى .

سمعت : الشيخ أبا عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي^(٥)، رحمه الله ، يقول : سمعت عبدالله بن موسى السلمي يقول : سمعت أبا بكر الشبلي^(٦) يقول : « الواحد : المعروف قبل الحدود^(٧) وقبل الجروف » وهذا صريح من الشبلي أن القديم - سبحانه - لا حد لذاته^(٨)، ولا حروف لكلامه .

سمعت أبا حاتم الصوفي ، يقول : سمعت أبا نصر الطوسي يقول : سئل رُويم^(٩) عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو ؟ فقال : المعرفة ؛ لقوله جل ذكره : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(١٠) . قال ابن عباس : إلا ليعرفون^(١١) .

(١) هو أبو محمد أحمد بن محمد بن حسن الجريري ، من كبار أصحاب الجنيد توفي سنة ٣١١ هـ .

(٢) سنن : طريق .

(٣) أى التحقيق للعقائد .

(٤) شأو : غاية .

(٥) من علماء المتصوفة ولد سنة (٢٣٠ هـ - ١٩٤٢ م) وتوفي سنة (٤١٢ هـ - ١٠٢١ م) مولده ووفاته في نيسابور ، له عدة كتب منها : « حقائق التفسير » وهو مختصر على طريقة أهل التصوف ، و« طبقات الصوفية » و« أدب الصحة » و« الفتوة » .
(٦) أبو بكر دلف بن جندر الشبلي ، بغدادى المولد والنشأة توفي سنة ٢٣٤ هـ وتفق على مذهب الإمام مالك ؛ وصحب الجنيد .

(٧) الحدود : الجهات . والحروف : الأصوات .

(٨) لا حد لذاته : لا جهة تحويه .

(٩) رويم هو أبو محمد رويم بن أحمد ، مات سنة ٣٠٢ هـ ببغداد ، وكان عالماً بالقرآن عارفاً بالتصوف .

(١٠) آية ٥٦ من سورة الذاريات .

(١١) فهو تعالى إنما خلق العالم ليستدل به عليه ، كما قال تعالى ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ ولهذا قيل « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه » .

وقال الجنيد : إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة^(١) : معرفة المصنوع صانعه^(٢) ، والمحدث كيف كان إحداثه ، فيعرف صفة الخالق من المخلوق ، وصفة القديم من المحدث ، ويذل لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ؛ فإن من لم يعرف مالكة لم يعترف بالملك لمن استوجبه .

أخبرني محمد بن الحسين ، قال : سمعت محمد بن عبدالله الرازي يقول : سمعت أبا الطيب المراغي يقول : للعقل دلالة^(٣) ، وللحكمة^(٤) إشارة ، وللمعرفة شهادة ؛ فالعقل يدل . والحكمة تشير . والمعرفة تشهد : أن صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد .

وسئل الجنيد عن التوحيد ، فقال : أفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته : أنه الواحد ، الذي لم يلد ، ولم يولد . بنفى الأضداد ، والأنداد ، والأشباه ، بلا تشبيه . ولا تكيف ، ولا تصوير ولا تمثيل^(٥) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٦) .

أخبرنا محمد بن يحيى الصوفي ، قال : أخبرنا عبدالله بن علي التيمي الصوفي ، يحكي عن الحسين بن علي الدامغانى ، قال : سئل أبو النصر ابان عن المعرفة ، فقال : المعرفة : اسم ، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه .

وقال أبو الحسن البوشنجي^(٧) ، رحمه الله : التوحيد : أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ، ولا منفى الصفات .

أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت محمد بن محمد بن غالب . قال : سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجاني يقول ، قال : الحسين بن منصور^(٨) : ألزم الكلّ الحدث^(٩) ، لأنّ القدم له ، فالذى بالجسم ظهوره^(١٠) فالعرض يلزمه ، والذى بالأداة^(١١)

(١) عقد الحكمة : اعتقادها .

(٢) بصفاته التي يتميز بها عن سائر الممكنات .

(٣) براهين يستدل بها على وحدانية الله سبحانه .

(٤) الحكمة : هي العلم بحقائق الأشياء ، وأوصافها ، وخواصها ، وأحكامها وارتباط الأسباب بالمسببات ، والعمل بمقتضى ذلك كله .

(٥) أى أن التوحيد هو اعتقاد الوحدة لله تعالى اعتقاداً ناشئاً عن نظر ، نافية الضد والند ، بلا كيف ولا صورة .

(٦) آية ١١ من سورة الشورى .

(٧) أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي توفى سنة ٣٤٨ هـ بنيسابور .

(٨) هو الحلاج : أبو مغيث الحسين بن منصور . فيلسوف متعبد زاهد : أصله من بيضاء فارس ، نشأ في العراق . ظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ وتوفى سنة ٣٠٩ هـ كثرت الوشائيات به إلى المقتدر العباسي فسجن وعذب وهو صابر .

(٩) أحكم بأن جميع المخلوقات حادثة .

(١٠) فالحدث الذى يدرك بالجسم .

(١١) بالأداة : بالأسباب ، كالهيئة ، وغيرها .

اجتماعه^(١) فقواها تمسكه^(٢) والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت ، والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه^(٣). والذي الوهم يظفر به^(٤) فالتصوير يرتقى إليه ؛ ومن آواه محل أدركه أين^(٥)، ومن كان له جنس طالبه مكيف^(٦) .

إنه سبحانه لا يظله فوق^(٧)، ولا يقله تحت^(٨)، ولا يقابله حد^(٩) ولا يزاحمه عند^(١٠)، ولا يأخذه^(١١) خلف ، ولا يحده أمام ، ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد^(١٢) ولم يجمعه كل ولم يوجد له كان^(١٣)، ولم يفقده ليس .

وصفه : لا صفة له^(١٤). وفعله : لا علة له^(١٥)؛ وكونه : لا أمد له^(١٦). تنزه عن أحوال خلقه ، ليس له من خلقه مزاج ، ولا في فعله علاج^(١٧). بآينهم بقدمه ، كما بآينوه بحدوثهم . إن قلت : متى^(١٨)، فقد سبق الوقت كونه^(١٩). وإن قلت : هو ، فالهاء والواو خلقه وإن قلت : أين ، فقد تقدم المكان وجوده .

فالحروف آياته^(٢٠). وجوده إثباته^(٢١) ومعرفته توحيده^(٢٢). وتوحيده تمييزه من خلقه .

-
- (١) اجتماع : أى اجتماع حواسه الظاهرة والباطنة .
 - (٢) أى قوى هذه الأسباب تمسكه عن التفرق .
 - (٣) أى والذي يكون وجوده بغيره ، فشدة الافتقار إلى ذلك الغير لازمة له لزوماً ذاتياً .
 - (٤) يتخيله الذهن ويتعلق به .
 - (٥) أى ومن ثبت له التحيز والمكان جاز أن يسأل عنه بلفظ « أين » ، التى يسأل بها عن المكان .
 - (٦) أى سائل « بكيف » التى يسأل بها عن الحال ، وعن تمييز أنواع الجنس الواحد .
 - (٧) فوق : علو ، أى ليس فوقه شيء .
 - (٨) لا يحمله سفلى ، لأن ذلك تحيز وهو من عوارض الأجسام واقه منزّه عن ذلك .
 - (٩) حد : جهة .
 - (١٠) عند : محل .
 - (١١) يأخذه : يحده ويحصره .
 - (١٢) بل هو ظاهر قبل وجود الخلق وبعد .
 - (١٣) لا يقال فى حقه تعالى وجد فى وقت كذا .. لحدوث الزمان والحق - تعالى - أزلى قديم . ولثبوت قدمه لا يقبل الانتفاء وهذا معنى قوله لا يفقده ليس) .
 - (١٤) أى لا كيفية له ولا يمكن إدراك حقيقة وصفه حتى يكيف ويصور .
 - (١٥) علة : غرض وباعث .
 - (١٦) وجوده لا نهاية له .
 - (١٧) معالجة بوسائط وأسباب للإيجاد .
 - (١٨) متى : أى متى وجد .
 - (١٩) كونه : وجوده .
 - (٢٠) أى مادة آياته ودلائله المنزلّة على نبيه محمد ﷺ .
 - (٢١) لا يكفى مجرد الاعتقاد بوجوده ، بل لابد من إقامة الأدلة على ثبوته .
 - (٢٢) معرفته بصفاته وليده توحيده .

ما تُصَوِّر في الأوهام فهو بخلافه ، كيف يحلُّ به ما منه بدأه ؟ أو يعود إليه ما هو أنشأه ؟ لا تماقله^(١) العيون ، ولا تقابله الظنون^(٢) قربه كرامته^(٣) ، وبُعده إهانتته ، علوه من غير توقُّل^(٤) ومجيئه من غير تنقُّل^(٥) .

هو : الأول^(٦) ، والآخر^(٧) ، والظاهر^(٨) ، والباطن ، القريب البعيد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

سمعت أبا حاتم السجستاني^(٩) يقول : سمعت أبا نصر الطوسي السَّراج يحكى عن يوسف ابن الحسين ، قال : قام رجل بين يدي ذى النون المصري^(١٠) ، فقال : أخبرني عن التوحيد : ما هو ؟ فقال هو : أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعِلَّة كل شيء صنعه^(١١) ، ولا عِلَّة لصنعه . وليس في السموات العلا ، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله ، وكل ما تصوِّر في وهمك فالله بخلاف ذلك . وقال الجنيد : التوحيد : علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته^(١٢) لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله .

وقال أبو عبدالله بن خفيف : الإيمان : تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب^(١٣) . وقال أبو العباس السيارى^(١٤) : عطاؤه على نوعين : كرامة ، واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة ، وما أزاله عنك فهو استدراج ، فقل : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى . وأبو العباس السيارى كان شيخ وقته .

-
- (١) لا تماقلة العيون : لا تراه بالمثل .
 - (٢) لا تدركه الأوهام والعقول ، لقصور الحادث عن إدراك القديم جل شأنه .
 - (٣) قربه من عبده إحسان له وإكرام .
 - (٤) علوه على عبده جلالة وعظمة ، لا علو مكان .
 - (٥) مجيئه فضله ونزول أمره من غير حركة أو انتقال .
 - (٦) قبل كل شيء بلا بداية .
 - (٧) بعد كل شيء بلا نهاية .
 - (٨) آثار قدرته .
 - (٩) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي توفى سنة ٢٤٨ هـ . من أهل البصرة عالم له نيف وثلاثون كتاباً .
 - (١٠) هو أبو الفيص ذو النون المصري الإخيمى . عالم صوفى . ورع توفى سنة ٢٤٥ هـ .
 - (١١) قدرته أوجدت الكائنات فلا صانع غيره .
 - (١٢) منفرد في أزليته ، لأنه كان ولا شيء معه .
 - (١٣) أى جزم القلوب وتصديقها بحقية الذى أعلمه الحق لنبهه من الأحكام والشرائع التى كانت تعد قبل البعثة مما غاب عن الخلق ، ولم تعلم إلا بوساطته ﷺ .
 - (١٤) سنأق ترجمته .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : غَمَزَ رَجُلٌ رَجُلَ أَبِي العباس السيارى : فقال : تغمز رجلاً ما نقلتها قط في معصية الله عز وجل !! .

وقال أبو بكر الواسطى^(١) : من قال « أنا مؤمن بالله حقاً » قيل له : الحقيقة تشير^(٢) إلى إشراف ، وإطلاع ، وإحاطة ، فمن فقد هذه بطل دعواه فيها .

يريد بذلك ما قاله أهل السنة : إن المؤمن الحقيقي من كان محكوماً له بالجنة^(٣) فمن لم يعلم ذلك من سرِّ حكمة الله تعالى^(٤) ، فدعواه : بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا الحسن العنبرى يقول : سمعت سهل بن عبد الله التستري^(٥) يقول : ينظر إليه ، تعالى ، المؤمنون^(٦) بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وقال أبو الحسين النورى^(٧) : شاهد الحق القلوب ، فلم ير قلباً أسوق إليه من قلب محمد ﷺ ، فأكرمه بالعراج ، تعجيلاً للرؤية والمكاملة .

سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك^(٨) ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت محمد ابن محبوب - خادم أبي عثمان المغربي - يقول : قال لى أبو عثمان المغربي يوماً : يا محمد ، لو قال لك أحد : أين معبودك ؟ إيش تقول ؟

قال : قلت : أقول حيث لم يزل^(٩) .

قال : فإن قال : أين كان فى الأزل^(١٠) ؟ إيش تقول ؟

(١) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطى : عالم كبير من خراسان من كبار اتباع المجتهد توفى بمرور سنة ٣٢٠ هـ .

(٢) تشير : تستلزم والمراد من العبارة أن الإيمان المجرد عن النظر الصحيح المؤدى إلى التصديق بكل ما جاء من عند الله

لا ينفع وأن من لم يحصل له اعتقاد صحيح مستند إلى نظر قوى بطلت دعواه بأنه مؤمن بالله حقاً .

(٣) لاستناده إلى البرهان القوى الذى أوصله إلى الإيمان الحقيقي .

(٤) بأن نطق بالإيمان بلسانه مع خلق قلبه عن معانيه فدعواه غير صحيحة : إذ التطق باللسان مع خلق القلب مع معاني الإيمان لا يكفى فى الخروج من أسر الجهالات والضلالات .

(٥) صوفى ورع ، لقى ذا النون وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة . توفى بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ .

(٦) فى الآخرة لقوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة .

(٧) هو : أبو الحسين أحمد بن محمد النورى . بغدادى المولد والمنشأ ، من أقران المجتهد ، قال الخطيب البغدادى : هو أعلم العراقيين بلطائف القوم . توفى سنة ٢٩٥ هـ .

(٨) الأنصارى الأصبهاني ، من كبار الصوفية وفقهاء الشافعية توفى على مقربة من نيسابور ودفن بها سنة ٤٠٦ هـ .

(٩) أى على الحالة والصفة اللاتين به فيما لا يزال من الزمن المتجدد .

(١٠) على أى صفة كونه فى القدم ؟

قال : قلت : أقول حيث هو الآن ، يعنى : أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان^(١) .
قال : فارتضى منى ذلك ، ونزع قميصه وأعطانيه .

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربي ، يقول : كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة^(٢) ، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبى^(٣) ، فكتبت إلى أصحابنا بمكة : أنى أسلمت الآن إسلاماً جديداً .

سمعت محمد بن الحسين السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول ، وقد سئل عن الخلق ، فقال : قوالب وأشباح تجرى عليهم أحكام القدرة^(٤) .

وقال الواسطى : لما كانت الأرواح والأجساد قائمتا بالله^(٥) ، وظهرتا به لا بذواتها ، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله لا بذواتها ، إذ الحركات والخطوات فروع الأجساد والأرواح^(٦) . صرح بهذا الكلام أن أكساب العباد^(٧) مخلوقة لله تعالى ، وكما أنه لا خالق للجواهر إلا الله تعالى ، فكذلك لا خالق للأعراض إلا الله تعالى .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبدالله يقول : سمعت أبا جعفر الصيدلانى يقول : سمعت أبا سعيد الخراز^(٨) يقول : من ظن أنه يبذل الجهد^(٩) يصل إلى مطلوبه فمتعن^(١٠) ، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتمن .

(١) لا مكان له ولا زمان .

(٢) أى كنت أميل إلى القول بالجهة له تعالى وأنه تعالى على العرش .

(٣) بعد أن سمع كلام المحققين والبراهين الدالة على تنزيهه عن الجهة .

(٤) تصرفهم قدرة الله ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرراً .

(٥) وجدت بقدرته .

(٦) الحركات تابعة للأجسام ، والخواطر تابعة للأرواح ، والأرواح والأجسام موجودة بقدرة الله ، وهى أصل ، والحركات والخواطر فرع ، ومثبت للأصل من كونه وجد بقدرة الله ثبت كذلك للفرع .

(٧) أكساب العباد : أفعالهم البدنية والقلبية .

(٨) هو : أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، من بغداد توفى سنة ٢٧٧ هـ . شيخ الصوفية . عارف بالله ، صلب ذا النون المصرى وغيره من أقطاب الصوفية . له كتاب « الطريق إلى الله » وغيره .

(٩) الجهد : فتح الجيم وضمها : الطاقة .

(١٠) متعن : متعب نفسه . مجهد لها . وقال الشيخ العروسى « إن الوصول بمعنى القرب من رحمته سبحانه وتعالى ، لا يلزم ترتيبه على العمل ، بل الاعتبار بما سبق به القضاء الأزل ، مما لا إطلاع لنا عليه ، وحينئذ فلا يصح الاعتماد على خير العمل ، ولا القنوط من شر ، لجهل المقدر ، فعلى العبد الامتنال مع التفويض إليه تعالى : وغاية الأمر أن الاستقامة على الأعمال الخيرية علامة على حسن العاقبة .

وقال الواسطي : المقامات^(١) أقسام قُسمت^(٢)، ونعوت أجريت ، كيف تُستجلب بحركات ؟ أو تنال بسعائيات^(٣) ؟ .

وسئل الواسطي عن الكفر بالله أو الله ، فقال : الكفر والإيمان ، والدنيا والآخرة : من الله ، وإلى الله ، وبالله ، والله : من الله ابتداءً وإنشاءً ، وإلى الله مرجعاً وانتهاءً ، وبالله بقاءً وفناءً ، والله ملكاً وخلقاً .

وقال الجنيد : سئل بعض العلماء عن التوحيد ، فقال : هو اليقين .

فقال السائل : بين لي ما هو ؟

فقال : هو : معرفتك ، أن حركات الخلق وسكونهم ، فعل الله عزَّ وجلَّ ، وحده ، لا شريك له فإذا فعلت ذلك فقد وحدته .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله ، يقول : سمعت عبدالواحد بن علي ، يقول : سمعت القاسم بن القاسم يقول سمعت محمد بن موسى الواسطي يقول محمد بن الحسين الجوهري يقول : سمعت ذا النون المصري يقول ، وقد جاءه رجل فقال : ادع الله لي فقال : إن كنت قد أيدت في علم الغيب^(٤) بصدق التوحيد ، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك ، وإلا فإن النداء لا يُنقذ الغرقى^(٥) .

وقال الواسطي : ادعى فرعون الربوبية على الكشف^(٦) ، وأدعت المعتزلة على الستر ، نقول : ما شئت فعلت^(٧) .

وقال أبو الحسين النوري : التوحيد : كلُّ خاطر يشير إلى الله تعالى ، بعد أن لا نزاحه خواطر التشبيه .

وأخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت عبدالواحد بن علي

(١) المقامات : الطرق الموصلة إليه تعالى كالزهد والورع وغيرها .

(٢) قُسمت : قدرت بتقدير الله .

(٣) وما دامت الأعمال والحركات لا توصل إلى الدرجات العالية ، فاللازم في حق العبيد القيام بمقتضى الأمر والنهي مع تفويض القبول وعدمه إلى الله تعالى ، حتى يدوم لهم الخوف والرجاء اللذان بهما تتحقق لهم العبودية .

(٤) أى في علم الله .

(٥) أى وإن لم تكن مؤيداً في علم الغيب ، فمجرد الدعاء لا ينتج حصول المطلوب بعينه ، كمجرد نداء الغريق بدون اتخاذ الأسباب لإخراجه من الفرق .

(٦) أى بصريح العبارة حيث قال « أنا ربكم الأعلى » .

(٧) المعتزلة ، ذهبوا إلى أنهم خلقتوا أفعالهم الاختيارية ، وقالوا « ما شئنا فعلنا » والحق أنه لا يفعل ما يشاء إلا الحق سبحانه وتعالى .

بكر ، يقول : سمعت هلال بن أحمد يقول : سئل أبو علي الروذباري^(١) عن التوحيد ، فقال : التوحيد : استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل ، وإنكار التشبيه ، والتوحيد في كلمة واحدة : كل ما صورّه الأوهام والأفكار فالله سبحانه بخلافه ، لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

وقال أبو القاسم النصر أباذى^(٣) : الجنة باقية بإبقائه ، وذكره لك ، ورحمته ، ومحبته لك باق ببقائه ، فستان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه^(٤).

وهذا الذي قاله الشيخ أبو القاسم النصر أباذى ، هو غاية في التحقيق : فإن أهل الحق قالوا صفات ذات القديم سبحانه : باقيات ببقائه تعالى . فنبه على هذه المسألة وبين أن الباقي باق ببقائه بخلاف ما قاله مخالفو أهل الحق^(٥) « فخالفوا الحق » .

أخبرنا محمد بن الحسين ؛ قال : سمعت النصر أباذى يقول : أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات ، وكلاهما صفته تعالى ، على الحقيقة ، فإذا هيّمك^(٦) في مقام التفرقة قرّك بصفات فعله ، وإذا بلغك إلى مقام الجمع قرّك بصفات ذاته ، وأبو القاسم النصر أباذى كان شيخ وقته .

سمعت الإمام أبا إسحق الإسفرائيني ، رحمه الله ، يقول : لما قدمت من بغداد كنت أدرس في جامع نيسابور مسألة الروح ، وأشرح القول في أنها مخلوقة ، وكان أبو القاسم النصر أباذى قاعداً متابعداً عنا ؛ يصغى إلى كلامي ، فاجتاز بنا بعد ذلك يوماً - بأيام قلائل ، فقال لمحمد الفراء : اشهد أني أسلمت جديداً على يد هذا الرجل ، وأشار إلى^(٧) .

سمعت محمد بن الحسين السلمى ، يقول : سمعت أبا حسين الفارسي يقول : سمعت إبراهيم بن فاتك يقول : سمعت الجنيد يقول : متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له

(١) هو : أبو علي أحمد بن محمد الروذباري . أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢ هـ . وولد ببغداد ، كان إماماً من أئمة الصوفية ، وأعلم أهل زمانه بها .

(٢) آية ١١ من سورة النور .

(٣) هو : أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر أباذى ، كان محدثاً زاهداً ورعاً وكان في علم التصوف إماماً ، مات بمكة سنة

٣٦٦ هـ .

(٤) الجنة . وما أعدّه الله فيها للمؤمنين ، كل ذلك من الذي يبقى بإبقاء الله تعالى له ، ومحبة الله : وذكره لعبده ، من الذي يبقى ببقاء الذات : فاللثاني أفضل وأشرف من الأول .

(٥) من أنه لا يبقى شيء ببقائه . والغرض مما قاله الشيخ : أنه ينبغي للعبد أن يكون مشغولاً بنيل ذكر الله له . ومحبة له وشرف منزلته عنده ، دون ما يخلقه له من كرامة دنيوية أو أخروية .

(٦) هيّمك : فرق قلبك ووزعه .

(٧) لأنه كان يعتقد قدم الروح ؛ فلما سمع منه أدلة حدوثها صرح بذلك للتصريح السابق .

شبيه ونظير؟! هيهات ، هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ، ولا وهم ، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان .

أخبرنا محمد بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت عبدالواحد بن بكر يقول : حدثني أحمد بن محمد بن علي البرذعي ، قال : حدثنا طاهر بن إسماعيل الرازي ، قال : قيل ليحيى بن معاذ : أخبرني عن الله عز وجل .

فقال : إله واحد .

فقيل له : كيف هو ؟

فقال : ملك قادر .

فقيل : أين هو ؟

فقال : هو بالمرصاد .

فقال السائل : لم أسألك عن هذا !! ..

فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق . فأما صفته فما أخبرتك عنه .

وأخبرنا محمد بن الحسين ، قال : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : كل ماتوهم^(١) متوهم بالجهل أنه كذلك ، فالعقل يدل على أنه بخلافه . وسأل ابن شاهين الجنيّد عن معنى : مع^(٢) .

فقال : مع ، على معنيين : مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة^(٣) ، قال الله تعالى ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ ^١ .

ومع العامة بالعلم والإحاطة^(٤) ، قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ ﴾ ^٢ .

فقال ابن شاهين : مثلك يصلح أن يكون دالاً للأمة على الله .

وسئل ذو النون المصري عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

(١) توهمه : تخيله . وكل تخيل بالنسبة لله تعالى إنما هو وهم .

(٢) فيها فيه المعية من الله بالنسبة إلى خلقه ، نحو قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم » وقوله « إن الله مع الذين اتقوا » .

(٣) الكلاءة : الحفظ .

(٤) آية ٤٦ من سورة طه .

(٥) وبهذا التفسير ظهر استحالة أن يكون معنى « المعية المصاحبة أو المجاورة أو المدانة » .

(٦) آية ٧ من سورة المجادلة .

فقال : أثبت ذاته ونفى مكانه ، فهو موجود بذاته ، والأشياء موجودة بحكمه ، كما شاء سبحانه .

وسئل الشبلي^(١) عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال : الرحمن لم يزل^(٢) ، والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى^(٣) . وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقال : استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء وقال جعفر الصادق^(٤) : من زعم أن الله في شيء ، أو من شيء ، أو على شيء ، فقد أشرك ؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان من شيء لكان محدثاً^(٥) .

وقال جعفر الصادق أيضاً في قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ : من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة ، إنما التدانى أنه كلما قرب منه بعده عن أنواع المعارف^(٦) إذ لا دنو ولا بُعد . ورأيت بخط الأستاذ أبي علي أنه قيل لصوفي : أين الله ؟ .

فقال : أسحقتك الله !! تطلب مع العين أين ؟ .
أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي يقول : سمعت أبا القاسم بن موسى يقول : سمعت محمد بن أحمد يقول : سمعت الأنصاري^(٧) يقول : سمعت الخراز يقول :

حقيقة القرب : فقد جس الأشياء من القلب وهذو الضمير إلى الله تعالى :
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن علي الحافظ يقول : سمعت أبا معاذ

(١) هو : أبو بكر دلف بن جعفر الشبلي ، بغدادي المولد والمنشأ ، ولد سنة ٢٤٧ هـ وتوفي ٣٣٤ هـ ، صاحب الجنيد ، وكان إمام زمانه علماً وورعاً ومعرفة .

(٢) أي قديم .
(٣) أي والعرش بقدرة الرحمن استوى . فهو تعالى مستغن عنه وعن غيره ، وإنما خلقه إظهاراً لعظمته ، لا مكاناً لذاته ، لتعالیه عن ذلك .

(٤) هو أبو عبد الله ، جعفر بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ، الهاشمي القرشي ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية كان من التابعين وعنه أخذ جماعة منهم : أبو حنيفة ومالك وجابر بن حيان . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٨ هـ .
(٥) سئلت أم سلمة رضي الله عنها عن قوله « الرحمن على العرش استوى » فقالت : كيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والجحود له كفر .
وسئل عنه الإمام مالك رضي الله عنه فقال : « الاستواء منه غير مجهول والكيف به غير معقول . والإيمان به سنة والسؤال عنه بدعة » .

(٦) قرب منه بقلبه ومناجاته ، بعدت عنه أنواع المعارف الدنيوية الحسية : لاشتغاله بمولاه لا بما عداه .

(٧) هو : أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري المرسى .

القزويني يقول : سمعت أبا الدقاق يقول : سمعت أبا عبدالله بن قهرمان يقول : سمعت إبراهيم الخواص^(١) يقول :

انتهيت إلى رجل ، وقد صرعه الشيطان ، فجعلت أذن في أذنه ، فناداني الشيطان من جوفه : دعني أقتله ؛ فإنه يقول القرآن مخلوق .

وقال ابن عطاء^(٢) : إن الله تعالى : لما خلق الأحرف جعلها سرًّا له ، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر^(٣) ، ولم يثب ذلك السر في أحد من ملائكته ، فجرت الأحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجريان وفنون اللغات ، فجعلها الله صوراً لها^(٤) . صرح ابن عطاء القول بأن الحروف مخلوقة .

وقال سهل بن عبدالله : إن الحروف لسان^(٥) فعل ، لا لسان ذات ؛ لأنها فعل^(٦) في مفعول^(٧) .

قال : وهذا أيضاً تصريح بأن الحروف مخلوقة .

وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين : التوكل عمل القلب ، والتوحيد قول القلب ، قال : هذا قول أهل الأصول ، إن الكلام : هو المعنى الذي قام بالقلب من معنى الأمر والنهي ، والخبر ، والاستخبار .

وقال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين أيضاً : تفرد الحق بعلم الغيوب ، فعلم ما كان ، وما يكون ، وما لا يكون : أن لو كان كيف كان يكون .

وقال الحسين بن منصور : من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه^(٨) : لم وكيف . أخبرنا محمد بن الحسين ، قال : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : قال الجنيد : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد . وقال الواسطي : ما أحدث الله شيئاً أكرم من الروح . صرح بأن الروح مخلوقة .

(١) هو : أبو اسحق إبراهيم بن أحمد الخواص ، لازم الجنيد ، وتوفى سنة ٢٩١ هـ .

(٢) أحمد بن عطاء الروذباري .

(٣) علمه إياه .

(٤) أي أصبحت هذه الحروف قوالب للمعاني على حسب اختلاف اللغات .

(٥) أي دالة .

(٦) أي مخلوق من جملة ما خلق .

(٧) أي في مختلف اللغات .

(٨) أي سقط عنه الاعتراض على ما يشاهده ، ولم يقع منه سؤال بلم كان كذا ؟ ، أو كيف كان كذا ؟ .

قال الأستاذ الإمام زين الإسلام أبو القاسم^(١)، رحمه الله : دلت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق^(٢) في مسائل الأصول .
وقد اقتصرنا على هذا المقدار خشية خروجنا عما أثناه من الإيجاز والاختصار .

(١) القشيري .
(٢) أهل السنة والجماعة .

فصل

قال الأستاذ زين الإسلام أبو القاسم ، أدام الله عزّه :
وهذه فصول تشتمل على بيان عقائدهم في مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب .
قال شيوخ هذه الطريقة ، على مايدل عليه متفرقات كلامهم ، ومجموعاتها ، ومصنفاتهم في
التوحيد :

إن الحق ، سبحانه وتعالى : موجود ، قديم^(١) ، واحد^(٢) ، حكيم^(٣) ، قادر^(٤) ، عليم^(٥) ، قاهر^(٦) ،
رحيم ، مريد ، سميع ، مجيد ، رفيع^(٧) ، متكلم ، بصير ، متكبر^(٨) ، قدير ، حيّ ، أحد ، باق^(٩) ،
صمد^(١٠) .

وأنه عالم يعلم ، قادر بقدرة ؛ مريد بإرادة ؛ سميع بسمع ؛ بصير ببصر ؛ متكلم بكلام ؛
حيّ بحياة ؛ باق ببقاء .

وله يدان هما صفتان ؛ يخلق بهما ما يشاء ، سبحانه ، على التخصيص
وله الوجه^(١١) . وصفات ذاته^(١٢) مختصة بذاته ، لا يقال هي هو ، ولا هي أغيار له ، بل هي
صفات أزلية^(١٣) ، ونعوت سرمدية^(١٤) ، وأنه أحديّ الذات ، ليس يشبه شيئاً من المصنوعات ، ولا

-
- (١) قديم : لا أول لوجوده .
 - (٢) واحد : لا ثاني له في الألوهية .
 - (٣) حكيم : يضع الشيء في موضعه .
 - (٤) قادر : لا يعجزه شيء .
 - (٥) عليم : لا يعزب عن علمه شيء .
 - (٦) قاهر : غالب .
 - (٧) رفيع : عظيم .
 - (٨) متكبر : متعظم ومتعال على غيره .
 - (٩) باق : باق على الدوام فلا يلحقه العدم .
 - (١٠) صمد : مقصود .
 - (١١) الوجه : الذات وفي نسخة : الوجه الجميل .
 - (١٢) كالعلم والقدرة ، مختصة بذاته لا تتجاوزها إلى غيره ؛ لأنها قديمة ، وغيره حادث والقديم لا يتعلق بالحادث .
 - (١٣) أزلية : قديمة ، نسبة إلى الأزل وهو القدم .
 - (١٤) أوصاف دائمة .

يشبهه شيء من المخلوقات ، ليس بجسم ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صفاته أعراض ، ولا يتصور في الأوهام ، ولا يتقدر في العقول ، ولا له جهة ولا مكان ، ولا يجري عليه وقت وزمان ، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان ، ولا يخصه هيئة وقد^(١) ، ولا يقطعه^(٢) نهاية وحد ، ولا يحله حادث ، ولا يحمله على الفعل باعث^(٣) ، ولا يجوز عليه لون ولا كَوْن ، ولا ينصره مدد ولا عون ؛ ولا يخرج عن قدرته مقدور ؛ ولا ينفك عن حكمه مفطور^(٤) ؛ ولا يعزب^(٥) عن علمه معلوم ؛ ولا هو على فعله كيف يصنع ملوم ؛ لا يقال له : أين ؛ ولا حيث ؛ ولا كيف^(٦) ؛ ولا يستفتح له وجود ؛ فيقال : متى كان ؛ ولا ينتهى له بقاء ؛ فيقال استوفى الأجل والزمان ، ولا يقال : لم فعل ما فعل ؛ إذ لا علة لأفعاله^(٧) ؛ ولا يقال ما هو ؛ إذ لا جنس له فيتميز بأماره عن أشكاله^(٨) يرى لا عن مقابلة ، ويرى غيره لا عن ماقلة ، ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة . له الأسماء الحسنی ، والصفات العلا ، يفعل ما يريد ، ويذل لحكمه العبيد ، لا يجري في سلطانه إلا ما يشاء ، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء ، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون ، وما علم أنه لا يكون ، مما جاز أن يكون : أراد أن لا يكون ، خالق أكساب العباد : خيرها وشرها . ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار : قلها وكثرها ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه .

ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ؛ بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه ، ومؤيد نبينا محمد ﷺ ، بالمعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، بما أزاح به العذر ، وأوضح به اليقين والنكر ، وحافظ بيضة^(٩) الإسلام بعد وفاته ، ﷺ ، بخلفائه الراشدين ، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه ، عصم الأمة الحنفية عن الاجتماع على الضلالة ، وحسم مادة^(١٠) الباطل بما نصب من الدلالة ، وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(١١) .
فهذه : فصول تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز . وبالله التوفيق .

(١) هيئة وقد : كيفية ومقدار .

(٢) يقطعه : يعلمه .

(٣) لأنه منزّه عن الغرض والعلة وإن كانت أفعاله لا تخلو من حكمة .

(٤) مفطور : مخلوق . (٨) أشكاله : أمثاله .

(٥) يعزب : يغييب . (٩) عزه وجماعته .

(٦) لأنه منزّه عن المكان والكيفية . (١٠) مادة : أصل ومنشأ .

(٧) لا يسأل عما يفعل . (١١) آية : ٣٣ من سورة التوبة .

باب

في ذكر مشايخ هذه الطريقة^(١)

وما يدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة^(٢)

اعلموا ، رحمكم الله تعالى ، أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ :
لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية عَلم ، سوى صحبة رسول الله ﷺ ، إذ لا فضيلة
فوقها ، فقليل لهم : الصحابة .
ولم أدركهم أهل العصر الثاني سوى من صحب الصحابة : التابعين . ورأوا في ذلك أشرف
سمة^(٣) . ثم قيل لمن بعدهم : أتباع التابعين .
ثم اختلف الناس ، وتباينت المراتب ، فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر
الدين : الزهاد والعُباد .
ثم ظهرت البدع ، وحصل التداعي^(٤) بين الفرق ، فكل فريق ادّعى أن فيهم زهاداً .
فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم^(٥) مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم عن
طوارق الغفلة باسم « التصوف » .
واشتهر هذا الأسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .
ونحن نذكر في هذا الباب أسامي جماعة من شيوخ هذه الطريقة ، من الطبقة الأولى إلى
وقت المتأخرين منهم ، ونذكر مجلًا من سيرهم ، وأقوالهم ، بما يكون فيه تنبيه على أصوله ،
وأدابهم إن شاء الله تعالى .

(١) أي الطريقة المعنوية المعبر بها عن القيام بوظائف العبادات ، والمتوصل بها إلى المقامات : كالزهد والورع وغيرها .

(٢) الشريعة : ما شرعه الله لعباده من الدين .

(٣) سمة : علامة .

(٤) التداعي : التنازع .

(٥) الدائمون على الاشتغال بالعبادة مع المراقبة ، فلا يخرج لهم نفس إلا حاسبوا أنفسهم عليه .

فمنهم :

أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور

من كُورة بلخ ، رضى الله تعالى عنه .
كان من أبناء الملوك ، فخرج يوماً متصيِّداً ، فأثار ثعلباً أو أرنباً وهو في طلبه ، فهتف به هاتف^(١) : يا إبراهيم ، ألهذا خلقت ، أم بهذا أمرت ؟ .
ثم هتف به أيضاً من « قريوس »^(٢) سرجه : والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت .
فنزل عن دابته .
وصادف راعياً لأبيه ، فأخذ جُبَّةً للراعي من صوف ، ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ، ثم إنه دخل البادية ، ثم دخل مكة ، وصحب بها سفيان الثوري^(٣) .
والفضيل^(٤) بن عياض ، ودخل الشام ومات بها .
وكان يأكل من عمل يده ، مثل : الحصاد ، وحفظ البساتين ، وغير ذلك .
وأنه رأى في البادية رجلاً علَّمه « اسم الله الأعظم » فدعا به بعده^(٥) ، فرأى الخضر عليه السلام ، وقال له : إنما علَّمك أخى داود اسم الله الأعظم .

(١) من ملك أو خاطر وقع في قلبه ملهاً .

(٢) القريوس (يفتح القاف) حنر السرج أى : قسمة المقوس المرتفع من قدام المقعد ومن مؤخره .

(٣) هو : سفيان بن سعيد الثوري ولد سنة ٩٧ هـ وتوفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ وكان عالماً عابداً زاهداً ، كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث وكان لا يعلم أحدًا العلم إلا إذا تعلم الأدب والتزمه ، وكان يقول : إذا فسد العلماء فمُن بقى في الدنيا يصلحهم ؟ ثم يشد :

يا معشر العلماء يا ملح البلد من يصلح الملح إذا الملح فسد ؟
وكان إذا جلس للعلم ، وأعجبه منطقته ، يقطع الكلام - خوفاً من القُرور - ويقوم ويقول : أخذنا ونحن لا نشعر ، وكان يلى الحديث . ويقول : والله لو رآني عمر بن الخطاب لضربني بالدرّة وأقام لى . وقال « منك لا يصلح للحديث » .
وكان يقول للناس - إذا طلبوا منه الحديث : واقه ما أرى نفسى أهلاً لإملاء الحديث ، ولا أنتم أهلاً لأن تسموه وما مثلى ومنلكم إلا كما قال القائل : « انتضحوا فاصطلحوا » . وكان قد امتنع من الجلوس للعلم فقليل له في ذلك ، فقال : واقه لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله لأتيتهم في بيوتهم وعلمتهم ولكن إنما يريدون به البهاة وقولهم حدثنا سفيان » . وكان رحمه الله من أعلم هذه الأمة وأزهدا .

(٤) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي شيخ الحرم من أكابر العباد الصالحاء . كان ثقة في الحديث : أخذ عنه الإمام الشافعي . ومولده في سمرقند سنة ١٠٥ هـ وتوفي بمكة سنة ١٨٧ هـ .

(٥) أى بعد انصراف الرجل .

أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، قال : حدثنا محمد بن الحسين بن الخشاب قال : حدثنا أبو الحسن على بن محمد المصرى ، قال : حدثنا أبو سعيد الخراز قال : حدثنا إبراهيم بن بشار قال : صحبت إبراهيم بن أدهم ، فقلت : خبرنى عن بدء أمرك فذكر هذا .

وكان إبراهيم بن أدهم كبير الشأن فى باب الورع ، ويحكى عنه أنه قال :
أطب مطعمك ، ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار
وقيل : كان عامة^(١) دعائه : « اللهم انقلنى من ذلِّ معصيتك إلى عزِّ طاعتك » وقيل
لإبراهيم بن أدهم : إن اللحم قد غلا !! .
فقال : أرخصه أى : لا تشتروه . وأنشد فى ذلك :

وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
أخبرنا محمد بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، قال : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت
محمد بن حامد يقول سمعت أحمد بن خضرويه يقول ، قال إبراهيم بن أدهم لرجل فى
الطواف :

أعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات :
أولها : تغلق^(٢) باب النعمة ، وتفتح^(٣) باب الشدة .
والثانية : تغلق باب العز ، وتفتح باب الذل .
والثالثة : تغلق باب الراحة ، وتفتح باب الجهد .
والرابعة : تغلق باب النوم ؛ وتفتح باب السهر .
والخامسة : تغلق بابا الغنى ، وتفتح باب الفقر .
والسادسة تغلق باب الأمل ، وتفتح باب الاستعداد للموت .
وكان إبراهيم بن أدهم يحفظ كَرَمًا ، فمرَّ به جندي ، فقال : أعطنا من هذا العنب فقال :
ما أمرنى به صاحبه .

(١) عامة : أكثر .

(٢) تغلق : تعرض .

(٣) تفتح : تعرض .

فأخذ يضربه بسوطه ، فطأ رأسه وقال :
 اضرب رأساً طالما عصى الله . فأعجز الرجل ومضى .
 قال سهل بن إبراهيم : صحبت إبراهيم بن أدهم ، فمرضت ، فأنفق على نفقته فاشتريت
 شهوة ، فباع حمارة وأنفق على ثمنه ، فلما تماثلت ، قلت :
 يا إبراهيم ، أين الحمارة ؟ فقال : بعناه ، فقلت : فعلى ماذا أركب ؟ فقال : يا أخى على
 عنقى ، فحملنى ثلاث منازل .

ومنهم :

أبو الفيض ذو النون المصري

واسمه : ثوبان بن إبراهيم ، وقيل الفيض بن إبراهيم ، وأبوه كان نوبيا^(١) .
توفي سنة : خمس وأربعين ومائتين . فائق في^(٢) هذا الشأن ، وأوحد وقته علما ، وورعا ،
وحالا ، وأدبا .

سقوا به إلى المتوكل ، فاستحضره من مصر ، فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل وردّه إلى
مصر مكرما ، وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول : إذا ذكر أهل الورع
فحيها^(٣) بذى النون .

وكان رجلا نحيفا ، تعلوه حمرة ، ليس بأبيض اللحية .
سمعت أحمد بن محمد يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون يقول :
مدار الكلام على أربع :

حبُّ الجليل ، وبغض القليل ، وأتباع التنزيل ، وخوف التحويل^(٤) .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله : يقول : سمعت سعيد بن أحمد بن جعفر يقول :
سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون
المصري يقول :
من علامات المحبِّ لله عزَّ وجل : متابعة حبيب الله ، ﷺ ، في أخلاقه ، وأفعاله ،
وأوامره ، وسنته .

(١) أصله من التوبة ، ثم نزل بأخميم من ديار مصر فأقام بها .
قال ابن يونس : امتحن وأودى « لكونه أتى بعلم لم يعهد ، روى عن مالك والليث ، وروى عنه كثيرون منهم : الحسن بن
مصعب ، وابن صبيح ، والطائي .

سمع يوما صوت لوط دفاف ، فقال : ما هذا ؟ قيل له : عرس ، وسمع بجانيه بكاء وصياحا ، فقال : ما هذا ؟ قيل : فلان
مات . فقال : أعطى هؤلاء فما شكروا وابتل هؤلاء فما صبروا .

ومن كلامه : « من راقب العواقب سلم » و « الزهاد ملوم الآخرة وهم فقراء العارفين » و « من وثق بالمقادير لم يقنم »
و « الأنس ياتيه نور ساطع والأنس بالناس سم قاطع » و « مفتاح العبادة الفكرة » و « علامة الإصابة مخالفة النفس ، والعبودية أن
تكون عبده في كل حال كما هو ربك في كل حال » .

(٢) في نسخة بدون : في .

(٣) أى فأسرع بذكره : فإنه أفضلهم .

(٤) التحويل : التغيير من حال إلى حال أسوأ ، وزيد في بعض النسخ بعد العبارة الماضية « فإذا عرف العبد ربه ودينه :
ومت استقامته . وخاف على نفسه من الخاتمة فقد استقامت أحواله » .

وسئل ذو النون عن السَّفلة فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله ، ولا يتعرفه .
سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله
ابن شاذان يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول :

حضرت مجلس ذى النون يوماً ؛ وجاءه سالم المغربى ، فقال له : يا أبا الفيض ، ما كان
سبب توبتك ؟ قال : عجب لا تطيقه ، قال : بمعبودك إلا أخبرتنى .

فقال ذو النون : أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى ، فتمت فى الطريق فى بعض
الصحارى ، ففتحت عيني ، فإذا أنا^(١) بـ « قنبرة » عمياء سقطت من وكرها على الأرض ،
فأنشقت الأرض ، فخرج منها « سكرجتان »^(٢) : إحداهما ذهب ، والأخرى فضة وفى إحداهما
سمسم ، وفى الأخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا ، وتشرب من هذا .

فقلت : حسبي ، قد تبت ، ولزمت الباب إلى أن قبلنى الله عز وجل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت على بن عمر الحافظ يقول : سمعت ابن رشيقي :
يقول : سمعت أبا دجانة يقول : سمعت ذا النون يقول :

لا تسكن الحكمة^(٣) معدة مُلئت طعاماً .

وسئل ذو النون عن التوبة^(٤) فقال :

توبة العوام^(٥) تكون من الذنوب ، وتوبة الخواصّ تكون من الغفلة^(٦) .

(١) طائر .

(٢) سكر جتان (مثنى ، والواحدة سكرجة بضم السين) وهى : الصفحة التى يوضع فيها الأكل :

(٣) الحكمة : العلم النافع مع العمل المتقن . قال العروسى : « إن الحكمة حكمتان : منطوق بها ، وهى : علوم الشريعة
والطريقة ، وسكوت عنها ، وهى أسرار الحقيقة التى لا يفهمها علماء الرسوم والعامة ؛ والحكمة المجهولة : هى ما غاب عنا وجهها
من أحكام سر القدر الذى استأثر الله بعلمه .. وكل ذلك إنما يتوصل إليه بالمجوع الموجب للنشاط فى العبادة ، والمؤثر فى تنوير
القلوب حتى تدرك جواهر العلوم قال ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب المسلم أكالات يقمن صلبه . فإن كان
لا محالة ، فنلت لطعامه ، وثلت لشرايه وثلت لنفسه » .

(٤) وهى - على الحقيقة - إقلاع التائب عما يتوب عنه ، وعزمه على أن لا يعود إليه ، ورده ظلامه الآدمى إن تعلق به ..

(٥) قال العروسى « اعلم أنهم يريدون من العوام : القائمين بما عليهم من أحكام الأوامر والنواهي » ثم قال : « حرية العامة
بالتخلص من رق الشهوات ، والمخاصة بالتخلص من رق العادات ، وخاصة المخاصة بالتخلص من الوقوف مع الأحوال والمقامات
حيث تكون لهم أنفة لا ترضى إلا بمشاهدة الذات » .

(٦) أى الغفلة عن الطاعات .

ومنهم :

أبو علي الفضيل بن عياض^(١)

خرساني^(٢) ، من ناحية مرو .

وقيل إنه وُلد بسمرقند ، ونشأ بأبيورد مات بمكة في المحرم سنة : سبع وثمانين ومائة .
سمعت محمد بن الحسين يقول : أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر قال : حدثنا الحسن بن
عبدالله العسكري ، قال : حدثنا ابن أخي أبي زرعة ، قال : حدثنا محمد بن إسحق بن
راهويه قال : حدثنا أبو عمار ، عن الفضل بن موسى ، قال :

كان الفضيل شاطراً^(٣) : يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وكان سبب توبته : أنه عشق
جارية ، فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تالياً يتلو : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ
لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٤) فقال : يارب قد آن .

فرجع .. فأواه الليل إلى خربة ، فإذا فيها رُفقة^(٥) ، فقال بعضهم : نرتحل ، وقال قوم : حتى
نصبح ، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا .

فتاب الفضيل^(٦) وأمنهم . وجاور الحرم حتى مات .

وقال الفضيل بن عياض : إذا أحبَّ عبداً أكثر غمّه^(٧) ، وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه
دنياه^(٨) .

وقال ابن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن^(٩) .

(١) هو : الفضيل بن مسعود بن بشر التميمي ، كان إماماً ربانياً صمدياً عابداً شديد الخوف دائم الفكر ، من كلامه « قلوب
العارفين : الهوم عيرانها والأعزان أوطانها » و « جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت
وجعل مفتاحه الزهد فيها » و « من خاف الله لم يضره شيء ومن خاف غيره لم ينفعه شيء » و « يهاك الخلق على قدر هيبتك له » .

(٢) ولد بخراسان . بكورة أبيورد . وقدم الكوفة وهو كبير .

(٣) شطر (بضم الطاء) شطارة : اتصف بالدهاء والخباثة فهو شاطر ، والشاطر أيضاً : من أعجزه أهله بخبته .

(٤) آية ١٦ من سورة الحديد .

(٥) جماعة .

(٦) أي جدد توبته وأظهرها .

(٧) يتذكره أمر آخرته ، ويتقصيره في أمر دينه .

(٨) قال الشيخ زكريا الأنصاري : « .. أي شغله عنه بحبه لها » .

(٩) لكونه أكثر الناس حزناً في وقته .

وقال الفضيل :

لو أن الدنيا بحذافيرها عُرِضت على ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها ، كما يتقذّر أحدكم الجيفة إذا مرّ بها أن تصيب ثوبه .

وقال الفضيل :

لو حلفت أني مُراء أحبُّ إلى من أن أحلف أني لست براء .

وقال الفضيل :

ترك العمل لأجل الناس^(١) هو الرياء ، والعمل لأجل الناس^(٢) هو الشرك .

وقال أبو علي الرازي : صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً^(٣)، ولا مبتسماً ، إلا يوم مات ابنه علي ، فقلت له في ذلك ، فقال :

إن الله أحبُّ أمراً فأحببت ذلك .

وقال الفضيل :

إني لأعصى الله ، فأعرف ذلك في خلق حماري^(٤) وخادمي .

(١) أى لأجل ثنائهم .

(٢) حبا في الحمد : أو نبلاً لعرض فان .

(٣) فيه دليل على كمال حزنه في سائر أوقاته ، وإنما تكلف الضحك والسرور يموت ولده على خلاف عادته ، لأنه علم أن الله تعالى يحب منه هذه الحالة ، لكونها دليل الرضا بقضائه ..

(٤) أى بأن يتعاصى عليه حماره .. وهذا يفعله الله حفظاً لأوليائه إذا قصروا في أحوالهم فيما بينهم وبينه ، أديهم ليرجعوا إليه بسرعة ، وتارة يعكس عليهم أسباب دنياهم . وتارة أخرى أسباب آخرتهم من تغير قلوبهم ، وعدم نشاطهم ، فإذا رجعوا إليه بالتذلل والسؤال من عليهم بشريف نواله ..

وممنهم :

أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي^(١)

كان من المشايخ الكبار ، مجاب الدعوة^(٢) ، يُستشفَى بقبْرِهِ .

يقول البغداديون : قبر معروف ترياق مجرب .

وهو من موالى عليّ بن موسى الرضا^(٣) ، رضى الله عنه ، مات سنة مائتين : وقيل : سنة إحدى ومائتين ، وكان أستاذ السرى السقطي ، وقد قال له يوماً : إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول : كان معروف الكرخي أبواه نصرانيان ، فسلموا معروفًا إلى مؤدبهم ، وهو صبي ، فكان المؤدب يقول له : قل ثلاث ثلاثة . فيقول بل هو واحد . فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً ، فهرب معروف ، فكان أبواه يقولان : ليته يرجع إلينا على أيّ دين يشاء ، فتوافقه عليه .

ثم إنه أسلم على يدى « عليّ بن موسى الرضا » .. ورجع إلى منزله .. ودقّ الباب . فقيل : من بالباب ؟ فقال : معروف . فقالوا : على أيّ دين جئت ؟ فقال : على الدين الحنيفي . فأسلم أبواه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا بكر الحريري يقول : سمعت سرياً السقطي يقول : رأيت معروفًا الكرخي في النوم كأنه تحت العرش ، فيقول الله عز وجل ملائكته : من هذا ؟ فيقولون : أنت أعلم يارب .

(١) لم يكن في العراق في وقته من يربى المريدين مثله ، وجميع المشايخ يعرفون في ذلك فضله . قال الفزالي : « كان أحد بن حنبل وابن معين يختلفان إليه ويسألانه . ولم يكن في علم الظاهر مثلها » والكرخي « نسبة إلى كرخ » وهي قرية ببغداد . (٢) قال خليل الصياد : غاب ولدى فتأملت ، فجئت إلى معروف ، فقلت : غاب ولدى . قال وما تريد ؟ قلت : رجوعه . فقال : اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك إئت بمحمد ، فأنت باب الشام فإذا هو واقف . فقلت : أين كنت ؟ قال : كنت الساعة بالأنبار ولا أعلم ما صار .

(٣) ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أجله المأمون وعهد إليه الخلافة من بعده ومات قبل أن يمكث بنو العباس منها ، ولد في المدينة سنة ١٤٨ هـ ومات بطوس سنة ٢٠٣ هـ .

له كرامات كثيرة : منها أنه قال لرجل صحيح سليم : استمد لما لا بد منه « فمات بعد ثلاثة أيام ؛ وروى الحاكم أن أبا حبيب قال : « رأيت المصطفى عليه الصلاة والسلام في النوم . في المنزل الذي ينزله الحاج ببلدنا ، فوجدت عنده طبقاً من خوص فيه تمر (صيحاني) ، فتناولني ثمان عشرة تمر . وبعد عشرين يوماً قدم علي الرضا من المدينة ونزل ذلك المنزل ، وفرغ الناس للسلام عليه . ومضيت نحوه فإذا هو جالس بالوضع الذي رأيت المصطفى جالساً فيه ، وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني فتناولني قبضة فإذا عديتها بعدد ما تناولني المصطفى . فقلت : زمني . فقال : لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك .

فيقول هذا معروف الكرخي ، سكر من حُبى ، فلا يفيق إلا بِلِقائى .
وقال معروف : قال لى بعض أصحاب داود الطائى : إياك أن تترك العمل ؛ فإن ذلك الذى
يقرُّبك إلى رضا مولاك . فقلت : وما ذلك العمل ؟ .

فقال : دوام طاعة ربك ، وخدمة^(١) المسلمين ، والنصيحة لهم .
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت على بن
محمد الدلال يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبى يقول :
رأيت معروفاً الكرخي فى النوم ، بعد موته ، فقلت له : ماذا فعل الله بك ؟ فقال : غفر
لى .

فقلت : بزهك وورعك ؟ فقال : لا ، بقبولى موعظة ابن السماك ، ولزوم^(٢) الفقر ، ومحبى
للفقراء .

وموعظة ابن السماك : ما قاله معروف :
كنت مارا بالكوفة ، فوقفت على رجل يقال له : « ابن السماك » وهو يعظ الناس .
فقال فى خلال كلامه : من أعرض عن الله بكلية أعرض الله عنه جملة .. ومن أقبل على
الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه^(٣) ، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ، ومن كان مرّة ومرّة فآله
يرحمه وقتاً ما ، فوقع كلامه فى^(٤) قلبى ، فأقبلت على الله تعالى ، وتركت جميع ما كنت عليه ،
إلا خدمة مولاي « على بن موسى الرضا » .
وذكرت هذا الكلام لمولاي ، فقال : يكفيك بهذا موعظة إن اتعظت .

أخبرنى بهذه الحكاية محمد بن الحسين ، قال : سمعت عبد الرحيم بن على الحافظ ببغداد
يقول :

سمعت محمد بن عمر بن الفضل يقول : سمعت على بن عيسى يقول : سمعت سرياً
لسقطى يقول : سمعت معروفاً يقول ذلك .
وقيل لمعروف فى مرض موته : أوص .

(١) وفى بعض النسخ « وحرمة المسلمين » أى إحترامهم .

(٢) وفى بعض النسخ « ولزومى » .

(٣) وفى نسخة « عليه » .

(٤) وفى نسخة « على » .

فقال : إذا متُ فتصدَّقوا بقميصي ؛ فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً :

ومرَّ معروف بسقاء يقول : رحم الله من يشرب ، وكان صائماً^(١) ، فتقدَّم فشرب ، فقيل له ألم تكن صائماً ؟ فقال : بلى ، ولكني رجوت دعاءه^(٢) .

(١) صيام نفل وتطوع والرسول ﷺ قال : الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر .
 (٢) ومن كلامه : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، ورجاء رحمة من لا يطاع جهل وحق ، وقال : التصوف : الأخذ بالحقائق واليأس مما بأيدي الخلائق .
 وقال : طول الأمل يمنع خير العمل .
 وقال : ما أكثر الصالحين وأقل الصادقين منهم .
 وقال : إذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين ، فلا يكرهه إلا من بقلبه مرض ..
 وقال : احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من النَّم ..
 وقال : حقيقة الوفاء : إفاقة السر من رقدة الغفلات ، وفراغ الهم عن فضول الآفات .

ومنهم :

أبو الحسن سرى بن المغلس السقطي^(١)

خال الجنيد ، وأستاذه .

وكان تلميذ معروف الكرخي ؛ كان أوحّد زمانه في الورع ، وأحوال السنة^(٢) وعلوم التوحيد :

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول : سمعت أبا عمرو ابن علوان يقول : سمعت أبا العباس بن مسروق يقول :

بلغني أن السريّ السقطي كان يتجرّ في السوق ، وهو من أصحاب معروف الكرخي ، فجاءه معروف يوماً ، ومعه صبيّ يتيم ، فقال : اكس هذا اليتيم . قال سرى : فكسوته ، ففرح به معروف ، وقال : بغض الله إليك الدنيا ، وأراحك مما أنت فيه .

فقمّت من الحانوت وليس شيء أبغض إلىّ من الدنيا .

وكل ما أنا فيه من بركات معروف .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا عمر الأنماطي يقول : سمعت الجنيد يقول :

ما رأيت أعبد من السرى : أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما روى مضطجعاً إلا في علة الموت .

ويحكى عن السرى أنه قال :

التصوّف : اسم لثلاث معانٍ^(٣) :

وهو الذى لا يطفى نور معرفته نور ورعه^(٤) .

(١) بغدادى المولد والرفاة ، كان إمام البغداديين وشيخهم في وقته : أخذ عن الكرخي وسمع الحديث من الفضيل وروى عنه الجنيد وأبو العباس بن مسروق . وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلم في الحقائق والإشارات ، من كلامه « عجباً لضعيف كيف يعصى قويا » و « احذر أن تكون ثناء منشوراً وعيباً مستوراً » .

(٢) وفي نسخة و « الأحوال السنية » .

(٣) أى ومن قامت به هذه المعاني فهو الصوفى .

(٤) يقول العروسي : والمعنى أن نور المعرفة الذى من جلته علم ويقين لا يطفى نور الورع المفيد للاجتهاد وبذل الوسع في الطاعة والعمل فلا يجوز ترك العمل والاعتماد على ما سبق به القضاء .

ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة .
ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله .
مات السري سنة : سبع وخمسين ومائتين .
سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يحكي عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال :
سألني السري يوماً عن المحبة ، فقلت : قال قوم : هي الموافقة ، وقال قوم : الإيثار ،
وقال قوم : كذا .. وكذا .. فأخذ السري جلدة ذراعه ، ومدّها ، فلم تمتدّ ، ثم قال :
وعزّته تعالى ، لو قلت : إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت .
ثم غشى عليه ، فدار وجهه كأنه قمر مشرق ، وكان السريُّ به أدمة^(١) .
ويحكي عن السريُّ أنه قال : منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار^(٢) من قولي : الحمد لله مرّة .
قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : وقع ببغداد حريق ، فاستقبلني رجل ، فقال لي : نجا
حانوتك .
فقلت : الحمد لله . فمئذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت ، حيث أردت لنفسى خيراً
بما حصل للمسلمين !!
أخبرني به عبد الله بن يوسف قال : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا بكر
الحرابي يقول : سمعت السريُّ يقول ذلك .
ويحكي عن السريُّ أنه قال : أنا أنظر في أنفى في اليوم كذا .. وكذا مرّة ، مخافة أن يكون
قد اسودّ ، خوفاً من الله أن يسود صورتي لما أتعاطاه^(٣) .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسن بن الخشاب يقول :
سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السريُّ يقول : أعرف
طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة :
فقلت له : ما هو ؟
فقال : لا تسأل من أحد شيئاً ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ، ولا يكن معك شيء تعطى منه
أحدًا .

(١) سرّة .

(٢) وفي نسخة عن .

(٣) أي من التقصير في كمال التعظيم لله .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول :
سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت الجنيد بن محمد يقول : سمعت السري يقول :
أشتهى أن أموت ببلد غير بغداد ، فقليل له : ولم ذلك ؟ فقال : أخاف ألا يقبلني قبري
فأقتضح .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول : سمعت أبا الحسن بن عبد الله القوطي
الطرسوسي يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري يقول :
اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلّ الحجاب^(١) .

سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت
الجريري يقول : سمعت الجنيد يقول : دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي ، فقلت
له : ما يبكيك ؟

فقال : جاءتني البارحة الصبيّة^(٢) ، فقالت :
يا أبتى ، هذه ليلة حارّة ، وهذا الكوز أعلّقه هاهنا .
ثم إنى حملتني^(٣) عيناى فنمت ، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء ،
فقلت : لمن أنت ؟ فقالت : لمن لا يشرب الماء المبرّد في الكيزان^(٤) .
فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرتة^(٥) .
قال الجنيد : فرأيت الحزف لم يرفعه ولم يمسه ، حتى عفا^(٦) عليه التراب .

(١) قال الأنصاري : أراد بالحجاب الجهل والضلال أو كل ما يشغل العبد عن الحق ، ومن أكفّ الحجب : حجاب الدنيا ،
والخلق ، والشيطان ، والنفس .

(٢) بنته .

(٣) وفي نسخة ثم « إنه غلبتني » .

(٤) أى لمن يمنع نفسه منه مع رغبته فيه .

(٥) هذه اللفظة ساقطة في بعض النسخ .

(٦) عفا : درس .

ومنهم :

أبو نصر بشر بن الحارث الحافي

أصله من « مرو » وسكن بغداد ، ومات بها ، وهو ابن أخت عليّ ابن خشرم . مات سنة سبع وعشرين ومائتين^(١) . وكان كبير الشأن^(٢) .

وكان سبب توبته : أنه أصاب في الطريق كاغدة^(٣) مكتوباً فيها اسم الله عز وجلّ قد وطئتها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية^(٤) ، فطيب بها الكاغدة ، وجعلها في شق حائط .. فرأى فيها يرى النائم كأن قائلًا يقول له :

يا بشر ، طيب اسمي ، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

مرّ بشر ببعض الناس ، فقالوا : هذا الرجل لا ينام الليل كله ، ولا يفطر إلا في كل ثلاثة أيام مرة : فبكى بشر ، فقيل له في ذلك فقال :

إني لا أذكر أني سهرت ليلة كاملة ، ولا أني صمت يوماً لم أفطر من ليلته ، ولكن الله سبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفاً منه ، سبحانه ، وكرماً .. ثم ذكر ابتداء أمره : كيف كان على ما ذكرناه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول :

سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول : بلغني أن بشر بن الحارث الحافي قال :

رأيت النبي ﷺ في المنام ، فقال لي : يا بشر ، أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك ؟ قلت : لا ، يا رسول الله .

قال : باتباعك لستني ، وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ، ومحبتك لأصحابي ، وأهل بيتي : وهو الذي بلغك منازل الأبرار .

(١) وولد سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧) م . وصحب الفضيل بن عياض ورأى سرياً السقطي .

(٢) استشفع المأمون بأحمد بن حنبل في أن يأذن الحافي للمأمون في زيارته فأبى الحافي .

ومن كلامه : « من أراد أن يلحق الحكمة فلا يعصى الله » « إذا أعجبك الكلام فاصمت أو السكوت فنكلم » « من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه » « هب أنك ما تخاف أما تشتاق ؟ » .

(٣) كاغدة : ورقة .

(٤) نوع من الطيب .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول : سمعت بلالا الخواص يقول : كنت في تيه بني إسرائيل ، فإذا رجل يمشيني ، فتعجبت منه ، ثم ألهمت أنه الخضر عليه السلام ، فقلت له : بحق الحق من أنت ؟

فقال : أخوك الخضر ؛ فقلت له : أريد أن أسألك ، فقال : سل . فقلت :

ما تقول في الشافعي^(١) رحمه الله ؟

فقال : هو من الأوتاد^(٢) .

فقلت : ما تقول في أحمد بن حنبل^(٣) رضي الله عنه ؟ قال رجل صدّيق .

قال : فما تقول في بشر بن الحارث الحافي ؟

قال : لم يخلق^(٤) بعده مثله^(٥) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

أتى بشر الحافي باب المعافي بن عمران ، فدقَّ الحافي عليه الباب ، فقيل : من ؟ فقال : بشر الحافي .

فقال له بُنيةٌ من داخل الدار : لو اشتريت لك نعلًا بدانقين^(٦) لذهب عنك اسم الحافي .

أخبرني بهذه الحكاية محمد بن عبد الله الشيرازي ، قال :

حدّثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدّثني محمد بن سعيد ، قال : حدّثني محمد بن عبد الله قال : سمعت عبد الله المغازلي يقول : سمعت بشرًا الحافي يذكر هذه الحكاية .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسين الحجاجي يقول : سمعت المحاملي يقول : سمعت الحسن المسوحى يقول : سمعت بشر بن الحارث يحكى هذه الحكاية .

(١) هو : محمد بن ادریس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمی القرشي ، أحد الأئمة الأربعة ولد في غزة سنة ٢٥٠ هـ وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ وتوفي في القاهرة سنة ٢٠٤ هـ أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة .

(٢) قال العروسی : (الأوتاد : هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع . من العالم : أى الشرق والغرب والشمال والجنوب يحفظ الله تلك الجهات كلها بهم) .

(٣) هو : أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة . ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ ، وتوفي سنة ٢٤١ هـ « ٨٥٥ م » تفقه على الشافعي .

وفي أيامه دعا المؤمنون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن ينظر ابن حنبل تولى المعتصم فسجن ابن حنبل قرابة سنتين لامتناعه عن القول بخلق القرآن .

(٤) وفي نسخة أخرى « لم يخلق » .

(٥) أى في زمنه .

(٦) الدانق : سدس الدرهم .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الفضل العطار يقول : سمعت أحمد بن علي
الدمشقي يقول : قال لي أبو عبد الله بن الجلاء :

رأيت ذا النون ، وكانت له العبارة^(١) ، ورأيت سهلا ، وكانت له الإشارة ، ورأيت بشر بن
الحارث ، وكان له الورع .

ف قيل له : فإلى من كنت تميل ؟. فقال : لبشر بن الحارث أستاذنا .

وقيل : إنه اشتهى الباقلاء^(٢) سنين ، فلم يأكله ، فرؤى في المنام بعد وفاته فقيل له :
ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، وقال : كُلْ يا من لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن
يحيى قال : حدثنا أبو عمرو بن السماك قال : حدثنا محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر
ابن بنت معاوية قال : سمعت أبا بكر بن عفان يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول :
إني لأشتهى الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه !!

وقيل لبشر : بأى شيء تأكل الخبز ؟ فقال : أذكر العافية وأجعلها إداما .
أخبرنا به محمد بن الحسين ، رحمه الله ، قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان قال : أخبرنا
أبو عمرو بن السماك قال : حدثنا عمر بن سعيد قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : قال رجل
لبشر الحكاية المذكورة .

وقال بشر : لا يحتمل الحلال السرف^(٣) .

ورؤى بشر في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال : غفر لي ، وأباح لي نصف الجنة ، وقال لي :

يا بشر ، لو سجدت لي على الجمر ما أديت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادي .

وقال بشر : لا يجد حلاوة الآخرة رجل يُحِبُّ أن يعرفه الناس .

(١) أى النطق بالحكمة ، وكانت له : أى اشتهر بها .

(٢) الفول .

(٣) لغز الحلال وقلته .

ومنهم :

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى

عديم النظر في زمانه علماً ، وورعاً ، ومعاملة ، وحالاً^(١) .

بصرى الأصل ، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

قيل : إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً ، قيل ، لأن أباه كان يقول بالقدر^(٢) ، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً ، وقال : صحّت الرواية عن النبي ﷺ ، أنه قال : « لا يتوارث أهل ملتين شيئاً » .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : سمعت محمد بن مسروق يقول : مات الحارث بن أسد المحاسبى وهو محتاج إلى درهم ، وخلف أبوه ضياعاً وعقاراً ، فلم يأخذ منه شيئاً .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

كان الحارث المحاسبى إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق ، فكان يمتنع منه .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : اقتدوا بخمسة من شيوخوا ، والباقون سلموا لهم حالهم : الحارث بن أسد المحاسبى ، والجنيد بن محمد ، وأبو محمد رُويم ، وأبو العباس بن عطاء ، وعمرو بن عثمان المكيّ ؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله على الطوسى يقول : سمعت جعفر بن الخلدى يقول : سمعت أبا عثمان البلدى يقول : قال الحارث المحاسبى :

من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة وأتباع السنة .

(١) قال التميمي : هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام . وقال الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » : « المحاسبى خير الأمة في علم المعاملة . وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال » . ومن كلامه : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة ، وسمى بالمحاسبى ؛ لأنه كان يحاسب نفسه عملاً بقول الرسول : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .

(٢) كان من القدوة القائمين بإنكار عموم القدر الذى يجب الإيمان به .

ويحكى عن الجنيد أنه قال : مرّ بي يوماً الحارث المحاسبى ، فرأيت فيه أثر الجوع ، فقلت : يا عم ، تدخل الدار وتتناول شيئاً ؟ فقال : نعم .

فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدمه إليه ، فكان فى البيت شىء من طعام حمل إلى من عرس قوم ، فقدّمته إليه ، فأخذ لقمة وأدارها فى فمه مرات ، ثم إنه قام وألقاها فى الدهليز ، ومراً . فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له فى ذلك ، فقال :

إنى كنت جائعاً ، وأردت أن أسرك بأكلى وأحفظ قلبك ، ولكن بينى وبين الله ، سبحانه ، علامة : أن لا يسوغنى طعاماً فيه شبهة ، فلم يكتنى ابتلاعه ، فمن أين كان لك ذلك الطعام ؟ .

فقلت : إنه حمل إلى من دار قريب لى من العرس ، ثم قلت : تدخل اليوم ؟ فقال : نعم . فقدمت إليه كسراً يابسة كانت لنا ، فأكل وقال :

إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدّم إليه مثل هذا .

ومنهـم :

أبو سليمان داود بن نصير الطائي

وكان كبير الشأن^(١) . أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال : حدثنا محمد بن المسيّب قال : حدثنا ابن خبيق قال ، قال يوسف ابن سباط :

ورث داود الطائي عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة .
سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : كان سبب زهد داود الطائي : أنه كان يمرّ ببغداد ، فمرّ^(٢) يوماً ، فنحاه^(٣) المطرقون^(٤) بين يدي حميد الطوسي ، فالتفت داود فرأى حميداً ، فقال داود : أفّ لدنيا سبقك بها حميد .
ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة .

وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول : إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول :
بأيّ خديك تبدي البلى وأي عينيك إذا سالا
وقيل : كان سبب زهده : أنه كان يجالس أبا حنيفة ، رضى الله عنه ، فقال له أبو حنيفة يوماً :

يا أبا سليمان ، أمّا الأداة^(٥) فقد أحكمتها فقال له داود : فأى شيء بقى ؟ فقال : العمل به .

قال داود : فنازعنى نفسى إلى العزلة ، فقلت لنفسى : حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة .
قال : فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة ، وكانت المسألة تمرّ بى ، وأنا إلى الكلام فيها أشدّ نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلّم به .

(١) قال الذهبي : « كان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة ثم تعبد وآثر الوحدة وأقبل على شأنه وساد أهل زمانه توفى سنة ١٦٦ هـ . بالكوفة » .

ومن كلامه : إنّما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم : فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل . وقال : لا تمهر الدنيا دينك ، فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم » .

(٢) لفظة « فمر » ساقطة في بعض النسخ .

(٣) رده إلى جانبها .

(٤) الموسعون لها .

(٥) أى العلم .

ثم صار أمره إلى ما صار .

وقيل : حُجِمَ « جُنَيْدُ الْحِجَامِ » داود الطائي ، فأعطاه ديناراً ، فقيل له : هذا إسراف . فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له .

وكان يقول بالليل : إلهي هُبْكَ عَطْلٌ عَلَى الْهَمُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وحال بيني وبين الرقاد . سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : حدثنا محمد بن يوسف قال : حدثنا سعيد بن عمرو قال : حدثنا علي بن حرب الموصلي قال : حدثنا إسماعيل بن زياد الطائي قال : قالت داية^(١) داود الطائي له .

أما تشتهي الخبز ؟ فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية . ولما توفى داود رآه بعض الصالحين في المنام وهو يعدو فقال له : مالك ؟ فقال : الساعة تَخْلُصْتُ مِنَ السَّجَنِ .

فاستيقظ الرجل من منامه ، فارتفع الصباح يقول للناس : مات داود الطائي . وقال له رجل : أوصني . فقال له : عسكرُ الموت^(٢) ينتظرونك . ودخل بعضهم عليه ، فرأى جرّة ماء انبسطت عليها الشمس ، فقال له : ألا تحوّلها إلى الظل ؟

فقال : حين وضعتها لم يكن شمس ، وأنا أستحي أن يران الله أمشي لما فيه حظ نفسي . ودخل عليه بعضهم ، فجعل ينظر إليه ، فقال : أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام ؟

أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي :

قال : حدثنا قاسم بن أحمد ، قال : سمعت ميموناً الغزالي قال : قال أبو الربيع الواسطي :

قلت لداود الطائي : أوصني .

فقال : صُمِّ عن الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، وفر من الناس كفرارك من السبع .

(١) جارية . وقالت له ذلك حينما رآته لا يأكل الخبز ، بل يشرب الفتيت .

(٢) وفي نسخة « عسكر الموت » .

ومنهـم :

أبو على شقيق بن إبراهيم البلخي

من مشايخ خراسان^(١) . له لسان في التوكل^(٢) ، وكان أستاذ حاتم الأصم . قيل : كان سبب توبته : أنه كان من أبناء الأغنياء ، خرج للتجارة إلى أرض الترك^(٣) ، وهو حدث ، فدخل بيتاً للأصنام ، فرأى خادماً للأصنام فيه : قد حلق رأسه ولحيته ، وليس ثياباً أرجوانية^(٤) ، فقال شقيق للخادم : إن لك صانعاً حياً ، عالماً ، قادراً ، فاعبده .. ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع !!

فقال : إن كان كما تقول ، فهو قادر على أن يرزقك ببلك ، فلم تعنيت إلى هاهنا للتجارة ..

فانتبه شقيق .. وأخذ في طريق الزهد .

وقيل : كان سبب زهده : أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمان قحط ، وكان الناس مهتمين به^(٥) ، فقال شقيق : ما هذا النشاط الذي فيك ؟ أما ترى ما فيه الناس من الجذب^(٦) والقحط ؟

فقال ذلك المملوك : وما على من ذلك ، ولولاي قرية خالصة يدخل له منها ما نحتاج نحن إليه ، فانتبه شقيق ، وقال : إن كان لمولاه قرية ، ومولاه مخلوق فقير ، ثم إنه ليس يهتم لرزقه ، فكيف ينبغي أن يهتم المسلم لرزقه ومولاه غني ؟!

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسين بن أحمد العطار البلخي يقول : سمعت أحمد بن محمد البخاري يقول : قال حاتم الأصم :

(١) أخذ الفقه عن أبي حنيفة ، وقال الذهبي : سافر أبو على شقيق البلخي ومعه ثلاثمائة فقير ، فتوسل إليه المأمون حتى اجتمع به ، واجتمع به قبله أبوه الرشيد ، وقال له : أنت شقيق الزاهد ؟ فقال : نعم ، شقيق ، ولست بالزاهد فقال له : أوصني قال : إن الله قد أجلسك مكان الصديق وإنه يطلب منك مثل صدقه ، ومكان الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق وغيره ومكان عثمان ويطلب منك مثل حياته وكرمه ، ومقام على . ويطلب منك مثل علمه وعدله .

(٢) أى توسع في معانيه .

(٣) وفي نسخة أخرى إلى « أرض الشرك » .

(٤) أى مصبوغة بالأرجوان . وهو صبغ أحمر شديد الحمرة .

(٥) وفي نسخة « كان الناس فيه مهتمين أى بتحصيل قوتهم » .

(٦) وفي نسخة أخرى « من الحزن » .

كان شقيق بن إبراهيم موسراً ، وكان يتفتى^(١) ويعاشر الفتيان ، وكان علي بن عيسى بن ماهان أمير بلخ ، وكان يحب كلاب الصيد ، ففقد كلباً من كلابه ، فسعى برجل أنه عنده ، وكان الرجل في جوار شقيق ، فطلب الرجل ، فهرب .. فدخل دار شقيق مستجيراً ، فمضى شقيق إلى الأمير ، وقال :

خلوا سبيله ، فإن الكلب عندي أردته إليكم إلى ثلاثة أيام .

فخلوا سبيله ، وانصرف شقيق مهتما لما صنع . فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ فرجع إليها ، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة ، فأخذه ، وقال : أهديه إلى شقيق ، فإنه يشتغل بالتفتي .

فحملة إليه ، فنظر شقيق فإذا هو كلب الأمير ، فسر به ، وحمله إلى الأمير وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه ، وتاب مما كان فيه وسلك طريق الزهد .

وحكى أن حاتم الأصم قال : كنا مع شقيق في مصاف^(٢) نحارب الترك في يوم لا ترى فيه إلا رؤساً تندر^(٣) ، ورماحاً تنقص ، وسيوفاً تنقطع ، فقال لى شقيق :

كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم ؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك ؟

فقال : لا والله .

قال : لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة .

ثم نام بين الصفيين ودرقته^(٤) تحت رأسه حتى سمعت غطيظه .

وقال شقيق : إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر إلى ما وعده الله ووعدته الناس ، فبأيها يكون قلبه أوثق^(٥) ؟

وقال شقيق : تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء : في أخذه ، ومنعه ، وكلامه .

(١) أى يفعل فعل الفتيان والشباب .

(٢) مصاف : جمع صف واحد الصفوف : التي تكون لقاء وجه العدو في الحرب .

(٣) تسقط .

(٤) الدرق (بفتح الدال والراء) = الترس من جلد ليس فيه خشب .

(٥) قال العروسي : المقصود الحمل على عدم الغفلة عن النفس ، بل يلزم الإنسان دائماً تفتيشها وامتحانها فيما توهمته من المقامات والأحوال ، حتى يتحقق رسوخها ، وبعد هذا فلا يركن إلى ما منح ، بل يدوم على الجدل ليئال ما فوق ذلك ، أوليدوم له ما هو فيه .. إذ قد يلبس السائر من حيث لا يشعر . وفيه تنبيه على أنه قوى وثوقه بما وعده الله من ثواب الامتثال ، وأنه انقطع عن الحفظ ..

ومنهـم :

أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي

وكان جدّه مجوسياً أسلم .

وكانوا ثلاثة إخوة : آدم ، وطيفور ، وعلى . وكلهم كانوا زهاداً عبّاداً .

وأبو يزيد كان أجْلهم حالاً^(١) .

قيل مات سنة : إحدى وستين ومائتين ، وقيل : أربع وثلاثين ومائتين .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي ، يقول : سمعت

الحسن بن عليّ يقول : سئل أبو يزيد : بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟

فقال : ببطن جائع ، وبدن عار .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت

عمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : عملت في المجاهدة ثلاثين

سنة فما وجدت شيئاً أشدَّ عليّ من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف

العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد .

وقيل : لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كلّهُ .

حدثنا أبو حاتم السجستاني قال : أخبرنا أبو نصر السراج ، قال : سمعت طيفور

البسطامي يقول : سمعت المعروف بعُمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : قال لي

أبو يزيد : قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان رجلاً مقصوداً

مشهوراً بالزهد ، فمضينا إليه ؛ فلما خرج من بيته ، ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة ،

فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غيرُ مأمون على أدب من آداب رسول الله

ﷺ ؛ فكيف يكون مأموناً على ما يدّعيه ؟

وهذا الإسناد قال أبو يزيد : لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة

النساء ، ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يسأله رسول الله ﷺ إياه ؟ فلم أسأله ، ثم

(١) ذكر ابن عربي أنه كان القطب الثوب في زمانه .

ومن كلامه : ليس العالم من يحفظ من كتاب الله فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً ؛ بل من يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا تحفظ ودرس . وهذا هو العلم الرباني . وقال : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت .

إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء ؛ حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسن بن على
يقول : سمعت عمى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سألت أبا يزيد عن ابتدائه وزهده ،
فقال :

ليس للزهد منزلة . فقلت : لماذا ؟ فقال : لأنى كنت ثلاثة أيام فى الزهد .
فلما كان اليوم الرابع خرجت منه : اليوم الأول : زهدت فى الدنيا وما فيها ، واليوم
الثانى : زهدت فى الآخرة وما فيها ، واليوم الثالث : زهدت فيما سوى الله ، فلما كان اليوم
الرابع لم يبق لى سوى الله .. فهتُ ، فسمعت ، هاتفاً يقول :
يا أبا يزيد لا تقوى معنا . فقلت : هذا الذى أريده .
فسمعت قائلاً يقول : وجدت ، وجدت .

وقيل لأبى يزيد : ما أشد ما لقيت فى سبيل الله ؟ فقال : لا يمكن وصفه .
فقيل له : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟
فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شىء من الطاعات فلم تجبني ، فمنعته الماء سنة .
وقال أبو يزيد : منذ ثلاثين سنة أصلى ، واعتقادی فى نفسى عند كل صلاة أصلها : كأنى
مجوسى أريد أن أقطع زُنارى^(١) .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت موسى بن
عيسى يقول ، قال لى أبى : قال أبو يزيد : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى
يرتقى^(٢) فى الهواء ، فلا تغفروا به ، حتى تنظروا كيف تجددونه عند الامر والنهى ، وحفظ
الحدود ، وأداء الشريعة^(٣) .

وحكى عمى البسطامى عن أبيه أنه قال : ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط ، ليذكر الله ،
سبحانه ، على سور الرباط ، فبقى إلى الصباح لم يذكر ، فقلت له فى ذلك ، فقال :
تذكرتُ كلمة جرت على لسانى فى حال صباى^(٤) ، فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى .

(١) ما يشد به الوسط ، أراد به كدورات المخطوط والرغبات .

(٢) وفى نسخة يرتفع ، وفى أخرى يتربع .

(٣) مراد الحث على اتباع الكتاب والسنة وعدم الخروج عن سنتها ، أو الفرور بين حاله بخالفها ، فهو وإن كان صادقا فى
الحقيقة ، فلا يتابع بحكم الطريقة كما قال العروسى .

(٤) فيه أشعار بعدم صدور المخالفات منه بعد التكليف ، وإلا لكان أسرع تذكرًا لها وأكثر معرفة بها .

ومنهـم :

أبو محمد سهل بن عبدالله التستري

أحد أئمة القوم ، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع^(١) .

وكان صاحب كرامات ، لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج .

توفي ، كما قيل ، سنة : ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل : ثلاث وسبعين ومائتين .

وقال سهل : كنت ابن ثلاث سنين ، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن

سوار ، وكان يقوم بالليل ، فربما كان يقول لي : يسهل اذهب فثم فقد شغلت قلبي .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول :

سمعت عبدالله بن عبد الحميد يقول : سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول : سمعت عمر بن واصل

البصري يحكي عن سهل بن عبدالله قال : قال لي خالي يوماً :

ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ .

فقلت : كيف أذكره ؟ فقال لي : قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات . من غير أن

تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظرٌ إليّ ، الله شاهد عليّ .

فقلت ذلك ثلاث ليال ، ثم أعلمته ، فقال لي :

قل في كل ليلة سبع مرات . فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة إحدى عشرة

مرة ، فقلت ذلك ، فوقع في قلبي له حلاوة .

فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علمتك ، ودُم عليه إلى أن تدخل القبر ، فإنه

ينفعك في الدنيا والآخرة .

فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة في سرّي .

ثم قال لي خالي يوماً : يسهل ، من كان الله معه : وهو ناظر إليه وشاهده ، أعصيه ؟ إياك

والمعصية .

(١) حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع وفقه العبارة وهو ابن عشر فيحسن الإجابة .

ومن قوله : ما أعطى أحد شيئاً أفضل من علم يستزيد به افتقاراً إلى الله . وقال : ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى .

وقال « حياة القلب الذي يموت بذكر الحى الذى لا يموت . وقال : كل عالم خاض في الدنيا فلا تصح لكلامه ، بل يتهم فيها يقول :

لأن كل إنسان يدفع ما لا يوافق محبوبه .

فكنت أخلو ، فبعثوني^(١) إلى الكتاب ، فقلت :
إني لأخشى أن يتفرق عليّ هي^(٢) ، ولكن شارطوا المعلم : أني أذهب إليه ساعة ، فأتعلم ،
ثم أرجع .

فمضيت إلى الكتاب ، وحفظت القرآن ، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين ، وكنت أصوم
الدهر ، وقوتي خبز الشعير ، إلى أن بلغت اثنتي عشرة سنة ، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث
عشرة سنة ، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها ، فجئت البصرة وسألت علماءها
فلم يشف أحد منهم عني شيئاً !! .

فخرجت إلى « عبادان » ، إلى رجل يُعرف بأبي حبيب حمزة بن عبدالله العباداني ، فسألته
عنها فأجابني ، وأقامت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بأدابه ، ثم رجعت إلى « تستر » فجعلت
قوتي اقتصاراً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير « الفرق^(٣) » فيطحن ويخبز لي ، فأفطر عند
السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا ، بغير ملح ولا إدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة .
ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ، ثم أفطر ليلة ، ثم خمساً ، ثم سبعاً ، ثم خمساً
وعشرين ليلة . وكنت عليه^(٤) عشرين سنة . ثم خرجت أسير في الأرض سنين ، ثم رجعت
إلى « تستر » وكنت أقوم الليل كله .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت إبراهيم بن
فراس يقول : سمعت نصر بن أحمد يقول : قال سهل بن عبدالله :
كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء ، طاعة كان أو معصية ، فهو عيش النفس^(٥) ، وكل فعل
يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس^(٦) .

(١) وفي نسخة « فبعثوا بي » .

(٢) أى ما أهتم به وهو ذكر ربي مع حضور قلبي في الخلوة .

(٣) مكيال يكال به .

(٤) وفي نسخة « فكنت عليها » .

(٥) أى حظها .

(٦) وقال سهل : دخلت الفتنة على العامة من الرخص والتأويلات ، وعلى العارفين من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر .

وقال : من أعظم المعاصي الجهل بالجهل ، والنظر إلى العامة ، وسماع كلام أهل الغفلة .

وقال : أصول طريقنا سبعة التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، والتوبة ،
وأداء الحقوق .

ومنهم :

أبو سليمان عبدالرحمن بن عطية الداراني

و « داران » قرية من قرى دمشق . مات : سنة خمس عشرة ومائتين .
سمعت محمد الحسين يقول : سمعت عبدالله بن محمد الرازي يقول : أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن أبي حسان يقول : سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول : سمعت أبا سليمان يقول :
مَنْ أَحْسَنَ فِي نَهَارِهِ كَوْفِي فِي لَيْلِهِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِي لَيْلِهِ كَوْفِي فِي نَهَارِهِ . وَمَنْ صَدَّقَ فِي تَرْكِ شَهْوَةٍ ذَهَبَ اللَّهُ بِهَا مِنْ قَلْبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَعَذَّبَ قَلْبًا بِشَهْوَةٍ تَرُكْتُ لَهُ .
وهذا الإسناد قال : إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة .
سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول :
سمعت جعفر بن محمد بن نصير ، يقول : سمعت الجنيد يقول : قال أبو سليمان الداراني :
ربما يقع في قلبى النكته^(١) من نكت القوم أيا ما ، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين :
الكتاب ، والسنة .

وقال أبو سليمان : أفضل الأعمال : خلاف هوى النفس .
وقال : لكل شيء عَلمٌ^(٢) ، وَعَلمُ الخذلان^(٣) ترك البكاء .
وقال : لكل شيء صدأ ، وصدأ نور القلب شيعُ البطن .
وقال : كلُّ ما شغلك عن الله تعالى من أهل ، أو مال ، أو ولد فهو عليك مشئوم .
وقال : أبو سليمان : كنت ليلة باردة في المحراب ، فأقلقني البرد : فخبأت إحدى يدي من البرد ، وبقيت الأخرى ممدودة^(٤) ، فغلبتني عيناى فهتف بى هاتف : يا أبا سليمان ، وقد وضعنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها .
فآليت على نفسى أن لا أدعو إلا ويدأى خارجتان ، حرًا كان الزمن أو بردًا .

(١) كلمة الحكمة .

(٢) علامة .

(٣) عدم القبول .

(٤) أى ممدودة للدعاء .

وقال أبو سليمان : تمت عن وردى ، فإذا أنا بحوراء تقول لى : تنام وأنا أرى لك فى الخدور ، منذ خمسمائة عام !! .

أخبرنا عبدالله بن يوسف الأصبهاني ، قال : أخبرنا أبو عمرو الجولستى ، قال : أخبرنا محمد بن إسماعيل قال : حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال : دخلت على أبي سليمان يوما وهو يبكى ، فقلت له ما يبكيك ؟ .

فقال : يا أحمد ، ولم لا أبكى ، وإذا جنَّ الليل ، ونامت العيون ، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وتقطرت فى محارهم ، وأشرف الجليل ؛ سبحانه وتعالى ؛ فنادى : يا جبريل ، بمعنى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى ، وإني لمطلع عليهم فى خلواتهم .. أسمع أنينهم .. وأرى بكاءهم ، فلم لا تنادى فيهم يا جبريل : ما هذا البكاء ؟ ! .

هل رأيتم حبيبا يعذب أحبائه ؟

أم كيف يجعل بى أن آخذ قوماً إذا جنَّهم الليل تملقوا^(١) لى فى حلفت : أنهم إذا وردوا على يوم القيامة لأكشفنَّ لهم عن وجهى الكريم ، حتى ينظروا إلىّ وأنظر إليهم^(٢) .

(١) أى إذا سترهم الليل توددوا .

(٢) ومن أقواله :

لا ينبغي لفقر أن يزيد فى نظافة ثوبه على نظافة قلبه ، ليشاكل باطنه ظاهره . ليت قلبى فى القلوب كنوى فى الثياب . . من صارح الدنيا صرعه . ومن سكنت الدنيا قلبه ترحلت منه الآخرة ..

من أظهر الانقطاع إلى الله تعالى لزمه خلع ما دونه من عنقه ..

إذا بلغ العبد غاية الزهد أخرجه إلى التوكل ..

القناعة أول الرضا ، والورع أول الزهد ..

مفتاح الآخرة الموعود ، ومفتاح الدنيا الشره ، ومفتاح كل خير الخوف من الله تعالى .

ومنهم :

أبو عبدالرحمن حاتم بن علوان

ويقال حاتم بن يوسف الأصم ، من أكابر مشايخ خراسان :

وكان تلميذ شقيق ، وأستاذ أحمد بن خضرويه .

قيل : لم يكن أصمً ، وإنما تصامم^(١) مرةً فسُمي به .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة ، فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت ،

فخجلت ، فقال حاتم : ارفعى صوتك فأرى^(٢) من نفسه : أنه أصمٌ ، فسرّت المرأة بذلك ،

وقالت :

إنه لم يسمع الصوت ، فغلب عليه اسم الصمم .

أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، قال : سمعت أبا عليّ سعيد بن أحمد

يقول : سمعت أبى يقول : سمعت محمد بن عبدالله يقول : سمعت خالى محمد بن الليث

يقول : سمعت حامداً اللقاف يقول : سمعت حاتمًا الأصمً يقول :

ما من صباح إلا والشيطان يقول لى : ماذا تأكل ؟ وماذا تلبس ؟ وأين تسكن ؟ فأقول له ،

آكل الموت ، وألبس الكفن ، وأسكن القبر .

وبإسناده قيل له : ألا تشتهى ؟ .

فقال : أشتهى عافية يوم إلى الليل .

فقيل له : أليست الأيام كلها عافية ؟ .

فقال : إن عافية يومى ، أن لا أعصى الله فيه .

وحكى عن حاتم الأصمً ، أنه قال : كنت في بعض الغزوات ، فأخذنى شخص فأضجعنى

للذبح فلم يشغل به قلبى ، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فى ..

فبينما هو يطلب السكين من حقه أصابه سهم غرب^(٣) . فقتله ، وطرحه عنى فقمّت .

(١) تصامم : تكلف الصمم .

(٢) فأرى : فأظهر .

(٣) أى أتاه من حيث لا يدري .

سمعت عبدالله بن يوسف الأصبهاني يقول : سمعت أبا نصر منصور بن محمد بن إبراهيم
 الفقيه يقول : سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن نصير يقول : روى عن حاتم أنه قال :
 من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت :
 موتاً أبيض ، وهو الجوع .
 وموتاً أسود ، وهو : احتمال الأذى من الخلق .
 وموتاً أحمر ، وهو : العمل الخالص من الشوب في مخالفة الهوى .
 وموتاً أخضر ، وهو : طرح الرقاع بعضها على بعض^(١) .

ومنهـم :

أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى الواعظ

نسيـج وحده فى وقته ، له لسان^(١) فى الرجاء خصوصاً ، وكلام فى المعرفة . خرج إلى بلخ ، وأقام بها مدة .

ورجع إلى « نيسابور » ومات بها سنة : ثمان وخمسين ومائتين .

سمعت محمد بن الحسين رحمه الله ، يقول : سمعت عبدالله بن محمد بن أحمد بن حمدان الكعبرى يقول : سمعت أحمد بن محمد بن السرى يقول : سمعت أحمد بن عيسى يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ؟! تورّع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك .

وهذا الإسناد قال :

جوع التوايين تجربة ، وجوع الزاهدين سياسة ، وجوع الصديقين تكريمة .
وقال يحيى : الفوت أشد من الموت ؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق ، والموت انقطاع عن الخلق .

وقال يحيى : الزهد^(٢) ثلاثة أشياء ، القلة ، والخلوة ، والجوع .

وقال يحيى : لا تريح على نفسك بشىء أجلّ من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها .
وقيل : إن يحيى بن معاذ تكلم ببلخ فى تفضيل الغنى على الفقر ، فأعطى ثلاثين ألف درهم ، فقال بعض المشايخ : لا بارك الله له فى هذا المال فخرج إلى نيسابور ، فوقع عليه اللص وأخذ المال منه .

أخبرنا عبدالله بن يوسف الأصبهاني قال : أنبأنا^(٣) أبو القاسم عبدالله بن الحسين بن بالويه الصوفى قال : سمعت محمد بن عبدالله الرازى يقول : سمعت الحسين بن علوية يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول :

من خان الله فى السرّ هتك الله ستره فى العلانية .

(١) أى كلام .

(٢) أى علامات الزهد .

(٣) وفى نسخة أخرى « أخبرنا » .

سمعت عبدالله بن يوسف يقول : سمعت أبا الحسين محمد بن عبدالعزيز المؤذن يقول :
سمعت محمد بن محمد الجرجاني يقول : سمعت علي بن محمد يقول : سمعت يحيى بن معاذ
الرازي يقول :

تزكية الأشرار لك هُجْنَةٌ بك^(١)، وجُبُّهم لك عيب عليك ، وهانَ عليك من احتاج إليك^(٢).

(١) قبح ونقص .

(٢) ومن كلامه : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرة بالقلوب . وقال : العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ،
وجيئاً قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

ومنهم :

أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي

من كبار مشايخ خراسان ، صحب أبا تراب النخشي .
قدم نيسابور ، وزار أبا حفص ، وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيراً
في الفتوة^(١) .

وقال أبو حفص : ما رأيت أحداً أكبر همّة ، ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه .
وكان أبو يزيد يقول : أستاذنا أحمد .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت
محمد بن حامد يقول : كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه ، وهو في النزاع ، وكان قد أتى عليه
خمس وتسعون سنة .

فسأله بعض أصحابه عن مسألة ؛ فدمعت عيناه ، وقال :
يابني ، بابٌ كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة ، وهو ذا يُفتح لي الساعة لا أدرى أبالسعادة
يُفتح أم بالشقاوة ؟ أتى لي أوان الجواب ؟ .

قال : وكان عليه سبعمائة دينار ، وغرمائه عنده ، فنظر إليهم . وقال :
اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال ، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم فادعني .
قال : فدق داق الباب وقال : أين غرماء أحمد ؟ فقضى عنه .

ثم خرجت روحه . ومات ، رحمه الله ، سنة أربعين ومائتين .
وقال أحمد بن خضرويه : لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رق أملك من الشهوة ، ولولا ثقل
الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة^(٢) .

(١) قوة البذل للمال والجاه والعلم ، وصفه بعضهم فقال : ولي عارف . سخي يبذل التالذ والطارف ، أيس من الفضول ،
فأونس بالوصول ، كان يجلب القلوب بوعظه ، وينثر الدرر برقيق لفظه ، ما رآه فقيه جاحد ، أو مكابر منتقد ، إلا اعترف . ووقف
على شاطئ التسليم ، وربما اعترف .

(٢) وقال : أفضل الأعمال رعاية السر عن الالتفات إلى شيء غير الله .
وقال : القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق فاضت زيادة أنوارها على الجوارح .
وقال : النصر زاد المضطربين ، والرضا درجة العارفين .
وقال : حقيقة المحبة معرفته تعالى بالقلب ، وذكره باللسان ، مع الحسور والاحرام ، ورفع الهمه عن كل ما سواه .

ومنها :

أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري^(١)

من أهل دمشق ، صحب أبا سليمان الداراني وغيره ، مات سنة : ثلاثين ومائتين . وكان الجنيد يقول : أحمد بن أبي الحواري : ريحانة الشام .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت أبا أحمد الحافظ يقول : سمعت سعيد ابن عبدالعزيز الحلبي يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول :

من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ، وبهذا الإسناد يقول : من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله ﷺ ، فباطل عمله .

وبهذا الإسناد قال أحمد بن أبي الحواري :

أفضل البكاء : بكاء العبد على ما فاتته من أوقاته على غير الموافقة^(٢) .

وقال أحمد : ما ابتلى الله عبداً بشيء أشد من الغفلة والقسوة .

(١) يروى أنه طلب العلم ثلاثين سنة ، فلما بلغ ، حمل كتبه إلى البحر فأغرقها ، وقال : يا علم ، لم أقبل بك هذا هوأنا بك ولا استخفافاً بحقك ، بل كنت أطلب لأهتدى بك إلى ربي والآن استغنيت عنك .

ومن حكمه : « لا دليل على الله سواء » و « إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدارها فهو خدعة ، وإذا حدثتك بتركها عند إقبالها فذاك » .

(٢) أى لما جاءت به السنة .

ومنهم :

أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد

من قرية يقال لها « كورداباذ » على باب مدينة نيسابور ، على طريق « بخارى » .
كان أحد الأئمة والسادة^(١) . مات سنة نيف وستين ومائتين .

قال أبو حفص : المعاصي يريد^(٢) الكفر ، كما أن الحمى يريد الموت .

قال أبو حفص : إذا رأيت المرید يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة .
وقال : حُسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن .

وقال : الفتوة : أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف^(٣) .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسن محمد بن موسى يقول : سمعت أبا علي
الثقفي يقول : كان أبو حفص ، يقول : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب
والسنة ، ولم يتهم خواطره ، فلا نعهده في ديوان الرجال^(٤) .

(١) هو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور ، صحب ابن خضوية والأبيوردى وكان حداداً فبينما غلامه ينفخ غاب فكره
في ذكر محبوبه ففنى عن الحس البشرى ونسى أن يخرج الحديد من الكبر بالآلة فأخرجه بيده : فصاح الغلام : الحديد في يدك بلا
آلة ، فرماه به ، وخرج سائحاً في البرية وهو يقول : شرط المحبة السر والكنمان لا الافتضاح والإعلان .
ومن كلامه : الزاهد حقاً لا يذم الدنيا ، ولا يمدحها ولا ينظر إليها ، ولا يفرح بها إذا أقبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت « وسئل
عن التوبة ، فقال : ليس للعبد من التوبة شيء : لأن التوبة إليه ، لا منه » .

(٢) أى رسله ومقدماته .

(٣) أى لا يطلب النصفة من أحد فإن طلبها دليل على تقصيره .

(٤) أى الذين قال الله فيهم : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

ومنها :

أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى

صحب حاتمًا الأصمَّ ، وأبا حاتم العمار المصرى .

مات سنة : خمس وأربعين ومائتين^(١) .

قيل : مات بالبادية نهسته^(٢) السباع .

وقال ابن الجلاء : صحبت ستمائة شيخ ، ما لقيت فيهم مثل أربعة : أولهم : أبو تراب النخشبى .

قال أبو تراب : الفقير قوته : ما وجدته ، ولباسه : ماستره ، ومسكنه : حيث نزل .

وقال أبو تراب : إذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله ، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة الفعل .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدى إسماعيل بن نجيد يقول : كان أبو تراب النخشبى إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد فى اجتهاده وجدّد توبته ويقول :

بشؤمى دفعوا إلى ما دُفعوا إليه ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِىَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ قال : وسمعته يقول أيضاً لأصحابه : من لبس منكم مِرْقَعَةً فَقَدْ سَأَلَ ، ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل ، ومن قرأ القرآن من مصحف ، أو كىما يسمع الناس فقد سأل .

قال : وسمعته يقول : كان أبو تراب يقول : بينى وبين الله عهد أن لا أمد يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه .

ونظر أبو تراب يوماً إلى صوفى من تلامذته قد مدَّ يده إلى قشر بطيخ ، وقد طوى ثلاثة أيام ، فقال له أبو تراب :

تد يدك إلى قشر البطيخ ؟ أنت لا يصلح لك التصوف ، الزم السوق .

(١) : تفقه على مذهب الإمام الشافعى ، وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل ، ومن حكمه : الناس يحبون بلاده وليست لهم : نفس والروح . وهذا هو : وإنما هو لونه : ويطلبون أسس ولا يجدونها : الفرح والراحة وهما فى الجنة .
(٢) : أحد خدمه بدمشق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت أبا عبد الله
 الفارسي يقول سمعت أبا الحسين الرازي يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت أبا
 تراب النخشي يقول :

ما تمتت نفسي على شيئاً قط^(١)، إلا مرة واحدة : تمتت على خبزاً وبيضاً ، وأنا في سفرى ،
 فعدلت عن الطريق إلى قرية ، فوثب رجل وتعلق بى وقال : كان هذا مع اللصوص ،
 فبطحونى وضربونى سبعين خشبة . قال : فوقف علينا رجل صوفى ، فصرخ وقال : ويحكم هذا
 أبو تراب النخشبى ، فخلونى واعتذروا إلىّ وأدخلنى الرجل منزله ، وقدم إلىّ خبزاً وبيضاً ،
 فقلت^(٢) : كلّها بعد سبعين جلدة .

وحكى ابن الجلاء قال : دخل أبو تراب مكة طيب النفس ، فقلت : أين أكلت أئها
 الأستاذ ؟ فقال : أكلة بالبصرة ، وأكلة بالنباج ، وأكلة هاهنا .

(١) أى منذ أخذ فى الرياضة .

(٢) أى فى نفسى لنفسى .

ومنهم :

أبو محمد عبدالله بن خبيق

من زهاد المتصوفة ، صاحب يوسف بن أسباط .

كان كوفي الأصل ، ولكنه سكن أنطاكية .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الفرج الورثاني يقول : سمعت أبا الأزهر المافارقي يقول : سمعت فتح بن شخرف يقول : حدثني عبد الله بن خبيق أول ما لقيتہ فقال لي :

يا خراساني ، إنما هي أربع لا غير : عينك ، ولسانك ، وقلبك ، وهواك .. فانظر عينك ، لا تنظر بها إلى ما لا يحل ، وانظر لسانك ، لا تقل به شيئاً يعلم الله تعالى خلافه من قلبك ؛ وانظر قلبك ، لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين ، وانظر هواك لا تهوى به شيئاً من الشر ، فإذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال ، فاجعل الرماد على رأسك ؛ فقد شقيت . وقال ابن خبيق : لا تغتم إلا من سىء بضرك غداً ، ولا تفرح إلا بشيء يسرك غداً . وقال ابن خبيق : وحشة العباد عن الحق ، أو حشت منهم القلوب ، ولو أنهم أنسوا برؤسهم لأنس بهم كل أحد .

وقال : أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي ، وأطال منك الحزن على ما فاتك ، وألزمك الفكرة في بقية عمرك ، وأنفع الرجاء : ما سهّل عليك العمل . وقال : طول الاستماع إلى الباطل يطفئ حلاوة الطاعة من القلب .

ومنهم :

أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي

من أقران بشر بن الحارث ، والسري السقطي ، والحارث المحاسبي .
 وكان أبو سليمان الداراني يسميه : جاسوس القلب ، لحدّة فراسته .
 وقال أحمد بن عاصم : إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك^(١) .
 وقال أحمد بن عاصم : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ونحن نستزید من
 الفتنة^(٢) .

(١) إنما خص اللسان بالذكر لعظم جرائمه التي تؤثر في القلب ظلمة زائدة ، فعلى العاقل أن يشغل لسانه بالذكر والتلاوة ،
 ليتنور قلبه .
 (٢) ومن كلامه : « احذر الغيبة كما تحذر عظيم البلاء ؛ فإنها إذا ثبتت في القلب أُنْتَهَا أخواتها من النعمة واليغى وسوء الظن
 والبهتان . وهي بجانبيه للإيمان » .
 « كفى بالعبد عاراً أن يدعى دعوة لا يحققها بفعله ، أو يجعل لغير ربه من قلبه نصيباً أو يستوحش مع ذكره » .
 « من كان بالله أعرف ، كان منه أخوف » .
 وكان ، رضى الله عنه ، من المحدثين .

ومنهم :

أبو السرى منصور بن عمار^(١)

من أهل مرو ، من قرية يقال لها : « يرانقان » .
وقيل إنه من « بوشنج » أقام بالبصرة : وكان من الواعظين الأكابر .
وقال منصور بن عمار : من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته في دينه .
وقال منصور بن عمار : أحسن لباس العبد : التواضع ، والانكسار ، وأحسن لباس العارفين : التقوى ، قال الله تعالى : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ .
وقيل : إن سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوباً عليها « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فرفعها ، فلم يجد لها موضعاً^(٢) فأكلها ، فرأى في المنام كأن قائلاً قال له :
فتح الله عليك باب الحكمة ؛ باحترامك لتلك الرقعة .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول
سمعت أبا العباس القاص يقول سمعت أبا الحسن الشعرانى يقول :
رأيت منصور بن عمار في المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟
فقال قال لى : أنت منصور بن عمار ؟ فقلت : بلى يارب .
قال : أنت الذى كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها ؟
قلت : قد كان ذلك يارب ، ولكنى ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة
على نبيك ﷺ ، وثلثت بالنصيحة لعبادك .

(١) وسمى « المرزوى » مات ببغداد سنة خمس وعشرين ومائتين .

كتب إليه بشر الميسى : ما قولك في القرآن ، أخلق أم لا ؟ .

فكتب إليه : أما بعد ، عافانا الله وإياك من كل فتنة ، فإن يفعل فأعظم بها من نعمة ، وإلا فهو الهلكة ، اعلم أن الكلام في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب ، فتعاطى السائل ما ليس له ، وتكلف المجيب ما ليس له ، والله تعالى الخالق ، وما دون الله مخلوق ، والقرآن كلام الله ، وأنت إلى أسمائه التى سماه الله بها تكن من المهتدين ، ولا تتدع في القرآن من قبلك اسماً تكن من الضالين « وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » .

(٢) أى يلقى بها .

فقال : صدق ، ضعوا له كرسيًا ، يجددني في سمائي بين ملائكتي ، كما كان يجدني في أرضي بين عبادي^(١) .

(١) قال العروسي : هذه القصة تشير إلى أن العبرة بما سبق من العناية ، وإن ظهر خلاف طريق الهداية ، لتحقيق فائدة الرجاء والأمل ، لكل من عمل ومن لم يعمل ، وذلك بواسطة فيوضات الكرم ، من خزائن ولي النعم - ومع هذا فعلى المكلف دوام الاستئصال ، وتفويض القبول لرب الأفضال ، فلا يفتر الإنسان بكثرة العبادات ، ولا يقنط بكبير المخالفات ، لثبوت الجهل بما علمه العليم ، مما قضاه بحكمه القويم ، فيلزم أن يكون عمله بين الرجاء والخوف ، ولا يضيع وقته ما بين عسى وسوف ، حيث ذلك من علامة الخذلان ، والقائد إلى دركات النيران ، هذا ما تحرر في أحكام الشريعة ، والمعمل عليه في أصول الحقيقة .

وممنهم :

أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار

نيسابوري ، منه انتشر مذهب الملامتية^(١) بنيسابور .

صحب سلماً^(٢) الباروسي ، وأباً تراب النخشي .

مات : سنة إحدى وسبعين ومائتين .

سئل حمدون : متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس^(٣) ؟ .

فقال : إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه ، أو خاف هلاك إنسان في بدعة ، وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها^(٤) .

وقال : من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون^(٥) ، فقد أظهر الكبر .

وقال : مذ علمت أن للسلطان فراسة في الأشرار ، ما خرج خوف السلطان من قلبي .

وقال : إذا رأيت سكراناً فتعامل ؛ لئلا تبغى عليه ، فتبتلى بمثل ذلك^(٦) .

وقال عبدالله بن منازل : قلت لأبي صالح : أوصني .

فقال : « إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا ، فافعل » .

ومات صديق له ، وهو عند رأسه ، فلما مات أطفأ حمدون السراج . فقالوا له :

(١) الملامتية : هم الذين يسترون صلاحهم بأمور تنداولها العوام ليست بمخالفات ولا معاص مخالفة في الحفاء عن الشهرة ويعقب الإمام العروسي على هذا المذهب بقوله : « ولكن طريق الاتباع أكمل ، والله سبحانه بعباده أعلم » وقد أفرد السهروردي فصلاً في عوارفه لبيان أحوالهم والحديث عنهم .

(٢) وفي نسخة أخرى « سلماً » .

(٣) أي يعظهم .

ومن كلامه : لا يجوز من المصيبة إلا من أتم ربه ، « لا أحد أدون ممن يتزين إلى دار فانية ، ويتدل إلى من لا يملك له ضراً ولا نفعاً » ، « إنما كان كلام السلف أنفع من كلامنا لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس ، وطلب الدنيا ، ورضا الخلق » (إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا كفرحهم بثلاثة : مؤمن قتل مؤمناً ، ورجل يموت كافراً ، وقلب فيه خوف الفقر) ، (إذا استطعت أن تصبح مفوضاً لا مدبراً فافعل) ، (من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ، ذل في الدنيا والآخرة) .

ومات رحمه الله سنة إحدى وسبعين ومائتين ، ودفن بنيسابور . وقد أسند الحديث عن جماعة من الأعيان ، وروى عنه آخرون .

(٤) هذا إذا سلم حال تكلمه من الكبر والعجب والرياء ، ونحوها من الآفات . كما قال الأنصاري في شرحه .

(٥) أي : في الآخرة . لأنه لا يدري بم يحتم له ، أما الحكم في الحال بأن المؤمن خير من الكافر فحق لا كبر فيه .

(٦) المراد ترك الكبر على العصاة ، ورحمتهم ، وصدور الموعظة لهم على وجه الرفق بهم والخوف عليهم .

في مثل هذا الوقت يزداد في السراج الدهنُ .
فقال لهم : إلى هذا الوقت كان الدهن له ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة .
وقال حمدون : من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درك درجات الرجال .
وقال : لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك .

ومنهـم :

أبو القاسم الجنيد بن محمد

سيد هذه الطائفة وإمامهم^(١) .

أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق ، وأبوه كان يبيع الزجاج ؛ فلذلك يقال له :
« القواريري » .

وكان فقيهاً على مذهب « أبي ثور » وكان يفتى في حلقاته بحضرته وهو ابن عشرين سنة ،
صحب خاله السري ، والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب .
مات سنة : سبع وتسعين ومائتين .

سمعت محمد بن الحسين ؛ رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول :
سمعت الفراغاني يقول : سمعت الجنيد ؛ وقد سئل : من العارف ؟
قال : من نطق عن سرِّك^(٢) وأنت ساكت .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبدالله الرازي
يقول : سمعت أبا محمد الجريري يقول : سمعت الجنيد يقول :
ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع ؛ وترك الدنيا ، وقطع المألوفات
والمستحسّنات .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا محمد
الجريري يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول : سمعت
أبا علي الروذباري يقول : سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة وقال :
أهل المعرفة بالله : يصلون إلى ترك الحركات^(٣) من باب البرِّ والتقرب إلى الله عزَّ وجلَّ .

(١) قال ابن عربي في الفتوحات : هو سيد أهل الطائفة ، كان من الفقهاء المتعبدین علی مذهب الشافعية وتفقه على أبي ثور .
توفي ببغداد سنة ٢٩٨ هـ ، وكان الكنية يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعاينة ، والمتكلمون
لتحقيقه ، والصوفية لإشاراته وحقائقه .

ومن حكمه : الإخلاص سر بين العبد وربه لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيهلكه ، وقال : بنى الطريق على
أربع : لا تتكلم إلا عن وجود ، ولا تأكل إلا عن فاقة ، ولا تتم إلا عن غلبة ، ولا تسكت إلا عن خشية .

(٢) وفي نسخة أخرى : بسرك .

(٣) أى الأعمال .

فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهو عندى عظيمة ، والذي يسرق ويزنى أحسن حالاً من الذى يقول هذا ، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى ، وإليه رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها .

وقال الجنيد : إن أمكنتك أن لا تكون آلة بيتك إلا خزفاً ، فافعل .

وقال الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عداقه يقول : سمعت أبا عمر الأنماطى يقول سمعت الجنيد يقول :

لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة ، كان ما فاتته أكثر مما ناله .
وقال الجنيد : من لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به فى هذا الأمر^(١) ، لأن علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسنة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول عن الجنيد : مذهبنا هذا : مقيّد بأصول^(٢) الكتاب والسنة .

وقال الجنيد : علمنا هذا مشيّد بحديث رسول الله ﷺ .

أنبأنا محمد بن الحسين رحمه الله ، قال : سمعت أبا الحسين بن فارس يقول : سمعت أبا الحسين على بن إبراهيم الحداد يقول : حضرت مجلس القاضى^(٣) أبى العباس بن شريح ، فتكلّم فى الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه ، فلما رأى إعجابى قال :

أتدرى من أين هذا ؟

قلت : يقول به القاضى .

فقال : هذا ببركة مجالسة أبى القاسم الجنيد .

وقيل للجنيد : من أين استفدت هذا العلم ؟

فقال : من جلوسى بين يدى الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة ، وأوماً إلى درجة فى داره .

(١) أى التصوف .

(٢) وفى نسخة أخرى (بالأصول) .

(٣) فى نسخة بدون ذكر (القاضى) .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يحكى ذلك ، وسمعته يقول :

رؤى فى يده سبحة ، فقليل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟!

فقال : طريق به وصلت إلى ربى لا أفارقه .

سمعت الأستاذ أبا عليّ ، رحمه الله ، يقول :

كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته ، ويسبل الستر ، ويصلى أربعمئة ركعة ، ثم يعود إلى

بيته .

وقال أبو بكر العطوى :

كنت عند الجنيد حين مات ، فرأيت ختم القرآن .. ثم ابتدأ من البقرة وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله^(١) .

(١) ومن أقواله :

« لا يسمى عبد عاقلاً حتى لا يظهر على جوارحه شيء ذمه ربه » .

« بنى الطريق على أربع : لا تتكلم إلا عن وجود ، ولا تأكل إلا عن فاقة ، ولا تنم إلا عن غلبة ، ولا تسكت إلا عن خشية » .

« صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب » .

« يجعل أحدهم بينه وبين قلبه محلاة من الطعام ، ويريد أن يجد حلالة المناجاة » .

« طريق التصوف عنوة لا صلح فيها » .

« لا يصفو قلب لعمل الآخرة ، إلا إذا تجرد من حب الدنيا » .

ومنهـم :

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الجبـرى

المقيم بنيسابور . وكان من « الرى » صاحب شاه الكرمانى ، ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور ، مع شاه الكرمانى ؛ على^(١) أبى حفص الحداد وأقام عنده ، ونخـرج به ، وزوجه أبـو حفص ابنته .

مات سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وعاش بعد أبى حفص نيفا وثلاثين سنة .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عمرو بن حمدان يقول : سمعت أبا عثمان يقول : لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء .
المنع ، والإعطاء ، والعز ، والذل .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبدالرحمن بن عبدالله يقول : سمعت بعض أصحاب أبى عثمان يقول : سمعت أبا عثمان ، يقول : صحبت أبا حفص مدة ، وأنا شاب ، فطر دنى مرة ، وقال : لا تجلس عندى .

فقت ، ولم أوله ظهري ، وانصرفت إلى ورائى ، ووجهى إلى وجهه .. حتى غبت عن عينيه^(٢) ، وجعلت على نفسى : أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره .
فلما رأى ذلك أدنانى ، وجعلنى من خواص أصحابه .

قال : وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لا رابع لهم :

أبو عثمان بنيسابور ، والجنيد ببغداد ، وأبو عبدالله بن الجلاء بالشام .

وقال أبو عثمان : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسخطه .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبدالله بن محمد الشعرائى يقول : سمعت أبا عثمان يقول ذلك .

ولما تغير على أبى عثمان الحال^(٣) مرق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه ، ففتح أبو عثمان

(١) أى وقرأ على أبى حفص .

(٢) وفى نسخة أخرى « عنه » .

(٣) أى حينما غشى عليه فى مرضه .

عينيه وقال : خلاف^(١) السُّنة يابني في الظاهر ، علامة رياء في الباطن .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول : سمعت أبا الحسين الوراق يقول : سمعت أبا عثمان يقول :

الصحبة مع الله : بحسن الأدب ؛ ودوام الهيبة ، والمراقبة .

والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باتباع سنَّته ، ولزوم ظاهر العلم .

والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة .

والصحبة مع الأهل : بحسن الخلق .

والصحبة مع الأخوان : بدوام البشر ما لم يكن إثماً .

والصحبة مع الجهَّال : بالدعاء لهم والرحمة عليهم .

سمعت عبدالله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول :

سمعت أبا عمرو بن نجيد يقول : سمعت أبا عثمان يقول :

من أمر^(٢) السُّنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾^(٣) .

(١) أى ما فعله ابنه من اظهار الحزن والألم عليه حتى لا يذم بترك الحنو على والده . إذ لم يراقب الله في أمره ونهيه عند نزول المصائب .

(٢) لازمها ولم يخرج عنها .

(٣) آية ٥٤ من سورة النور ، ومن أقواله أيضاً :

« حق على من أعزه الله بالطاعة ألا لا يدل نفسه بالمعصية » .

« أصل التعليق بالخير ، قصر للأمل .. ومادمت تتبع شهوتك وإرادتك فأنت مسجون . فإذا فوشت أملك إلى الله وسنمت استرحت » .. أى مع العمل .

أصحب الأغنياء بالتعزز ، والفقراء بالتدلل .. فإن التعزز على الأغنياء تواضع ، والتدلل للفقراء شرف .

« علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردوداً ، والشقاوة : أن تعصيه وترجو أن تكون مقبولاً .

ومنهم :

أبو الحسين أحمد بن محمد النورى

بغدادى المولد والمنشأ ، بغوى الأصل .
 صاحب السرى السقطى ، وابن أبى الحوارى ، وكان من أقران الجنيد رحمه الله .
 مات سنة : خمس وتسعين ومائتين ، وكان كبير الشأن ، حسن المعاملة واللسان .
 قال النورى ، رحمه الله : التصوف : ترك كل حظ للنفس .
 وقال النورى : أعز الأشياء فى زماننا شيان :
 عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقة .
 سمعت أبا عبدالله الصوفى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن محمد البرذعى يقول :
 سمعت المرتعش يقول سمعت النورى يقول :
 من رأيت يده يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقرّب منه .
 سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس البغدادى
 يقول : سمعت الفرغانى يقول : سمعت الجنيد يقول :
 منذ مات النورى لم يخرج عن حقيقة الصدق أحد .
 وقال أبو أحمد المغازلى :
 ما رأيت أعبد من النورى ، قبل : ولا الجنيد قال : ولا الجنيد .
 وقال النورى : كانت المراقع غطاءً على الدرّ ، فصارت اليوم مزابل على جيف .
 وقيل : كان يخرج كل يوم من داره ، ويحمل الخبز معه . ثم يتصدّق به فى الطريق ، ويدخل
 مسجداً يصلّى فيه إلى قريب من الظهر : ثم يخرج منه ويفتح باب حانوته ، ويصوم^(١) .
 فكان أهله يتوهّمون أنه يأكل فى السوق ، وأهل السوق يتوهّمون أنه يأكل فى بيته .
 وبقي على هذا^(٢) فى ابتدائه عشرين سنة^(٣) .

(١) بقية يومه .

(٢) وفى نسخة أخرى « وبقي على هذا النهج » أى الطريق : وهو إخفاء حاله فى عبادة ربه .

(٣) ومن كلامه :

« من وصل إلى وده ، أنس بحبه .. ومن توصل بالوداد ، فقد اصطفاه الله من بين العباد » .

« نعت الفقير السكون عند العدم ، والذل والإيثار عند الوجدان » ..

أبو عبدالله بن يحيى الجلاء

بغدادى الأصل ، أقام بالرملة ودمشق ، من أكابر مشايخ الشام .
 صـبـب أبا تراب ، وذا النون ، وأبا عبيد البُـسرى ؛ وأباه يحيى الجلاء .
 سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبدالعزيز الطبرى يقول :
 سمعت أبا عمر الدمشقى ، يقول : سمعت ابن الجلاء يقول :
 قلت لأبى وأمى : أحبُّ أن تهباني الله عزَّ وجل . فقالا : قد وهبناك الله عز وجل .
 فغبت عنها مدَّة ، فلما رجعت كانت ليلة مطيرة ، فدققت الباب ، فقال لى أبى : من ذا ؟
 قلت : ولدك أحمد .

فقال : كان لنا ولد ، فوهبناه الله تعالى ، ونحن من العرب لانسترجع ما وهبناه ، ولم يفتح
 لى الباب .

وقال ابن الجلاء : من استوى عنده المدح والذم ، فهو زاهد ، ومن حافظ على الفرائض فى
 أول مواقيتها فهو عابد ، ومن رأى الأفعال كلها من الله ، فهو مُوحِّد لا يرى إلا واحداً .
 ولما مات ابن الجلاء نظروا إليه ، وهو يضحك . فقال الطبيب : إنه حى .
 ثم نظر إلى مجسَّته فقال : إنه ميت . ثم كشف عن وجهه ، فقال : لا أدرى أهو ميت أم
 حى !! .

وكان فى داخل جلده عرق على شكل « الله » .
 وقال ابن الجلاء ، رحمه الله ، كنت أمشى مع أستاذى ، فرأيت حدثاً جميلاً فقلت :
 يا أستاذى ، تُرى يعذبُ الله هذه الصورة ؟ .
 فقال : أو نظرت إليه !! سترى غبه^(١) .
 قال : فنسيت القرآن بعده بعشرين سنة^(٢) .

(١) غبه : عاقبته .

(٢) ومن أقواله :

« سمعت هم المريدين إلى طلب للطريق إليه ، فأفتوا نفوسهم فى الطلب ، وسمعت هم العارفين إلى مولاهم فلم تعطف على شىء ،
 سواء .. الحى استصحب أفواما للكلام ، واستصحب أفواما للخلعة .. فمن استصحب الحق لمعنى ابتلاه بأنواع المحن . فليحذر أحدكم
 طلب رتبة الأكابر .

« .. من بلغ بنفسه إلى رتبة سقط عنها . ومن بلغ به ثبت عليها .

ومنهم :

أبو محمد رويم بن أحمد

بغدادى ، من أجلة المشايخ مات : سنة ثلاث وثلاثمائة .

وكان مقرنا ، وفقهيا على مذهب داود^(١) .

قال رويم : من حكم الحكيم ، أن يوسع على إخوانه في الأحكام ، ويضيق على نفسه فيها ، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم ، والتضييق على نفسه من حكم الورع .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبدالواحد بن بكر يقول : سمعت أبا عبدالله بن خفيف يقول : سألت رويما ، فقلت : أوصنى .

فقال : ما هذا الأمر ، إلا ببذل الروح^(٢) ، فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا ، وإلا فلا تشتغل بترهات^(٣) الصوفية .

وقال رويم : قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية ، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم^(٤) ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع ، وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع ، ومداومة الصدق ، فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به تزع الله نور الإيمان من قلبه .

وقال رويم :

اجتزت ببغداد وقت الهجرة ببعض السكك ، وأنا عطشان ، فاستقيت من دار ، ففتحت صبيةً بابها ، ومعها كوز ، فلما رأتى قالت :

صوفى يشرب بالنهار !!

فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط .

(١) داود الظاهرى : وهو أبو سليمان ، داود بن على بن خلف الأصبهاني ، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأى والقياس ، مولده في الكوفة سنة ٢٠١ هـ ، وتوفى ببغداد سنة ٢٧٠ هـ .

(٢) أى بذل الجهد في الطاعات والإعراض عن المحرمات .

(٣) جمع ترهة : وهى الأباطيل والخرافات .

(٤) أى اكتفوا بالأعمال الظاهرية .

وقال رويم :

إذا رزقك الله المقال^(١) ، والفعال ، فأخذ منك المقال وأبقى عليك الفعال فإنها نعمة ، وإذا أخذ منك الفعال ، وأبقى عليك المقال ، فإنها مصيبة ، وإذا أخذ منك كليهما فهي نقمة وعقوبة^(٢) .

(١) المقال أى العلم - والفعال : أى العمل به .

(٢) ومن أقواله :

« .. السكون إلى الاحوال اغترار » ، - « رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين » ، : الفقر له حرمة ، وحرمة ستره وإخفاؤه والغيرة عليه والضمن بكشفه » .

« الإخلاص : ارتفاع رؤيتك عن فعلك ، والفتوة : أن تعذر إخوانك في زللهم ، ولا تعاملهم بما يحوج إلى الاعتذار إليهم » .
« الصبر : ترك الشكوى ، والرضا : التلذذ بالبلوى ، واليقين : المشاهدة بالبصيرة » .

ومنهم :

أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي

ساكن سمرقند : بلخي الأصل ، أخرج منها ، فدخل سمرقند ، ومات بها .
وصحب أحمد بن خضرويه ، وغيره ، وكان أبو عثمان الحيري يميل إليه جدا . مات سنة :
تسع عشرة وثلاثمائة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن محمد
الفرأء ، يقول : سمعت أبا بكر بن عثمان يقول : كتب أبو عثمان الحيري إلى محمد بن
الفضل يسأله : ما علامة الشقاوة ؟ فقال : ثلاثة أشياء : يُرزق العلم ويحرم العمل ، ويرزق
العمل ويحرم الإخلاص ، ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم .

وكان أبو عثمان الحيري يقول : محمد بن الفضل سمسار^(١) الرجال .

سمعت محمد الحسين يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول : سمعت محمد بن الفضل
يقول : الراحة في السجن^(٢) من أمانى النفوس .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت محمد بن الفضل
يقول :

ذهاب الإسلام من أربعة : لا يعملون بما يعلمون ، ويعملون بما لا يعلمون ، ولا يتعلمون
مالا يعلمون ، ويمنعون الناس من التعلم .

وهذا الإسناد ، قال :

العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلى بيته^(٣) ، فيرى آثار النبوة ، كيف لا يقطع نفسه وهواه ،
ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عز وجل ؟!

وقال : إذا رأيت المرید يستزید من الدنيا ، فذلك من علامات إدباره .

(١) أى يعرف أقدارهم ورتبهم في الدين . كما يعرف سمسار السلع قدرها وقدر أثمانها .

(٢) المراد بالسجن : الدنيا . مصداقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

(٣) أى بيت الله تعالى .

وسئل عن الزهد ، فقال :
النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعزُّراً ، وتظرفاً ، وتشرفاً .

(١) ومن أقواله : أعرف الناس بالله : أشدهم مجاهدة في أوامره ، وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ ، وقال : « من استوى عنده ما دون الله نال المعرفة بالله » « أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ، ولا بدله منها ، فإن من ملك نفسه عز ، ومن ملكته نفسه ذل » .
ومن كلامه : « ست خصال يعرف بها الجاهل : العصب في غير شيء ، والكلام في غير نفع ، والعظة في غير موضعها ، وإفساء السر ، والثقة بكل أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه » أ . هـ .

ومنهم :

أبو بكر أحمد بن نصر الزقاق الكبير

كان من أقران الجنيد . من أكابر مصر .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن أحمد يقول : سمعت الكتاني يقول :

لما مات الزقاق انقطعت حُجَّة الفقراء في دخولهم مصر^(١) .

وقال الزقاق : من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام المحض .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول : سمعت الزقاق يقول :

تهت في تيه بنى إسرائيل مقدار خمسة عشر يوماً ، فلما وقعتُ على الطريق استقبلنى إنسان جندى ، فسقانى شربة من ماء ، فعادت قسوتها على قلبى ثلاثين سنة .

(١) أى أن الفقراء الذين يدخلون مصر بعد وفاته يتهمون بأن دخولهم مصر إنما يكون للاستزادة من خيراتها المادية الوافرة وليس للاستفادة الروحية التى انتهت - في نظر القائل - بوفاة الزقاق .

ومنهم :

أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي

لقى أبا عبد الله النباجي ، وصحب أبا سعيد الخزاز وغيره .
شيخ القوم ، وإمام الطائفة في الأصول والطريقة .
مات ببغداد سنة : إحدى وتسعين ومائتين .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان ،
يقول : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول : سمعت عمرو بن عثمان المكي يقول :
كل ما توهمه قلبك ، أو رسخ^(١) في مجارى فكرتك ، أو خطر في معارضات قلبك من حسن ،
أو بهاء ، أو أنس ، أو جمال ، أو ضياء ، أو شبح ، أو نور ، أو شخص ، أو خيال ، فالله تعالى
بعيد من ذلك ، ألا تسمع إلى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
وقال : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .
وهذا الإسناد قال :

العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حرون بين ذلك ، جموح ، خداعة ، روَاعة ،
فاحذرهما بسياسة العلم ، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد .
وقال : لا تقع على الواجد^(٢) عبارة ، لأنه سر الله عند المؤمنين^(٣) .

(١) وفي نسخة أخرى (أوسخ) أى عرض وخطر .

(٢) وفي نسخة أخرى : (الوجد) عبارة : أى يعبر بها عنه .

(٣) وقال : (الصبر : الثبات مع الله ، وملاقة بلائه بالرحب والدعة) (المروءة : التفاعل عن زلل الإخوان) .

ومنهـم :

سمنون بن حمزة

وكنيته : أبو الحسن ، ويقال : أبو القاسم .

صحاب السرى ، وأبا أحمد القلانسى ، ومحمد بن على القصّار ؛ وغيرهم .
 قيل إنه أنشد :

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاخترنى
 فأخذة الأسر^(١) من ساعته فكان يدور على المكاتب ، ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب .
 وقيل : إنه أنشد هذه الأبيات ، فقال بعض أصحابه لبعض : سمعت البارحة ، وكنت فى
 الرستاق صوت أستاذنا « سمنون » يدعو الله ، ويتضرّع إليه ، ويسأله الشفاء .
 فقال آخر : وأنا أيضاً ، كنت سمعت هذا البارحة ، وكنت بالموضع الفلانى .
 فقال ثالث ، ورابع ، مثل هذا ، فأخبر سمنون ، وكان قد امتحن بعلّة الأسر ، وكان يصبر
 ولا يجزع ، فلما سمعهم يقولون هذا ؛ ولم يكن هو دعا ؛ ولا نطق بشيء من ذلك ، علم أن
 المقصود منه إظهار الجزع تأديباً بالعبودية ، وسترأ لحاله ، فأخذ يطوف على المكاتب ويقول :
 ادعوا لعمكم الكذاب .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول سمعت أبا العباس محمد بن الحسن البغدادى
 يقول : سمعت جعفرأ الخلدى يقول : قال لى أبو أحمد المنازلى :

كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم ، فقال لى سمنون :
 يا أبا أحمد ، ألا نرى ما قد أنفق هذا ، وما قد عمله ؟ ونحن ما نجد شيئاً !! فامض بنا
 إلى موضع نصلّى فيه بكل درهم أنفقه ركعة^(٢) .

(١) الأسر : احتباس البول ، ويروى ابن عربى سبب ذلك فيقول : « لما أساء سمنون الأدب مع الله وأراد أن يقاوم القدرة
 الإلهية لما وجد فى نفسه من حكم الرضا والصبر ، أثبت بالأسر الذى هو احتباس البول فكان يتلوى منه كالحية على الرمل ، إذ
 مفادومه الفهر الالهى سوء أدب .

ولما تاب الله عليه وشفاه ، أنشد :

نأ راض بطول صدك عنى ليس إلا لأن ذاك هواكا
 فاستحسن بالخفا ضميرى الود ودعنى معلفاً برجاكا

(٢) أى ركعة كما فى نسخة أخرى .

فمضينا إلى المدائن ، فصلينا أربعين ألف صلاة .
 وكان سمنون ظريف الخلق ، أكثر كلامه في المحبة ، وكان كبير^(١) الشأن مات قبل الجنيد ،
 كما قيل .

(١) ومن كلامه في ذلك : أول وصل العبد هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه . وسئل عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام الذكر ، وعن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء .. وقيل له : إنا نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوة . فقال : أحمدوا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بذكره .

ومنهم :

أبو عبيد البسرى

من قدماء المشايخ صاحب أبا تراب النخشبى .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن عليّ يقول :

سمعت الدقّى يقول : سمعت ابن الجلاء يقول :

لقيت ستمائة شيخ فما رأيت مثل أربعة :

ذى النون المصرى ، وأبى^(١) ، وأبى تراب ، وأبى عبيد البسرى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن محمد البقوى

يقول : سمعت محمد بن معمر يقول : سمعت أبا زرعة الحسنى يقول :

كان أبو عبيد البسرى يوماً على « جرجر »^(٢) يدرس قمحاً له ، وبينه وبين الحج ثلاثة

أيام ؛ إذ أتاه رجلاًن ، فقالا :

يا أبا عبيد ، تنشط للحج ؟

فقال : لا .

ثم التفت إلى وقال :

شيخك على هذا^(٣) أقدر منها ، يعنى نفسه .

(١) هو : يحيى الجلاء .

(٢) نوح .

(٣) أى : على الحج قبل فوات أوانه عن طريق هذا الأمر المسمى بـ « طى الأرض » .

ومنهم :

يوسف بن الحسين^(١)

شيخ الرىّ والجبال فى وقته .

وكان نسيج وحده فى إسقاط التصنع^(٢) .

وكان عالماً أديباً ، صحب ذا النون المصرى ، وأبا تراب النخشبى ، ورافق أبا سعيد الخزاز مات سنة : أربع وثلاثمائة .

قال يوسف بن الحسين : لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصى أحبُّ إلى من أن ألقاه بذرة من التصنع .

وقال يوسف بن الحسين : إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص ، فاعلم أنه لا يجيئ^(٣) منه شىء .

وكتب إلى الجنيد : لا أذاقك الله طعم نفسك^(٤) ! فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً .

وقال يوسف بن الحسين : رأيت آفات الصوفية فى صحبة الأحداث ، ومعاشرة الأضداد ، ورفق النسوان^(٥) .

(١) هو يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازى .

(٢) أى التزين والتحسين للخلق باظهار العبادة والطاعة .

(٣) مما يرجوه من معالى الأمور .

(٤) أى لذة شهواتها الذميمة كلذة الرئاسة والمنزلة وتعظيم الخلق .

(٥) أى الانتفاع بالطايبا والهبات وقبول ما يدفعه من ذلك .

ومنهم :

أبو عبد الله محمد بن علي الترمذی^(١)

من كبار الشيوخ ، وله تصانيف في علوم القوم .
 صاحب أبا تراب النخشبى ، وأحمد بن خضرويه ؛ وابن الجلاء ، وغيرهم سئل محمد بن
 علي : عن صفة الخلق ، فقال :
 ضعف ظاهر ، ودعوى عريضة .
 وقال محمد بن علي : ما صُنفت حرفاً عن تدبير ، ولا لينسب إلى شيء منه ولكن كان إذا
 اشتد عليّ وقتي أتسلى به .

(١) نسبة إلى ترمذ : مدينة على طرف نهر بلخ المسمى بجيحون . قال الحافظ بن النجار في تاريخه : كان إماماً من أئمة المسلمين ، له التصانيف الكثيرة في التصوف وأصول الدين ومعاني الحديث ، وقال الكلاباذي في « التعرف » هو : من أئمة الصوفية : وقال ابن عطاء الله : كان الشاذلي والمرسي يعظمانه ويقولان : هو أحد الاوتاد الأربعة . ومن حكمه : إذا سكنت الأرواح بالسر نطقت الجوارح باليز ، وقال : « الولي أبداً في ستر حاله والكون ناطق بولايته ، ومدعى الولاية ناطق بولايته والكون كله يكذبه » وقال ما استصغرت أحداً من المسلمين إلا وجدت نقصاً في معرفتي وإيماني . وما منع الناس من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل . »

ومنهم :

أبو بكر محمد بن عمر الوراق الترمذى

أقام يبلخ .

وصحب أحمد بن خضرويه ، وغيره . وله تصانيف فى الرياضيات .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول : سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول :

سمعت محمد بن محمد البلخى يقول : سمعت أبا بكر الوراق يقول :

من أرضى الجوارح بالشهوات غرس فى قلبه شجر الندامات .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت أبا بكر البلخى يقول : سمعت

أبا بكر الوراق يقول :

لو قيل للطمع من أبوك ؟ قال : الشك فى المقدور .

ولو قيل : ما حرفتك ؟

قال : اكتساب الذل .

ولو قيل : ما غايتك ؟

قال : الحرمان .

وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات ويقول :

مفتاح كل بركة الصبر فى موضع إرادتك^(١) إلى أن تصح لك الإرادة ، فإن صحت لك

الإرادة ، فقد ظهرت عليك أوائل البركة .

(١) إرادتك : سلوكك .

ومنهم :

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز

من أهل بغداد .

صاحب ذا النون المصرى ، والنباجى ، وأبا عبيد البسرئى ، والسرى ، وبشراً ، وغيرهم .. مات سنة : سبع وسبعين ومائتين .

قال أبو سعيد الخراز : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عبد الله الرازى يقول : سمعت أبا العباس الصياد يقول : سمعت أبا سعيد الخراز يقول :

رأيت إبليس فى النوم ، وهو يمرّ عنى ناحية ، فقلت له : تعال ، مالك ؟ فقال : إيش أعمل بكم ، وأنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس !! فقلت : وما هو ؟ قال : الدنيا .

فلما ولى عنى ، التفت إلىّ ، وقال : غير أن لى فيكم لطيفة^(١) .

فقلت : وماهى ؟ قال : صفة الأحداث .

وقال أبو سعيد الخراز :

صحت الصوفية ما صحبت ، فما وقع بينى وبينهم خلاف .

قالوا : لم ؟ قال : لأنى كنت معهم على نفسى .

(١) لطيفة : أى أمر خفى .

ومنهم :

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي

أستاذ إبراهيم بن شيبان^(١) ، وتلميذ علي بن رزين .

عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة : تسع وتسعين ومائتين .

كان عجيب الشأن ، لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم سنين كثيرة ، وكان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعود أكلها .

وقال أبو عبد الله المغربي :

أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات^(٢) .

وقال : أعظم الناس ذلاً فقير داهن غنيا ، أو تواضع له وأعظم الخلق عزاً غنى تذلل للفقراء ، وحفظ حرمتهم^(٣) .

(١) الخواص .

(٢) بين أعمال القلب والجوارح بأن تكون واقعة على أفضل ما يرضى الله ، وفي نسخة بالمراقبات .

(٣) ومن أقواله : « الفقير لا يرجع إلى مستند في الكون ، غير الالتجاء إلى من إليه فقره ، ليغنيه بالاستغناء به » .

و « من ادعى العبودية وله مراد باق فهو كذاب ، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته في مرادات سيده » . و « العارف تضىء له بوار العلم فينظر بها عجائب الغيب » .

ومنهم :

أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق

من أهل طوس^(١) . سكن بغداد ، وصحب الحارس المحاسبي ، والسرّ السقّطي توفي ببغداد سنة تسع ، وقيل : سنة ثمان وتسعين ومائتين .

قال ابن مسروق : من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه .
وقال : تعظيم حرّمات المؤمنين من تعظيم حرّمات الله تعالى ، وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى .

وقال : شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة ، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل ، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تسقى بماء الاتفاق^(٢) والموافقة .

وقال : متى طمعت في المعرفة^(٣) ، ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة^(٤) فأنت في جهل ، ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة ، فأنت في غفلة عما تطلب .

(١) أخذ الحديث عن كثيرين . ومن أقواله : من لم يجتز بعقله من عقله لعقله ، هلك بعقله . وقال : المؤمن يقوى بذكر الله ، والمنافق بالأكل والشرب .

(٢) أى اتفاق مراد العبد ومطلوب الرب تعالى والموافقة للكتاب والسنة .

(٣) المعرفة بالله .

(٤) السلوك .

ومنهم :

أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني

من أقران الجنيد .

قصده عمرو بن عثمان المكي في دين ركه ، فقضاه عنه ، وهو ثلاثون ألف درهم .

لقى أبا تراب النخشبى والطبقة^(١) .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الطبرى

يقول : سمعت على بن سهل يقول :

المبادرة إلى الطاعة من علامة التوفيق .

والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية .

ومراعاة الأسرار من علامات التيقظ .

وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية ، ومن لم تصح مبادئ إرادته لا يسلم في منتهى

عواقبه^(٢) .

(١) أى الذين في طبقتهم . ومن كلامه : حرام على من عرف الله أن يسكن لغيره وقال : التصوف : الثبرى عمن دونه ، والتخلى عما سواه .

(٢) ومن أقواله : « من فقه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدنيا وأهلها ، فإن من جهل القلب متابعة سرور لا يدوم » .

ومنهـم :

أبو محمد بن محمد بن الحسين الجريري^(١)

من كبار أصحاب الجنيـد ، وصحب سهل بن عبد الله ، أقعد بعد الجنيـد في مكانه وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة ، كبير الحال ، مات سنة : إحدى عشرة وثلاثمائة .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، يقول : سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول : مات الجريري سنة الهـبـير^(٢) ، فجـزت به بعد سنة ، فإذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره ، وهو مشير إلى الله^(٣) بأصبعه .

من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهوى ، وحرّم الله على قلبه الفوائد ، فلا يستلذ بكلام الحق تعالى ؛ ولا يستحليه وإن كثـر تـزادـه على لسانه ؛ لقوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٤) .

وقال الجريري :

رؤية الأصول^(٥) باستعمال الفروع ، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول^(٦) ، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع^(٧) .

(١) نسبة إلى جرير بن عباد من بني بكر بن وائل .

(٢) أى السنة التي كان فيها هلاك الناس وتقطيعهم .

(٣) إلى انفراده سبحانه بالوحدانية .

(٤) آية ١٤٦ من سورة الاعراف .

(٥) أصول الأحكام الشرعية وهى الكتاب والسنة .

(٦) أى عرض الفروع عليها .

(٧) والمقصود أن اعتقاد العظمة والصحة في الأصول فرع اعتقاد العظمة والصدق فيمن شرعها ، واعتقاد عظمة الأصول لا يتم إلا بإيقاع الفروع صحيحة على موافقتها ، وإلا فلا فائدة .. ومن كلامه إن الله لا يعاب بصاحب حكاية وإنما يعاب بصاحب قلب ورواية ، وقال : من توهم أن أعماله توصله إلى مأموله الأعلى أو الأدنى فقد ضل عن الطريق : لأن المصطفى ﷺ يقول : لن ينجى أحدكم عمله . فما لا ينجى من المخوف كيف يبلغ المأمول ؟ ، ومن صح اعتماده على فصله (مع العمل) فذاك الذى يرجى له لوصول .

ومنهم :

أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي^(١)

من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم^(٢) ، كان الخراز يعظم شأنه .
وهو من أقران الجنيد ، وصحب إبراهيم المارستاني ، مات سنة : تسع وثلاثمائة .
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا سعيد القرشي يقول : سمعت ابن عطاء
يقول : من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام
متابعة الحبيب ﷺ ، في أوامره ؛ وأفعاله ، وأخلاقه .
وقال ابن عطاء : أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه عز وجل ، وغفلته عن أوامره ونواهيه ،
وغفلته عن آداب معاملته .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الرحمن بن أحمد الصوفي
يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول :
كل ما سئلت عنه فاطل به في مفازة^(٣) العلم ، فإن لم تجده ، ففى ميدان الحكمة ، فإن لم تجده
فزنه بالتوحيد^(٤) ، فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان .

(١) بفتح الهزرة والدال : نسبة إلى بيع الأدم وهو الجلد .
(٢) قال : رأيت في النوم قاتلاً يقول : أى شيء أصح في الصلاة ؟ قلت : صحة القصد . فقال هاتف : بل رؤية المقصود
بإسقاط رؤية القصد ، وقال « رؤية الثواب عند ذكر الله غفلة عن الله » .
(٣) أى مجاله لا تساعه وهو الأدلة المأخوذة من الكتاب والسنة .
(٤) أى بما تقرر في علم التوحيد هل تليق نسبته إلى الله أم لا .

ومنهم :

أبو إسحق إبراهيم بن أحمد الخواص

من أقران الجنيد والثوري ، وله في التوكل والرياضات حظٌ كبير ، مات بالرى سنة :
إحدى وتسعين ومائتين .

كان « مبطونا »^(١) ؛ فكان كلما قام توضاً ، وعاد إلى المسجد ، صلى ركعتين ، فدخل مرة
الماء فمات . رحمه الله .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت الخواص يقول :
ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العالم من أتبع العلم واستعمله ؛ واقتدى بالسنن وإن كان قليل
العلم .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول :
سمعت الأزدي يقول : سمعت الخواص يقول :
دواء القلب خمسة أشياء :

قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ؛ والتضرع عند السحر ، ومجالسة
الصالحين^(٢) .

(١) أي مريضاً بداء البطن وهو الإسهال .

(٢) ومن فوائده : « من لم يصبر لم يظفر » . وكان عامة مناجاته :
برح الخفاء وقل التلقى راحة هل يشتفى خل بعير خليله .

ومنهم :

أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز

من أهل الرى ، جاور بمكة .
 صاحب أبا حفص ، وأبا عمران الكبير .
 وكان من المتورعين ، مات قبل العشرة والثلاثمائة .
 سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت أبا نصر الطوسى يقول : سمعت
 الدقى يقول : دخلت على عبد الله الخراز ، ولى أربعة أيام لم آكل ، فقال :
 يجوع أحدكم أربعة أيام فيصبح ينادى عليه الجوع .
 ثم قال :
 إيش يكون لو أن كل نفس منفوسة^(١) تلفت فيم تؤمله عند الله ترى يكون ذلك كثيراً .
 وقال أبو محمد عبد الله الخراز :
 الجوع طعام الزاهدين ، والذكر طعام العارفين^(٢) .

(١) منفوسة . مولودة .

(٢) قال العروسى : وإنما كان طعامهم الذكر لأنهم حققوا بالله ورفضوا ما سواه فكانت حياتهم بالذكر ، وتنعماتهم بالفكر ، وأنسهم بالقرب .. فجنتهم بالمشاهدات ، وناهم بالفلات .. فرضى الله عنهم وأرضاهم عنا .

ومنهـم :

أبو الحسن بنان بن محمد الحمال

واسطى الأصل .

أقام بمصر ، ومات بها سنة : ست عشرة وثلاثمائة .

كبير الشأن ، صاحب الكرامات .

سئل بنان عن أجل أحوال الصوفية ، فقال :

الثقة بالمضمون^(١) ؛ والقيام بالأوامر ، ومراعاة السر^(٢) ، والتخلي من الكوفيين .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسن بن أحمد الرازي ، يقول : سمعت أبا علي

الروذباري يقول :

ألقى بنان الحمال بين يدي السبع^(٣) ، فجعل السبع يشمه ولا يضره .

فلما أخرج ، قيل : ما الذي كان في قلبك حيث شمك السبع ؟

قال : كنت أفكر في اختلاف العلماء في سور^(٤) السبع .

(١) وهو الرزق

(٢) السر القلب .

(٣) بأمر ابن طولون حين اشتد في الأمر بالمعروف ، أو حين اتهم بما يستحق العقوبة .

(٤) رطوبة فمه هل هي طاهرة أو ليست بطاهرة .

ومنهم :

أبو حمزة البغدادي البزاز

مات قبل الجنيد ، وكان من أقرانه . صحب السري ، والحسن المسوحى وكان عالماً بالقراءات ، فقيهاً .

وكان من أولاد عيسى بن أبان ، وكان أحمد بن حنبل يقول له في المسائل ما تقول فيها يا صوفي ؟

قيل : كان يتكلم في مجلسه يوم جمعة فتغير عليه الحال ، فسقط عن كرسيه : ومات في الجمعة التالية .

وقيل : مات سنة تسع وثمانين ومائتين .

قال أبو حمزة :

من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ في أحواله ، وأفعاله وأقواله .

وقال أبو حمزة :

من رُزق ثلاثة أشياء ، فقد نجا من الآفات :

بطن خال مع قلب قانع ، وفقر دائم معه زهد حاضر ، وصبر كامل معه ذكر دائم .

ومنهـم :

أبو بكر محمد بن موسى الواسطى

خراسانى الأصل من « فرغانة » صحب الجنيد والنورى .
 عالم كبير الشأن ، أقام بمرور ، ومات بها بعد العشرين والثلاثمائة .
 قال الواسطى : الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من سوء الأدب .
 وقال : مطالعة الأعواض^(١) على الطاعات من نسيان الفضل .
 وقال الواسطى : إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأتنان والجيف ، يريد به صحة الأحداث .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز المروزى ، يقول : سمعت الواسطى يقول :

جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً ، وشره نفوسهم انبساطاً ؛ ودناءة الهمم جلادة ، فعموا عن الطريق ، وسلخوا فيه المضيق ، فلا حياة تنمو في شواهدهم^(٢) ، ولا عبادة تزكو في محاضرتهم ، إن نطقوا فبالغصب وإن خاطبوا فبالكبر ، توثب أنفُسهم ينبئ عن خبث ضمائرهم ، وشرهم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم . قاتلهم الله أنى يؤفكون .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

سمع بعض المراززة إنساناً صيدلانياً ، يقول :

اجتاز الواسطى يوم جمعة بباب حانوتى ، قاصداً إلى الجامع ، فانقطع شمع^(٣) نعله ، فقلت :

أيها الشيخ ، أتأذن لى أن أصلح نعلك ؟

فقال : أصلح .

(١) الأعواض : جمع عوض . وهو ما يكون فى مقابلة الشيء والمراد به هنا : الأجر المرتب على الطاعة : والمطالبة : المطالبة :

(٢) سواهدهم : مشاهدتهم .

(٣) أحد سيوره .

فأصلحت شسعه ، فقال : أتدرى لم انقطع شسع نعلى ؟

فقلت : حتى تقول .

قال : لأنى ما اغتسلت للجمعة !!

فقلت له : يا سيدى ، هاهنا حمّام تدخله ؟ فقال : نعم . فأدخلته الحمّام فاغتسل^(١) .

(١) ومن فوائده : الخوف والرجاء زمامان يمتعان من سوء الأدب : وقال : الخروج من ميدان الغفلة . إلى فضاء المشاهدة على علبة الخوف وشدة الحب . إذا تجلّى الحق على السرائر ذهب الخوف والرجاء ، أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقة حقه عنه : الكلمة التى بها كملت المحاسن : الاستقامة .

ومنهم :

أبو الحسن بن الصائغ

واسمه : على بن محمد بن سهل الدينوري .

أقام بمصر ، ومات بها ، وكان من كبار المشايخ .

قال أبو عثمان المغربي :

ما رأيت من المشايخ أتور من أبي يعقوب النهر جوري ، ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصائغ .

مات سنة : ثلاثين وثلاثمائة .

سئل ابن الصائغ عن الاستدلال بالشاهد على الغائب ، فقال :

كيف يستدل بصفات من له مثل ونظير على من لا مثل له ولا نظير ؟!

وسئل عن صفة المرید ، فقال :

ما قال الله عز وجل : « وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاعت عليهم أنفسهم »^(١) الآية .

وقال : الأحوال كالبروق ، فإذا ثبتت فهو حديث النفس وملزمة الطبع^(٢) .

(١) الآية هي ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ إن الله هو التواب الرحيم ﴿ : التوبة آية : ١١٨ .

(٢) وفي بعض النسخ ، وملاءمة الطبع أى موافقته :

ومنهم :

أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقي

من كبار مشايخ الشام .

من أقران الجنيد ، وابن الجلاء .

وقد عمر ، وعاش إلى سنة : ست وعشرين وثلاثمائة .

وقال إبراهيم الرقي :

المعرفة : إثبات الحق على ما هو ، خارجاً عن كل ما هو موهوم .

وقال : القدرة ظاهرة ، والأعين مفتوحة ، ولكن أنوار البصائر قد ضعفت .

وقال : أضعف الخلق : من ضعف عن ردّ شهواته ، وأقوى الخلق : من قوى على ردّها .

وقال : علامة محبة الله : إيثار طاعته ، ومتابعة نبيه ﷺ^(١) .

(١) ومن كلامه : نفسك سائرة بك ، وقلبك طائر بك ، فكن مع أسرعها وقال : « قيمة كل إنسان بقدر همة ، فإن كانت همة الدنيا فلا قيمة له ، وإن كانت همة رضا الله فلا يمكن إدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها : وقال : « السباحة بالنفس لأرباب الظواهر علماً وشرعاً وخلقاً ، والسباحة بالقلب لأرباب البواطن حالاً ووجداً وكشفاً » .

ومنهم :

ممشاد الدينورى

من كبار مشايخهم^(١) . مات سنة : تسع وتسعين ومائتين .

قال ممشاد :

أدب المرید فی التزام حُرّمات المشايخ ، وخدمة الإخوان ، والخروج عن الأسباب ، وحفظ آداب الشرع على نفسه .

وقال ممشاد :

ما دخلت قط على أحد من شيوخى ، إلا وأنا خال من جميع مالى أنتظر بركات مايرد على من رؤيته وكلامه ، فإن من دخل على شيخ بحظه^(٢) انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته ، وكلامه .

(١) صحب ابن الجلاء ، وكان عابداً زاهداً ، ومن اقواله : إنا ووث الحكماء الحكمة بالصمت والتفكير . وقال : ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك ، وعن ذكر من لا يغفل عن ذكرك . وقال : لو جمعت حكم الأولين والآخرين ، وأدعيت أحوال الأولياء والصادقين ، لم تصل إلى درجة العارفين ، حتى يسكن سرك إلى الله تعالى ، وتنق به فيها ضمن لك :

(٢) أى بنية الامتحان ومعرفة ما عنده .

ومنهم :

خير النساج

صحب أبا حمزة البغدادي ، ولقى السرى ، وكان من أقران أبي الحسن النورى إلا أنه عمّر عمراً طويلاً ، وعاش ، كما قيل ، مائة وعشرين سنة^(١) .

وتاب في مجلسه : الشبلى ، والخوَّاص . وكان أستاذ الجماعة .

وقيل : كان اسمه محمد بن إسماعيل ، من « سامرة » ، وإنما سُمي « خير النساج » ، لأنه خرج إلى الحج ، فأخذه رجل على باب الكوفة وقال : أنت عبدى ، واسمك خير .

- وكان أسود - فلم يخالفه . واستعمله الرجل في نسج الخبز ، فكان يقول له : يا خير فيقول : لبيك .

ثم قال له الرجل بعد سنين :

غلطت ، لا أنت عبدى . ولا اسمك خير .

فمضى وتركه ، وقال :

لا أغيرُ اسماً سماني به رجل مسلم .

وقال : الخوف سوط الله يقوّم به أنفساً قد تعودت سوء الأدب .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسن القزوينى

يقول : سمعت أبا الحسين المالكى ، يقول :

سألت من حضرَ موت خير النساج عن أمره ؟ فقال :

لما حضرت صلاةً المغرب غشى عليه ، ثم فتح عينيه ، وأومأ^(٢) في ناحية البيت وقال : قف ، عافاك الله ، فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبدٌ مأمور .

وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتنى .

(١) أصله من أهل سامرة . ثم سكن بغداد . ومن فوائده : الصبر من أخلاق الرجال ، والرضا من أخلاق الكرام .

(٢) أى أشار إلى ملك الموت .

ودعا بماء فتوضأ للصلاة ، ثم تمّدد . وغمض عينيه ، وتشهّد ، ومات فرؤى في المنام فقيل له :

ما فعل الله بك ؟

فقال لسائله : لا تسألني عن هذا ، ولكن استرحت من دنياكم الوضرة^(١) !!

(١) وفي نسخة القذرة والمعنى واحد . ومن أقواله : « الصبر من أخلاق الرجال ، والرضا من أخلاق الكرام » « العمل الذي يصل به العبد إلى الدرجات العلا ، رؤية التقصير والعجز والضعف » .

ومنهم :

أبو حمزة الخراساني

بنيسابور ، أصله من محلة « ملقباذ » . من أقران الجنيد ، والخراز وأبي تراب النخشي .
وكان ورعا ، ديناً .

قال أبو حمزة :

من استشعر ذكر الموت حبيب الله إليه كل باق ، وبغض إليه كل فان .

وقال : العارف بالله يدافع عيشه يوماً بيوم ، ويأخذ عيشه يوماً ليوم .

وقال له رجل : أوصني .

فقال : هيئ زادك للسفر الذى بين يديك .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الطيب العكي يقول : سمعت أبا

الحسن المصرى يقول : سمعت أبا حمزة الخراساني ، يقول :

كنت قد بقيت محرماً في عباء^(١) ، أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع للشمس على وتغرب ،

كلما حللت أحرمت .

توفي سنة : تسعين ومائتين .

(١) أى كساء ، ويقال فيه : عباية وعباة .

ومنهم :

أبو بكر بن جحدر الشبلي

بغدادى المولد والمنشأ . وأصله من « أسرُ وشنة » .
 صاحب الجنيد ومن في عصره ، وكان شيخ وقته : حالاً ، وظرفاً ، وعلماً^(١) .
 مالكي المذهب . عاش سبعاً وثمانين سنة ، ومات سنة : أربع وثلاثين وثلاثمائة . وقبره
 ببغداد .

ولما تاب الشبلي في مجلس « خير النساء » أتى « دماوند » ، وقال :
 كنت والى بلدكم ، فاجعلوني في حل^(٢) .
 وكانت مجاهداته في بدايته فوق الحد .
 سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق : رحمه الله ، يقول :
 بلغني أنه اكتحل بكذا . وكذا .. من الملح : ليعتاد السهر ، ولا يأخذه النوم ولو لم يكن من
 تعظيمه للشرع إلا ما حكاه « بكران الدينوري » في آخر عمره لكان كثيراً .
 سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت أبا العباس البغدادي
 يقول : كان الشبلي ، رحمه الله ، يقول في آخر أيامه :

(١) سمع بائناً يقول : الخيار عشرة بدرهم ، فصاح وقال : فكيف السرار .
 ومن حكمه : ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق ، وقال : إن أردت أن تنظر إلى الدنيا فانظر إلى
 نفسك ، فخذ كفا من تراب ، فإنك منه خلقت وفيه تعود .
 وسأله رجل : أى الصبر أشد ؟ قال : الصبر في الله . قال : لا . قال : الصبر مع الله ، قال : لا . قال : الصبر لله ، قال : لا ،
 قال : فأى شيء قال : الصبر عن الله . فصرخ الشبلي وأشد :

الصبر يحمل في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحمل
 وقال : ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور ، وأشد في الذكر :
 ذكرتك لا أتى نسيبك لحظة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
 وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
 فلما أراقى التوحيد أنك حاضري شهدتك موجوداً بكل مكان
 فخطبت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان
 وقال : ليس من جذبه أنوار مقدسه إلى أنه كمن جذبه أنوار رحمته إلى مغفرته .

(٢) لأنه بالتوبة تنقل من حقوق الخالق وبقي عليه حقوق المخلوقين ، فالخروج من حقوق الآدميين معتبر في تحقق التوبة ..
 وبذلك كانت توبته خالصة كاملة ..

وكم من موضع^(١) لو مت فيه لكنت به نكالا في العشيرة
 وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد فوق جدّ من عاصره ، ويقول :
 هذا شهر عظمه ربى ، فأنا أوّل من يعظّمه .
 سمعت الأستاذ أبا علىّ يحكى ذلك عنه .

(١) أراد بالموضع المقامات المذمومة التى نقله الله منها .

ومنهـم :

أبو محمد عبد الله بن محمد المرتعش

نيسابورى ، من محلة « الحيرة » . وقيل : من « ملقباذ » .
 صحب أبا حفص ، وأبا عثمان ، ولقى الجنيد ، وكان كبير الشأن^(١) .
 وكان يقيم فى مسجد « الشونزیه^(٢) » . مات ببغداد سنة : ثمان وعشرين وثلاثمائة .
 قال المرتعش :
 الإرادة : حبس النفس عن مراداتها ، والإقبال على أوامر الله تعالى ، والرضا بموارد القضاء عليه .
 وقيل له : إن فلاناً يعيش على الماء .
 فقال : عندى أن من مكّنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى فى الهواء .

(١) وقال المناوى : عجائب الدنيا فى التصوف ثلاثة : الشبل فى الإشارات ، المرتعش فى النكت ، وجعفر الخلدى فى الحكايات .

ومن حكم المرتعش ، قوله : من كمل إسلامه أحبه الحق ، ومن كمل إيمانه استغنى عن الحق . وقوله :
 أصول التوحيد : معرفة الله بالربوبية . والإقرار له بالوحدانية ، ونفى الأضداد عنه بالكلية . وقال ، سكون القلب لغير الله
 عقوبة عجلت فى الدنيا .

(٢) نسبة إلى الشونين مقبرة ببغداد .

ومنهـم :

أبو على أحمد بن محمد الروذبارى

بغدادى ، أقام بمصر . ومات بها سنة : اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

صحب الجنيد ، والنورى ، وابن الجلاء ، والطبقة .

أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة^(١) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت أبا القاسم الدمشقى

يقول : سئل أبو على الروذبارى عن يسمع الملاحى ويقول :

هى لى حلال ، لأنى وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال .

فقال : نعم ، قد وصل ، ولكن إلى سقر !

وسئل عن التصوف ، فقال : هذا مذهب كله جد ، فلا تخلطوه بشىء من الهزل .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا

على الروذبارى يقول : من علامة الاغترار أن تسيء فيحسن الله إليك ، فتترك الإنابة

والتوبة ، توهماً أنك تسامح فى الهفوات ، وترى أن ذلك من بسط الحق لك .

وقال : كان أستاذى فى التصوف : الجنيد . وفى الفقه : أبو العباس بن شريح^(٢) ، وفى

الأدب : ثعلب ، وفى الحديث : إبراهيم الحزبى .

(١) ومن أقواله ، المريد ، من لا يريد لنفسه إلا ما أراد الله له ، والمراد : لا يريد من الكونين شيئاً غيره ، وقال : المشاهدة للقلوب ، والكاشفة للإسرار ، والمعانية للبصائر ، والمرئيات للإبصار .

(٢) فى نسخة ، ابن شريح ،

ومنهم :

أبو محمد عبد الله بن منازل

شيخ الملامية^(١) ، وأوحد وقته ، صاحب حمدون القصّار .
وكان عالماً ، وكتب الحديث الكثير .

مات بنيسابور سنة : تسع وعشرين ، أو ثلاثين وثلاثمائة .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله المعلم يقول : سمعت عبد الله بن منازل يقول : ولم يبَلِّ أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت أبا أحمد بن عيسى يقول : سمعت عبد الله بن منازل يقول :

أفضل أوقاتك : وقت تسلم فيه من هواجس نفسك ، ووقت تسلم^(٢) فيه من سوء ظنّك .
لم يضيّع أحد فريضة من الفرائض إلا إبتلاه الله تعالى بتضييع السنن .

(١) هم طائفة خاصة من الصوفية يعتمدون على الإخلاص والتهرب من الرياء والمبالغة في ذلك .. وقد فصل السهر وردى الحديث عنهم في عوارفه .

(٢) وفي نسخة أخرى : « يسلم الناس » .

ومنهم :

أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي

إمام الوقت^(١) صاحب أبا حفص ، وحمدون القصّار .

وبه ظهر التصوف بنيسابور : مات سنة : ثمان وعشرين وثلاثمائة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول :

سمعت أبا علي الثقفي يقول : لو أن رجلاً جمع العلوم كلها ، وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة : من شيخ ، أو إمام ، أو مؤدّب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ، ورعونات نفسه ، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات .

وقال أبو علي رحمه الله :

يأق على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه لمؤمن إلا بعد استناده إلى منافق .

وقال : أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسراتها إذا أدبرت ، والعاقل من

لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً ، وإذا أدبر كان حسرة .

(١) ومن أقواله : كمال العبودية العجز والتقصير عن معرفة علي الأشياء بالكلية وقال : لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صواباً ومن صوابها إلا ما كان خالصاً ، ومن خالصها إلا ما كان موافقاً للسنة ، وقال : ليس شيء أولى بأن تمسكه من نفسك ولا شيء أولى بأنه تغلبه من هواك .

ومنهم :

أبو الخير الأقطع^(١)

مغربي الأصل ، سكن « تينات » .

وله كرامات ، وفراصة حادة .

كان كبير الشأن ، مات سنة : نيف وأربعين وثلاثمائة .

قال أبو الخير :

مابلق أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة^(٢) ، ومعانقة الأدب ، وأداء الفرائض ، وصحبة الصالحين .

(١) قال النواوي في طبقاته : هو : « التيناتي » نسبة إلى « تينات » قرية ببلاد المشرق ، على أميال من المصيصة ، وهي مدينة على ساحل البحر . واسمه « عباد بن عبدالله » .

وأصله من المغرب . وقدم المشرق فصحب ابن الجلاء وغيره ، ومات بمصر ، بقرب قبر ذي النون المصري ومن كلامه : لا يجوز التصدر للمشيخة إلا لمن فرغ من هذيب نفسه . ومن بقى عليه بقية ، فهو مرید . والمرید لا يكون له مرید . وقال : « من أحب اطلاع الناس على عمله ، فهو مرء . أو على حاله ، فهو كذاب » . وقال القلوب ظروف : فقلب مملوء إيماناً ، فعلامته الشفقة على جميع المسلمين ، والاهتمام بما يحتمهم ، ومعاونتهم بما يعود صلاحه إليهم ، وقلب مملوء نفاقاً ، فعلامته : الحقد ، والغل ، والغش ، والحسد . وقال : لن يصفو قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى ، ولن يصفو بدلك إلا بخدمة أولياء الله تعالى » .

(٢) أى موافقة الكتات والسنة في العلم والعمل .

ومنهـم :

أبو بكر محمد بن علي الكتاني^(١)

بغدادى الأصل .

صحب الجنيد ، والحراز ، والنورى .

وجاور بمكة إلى أن مات سنة : اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : نظر الكتانى إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل الناس ، فقال : هذا رجل أضاع حق الله فى صغره ، فضيعه الله فى كبره .
وقال الكتانى : الشهوة زمام الشيطان ، فمن أخذ بزمامه كان عبده .

(١) وهو : محمد بن علي بن جعفر ، وكنيته أبو بكر كان أحد الأئمة . حكى محمد المرتضى أنه كان يقول : « الكتانى سراج الحرم » .

ومن قوله : إذا سألت الله تعالى التوفيق فابدأ العمل ، وكن فى الدنيا بيدك وفى الآخرة بقلبك ، وقال : الغافلون يعيشون فى حلم الله ، والذاكرون يعيشون فى رحمة الله ، والعارفون يعيشون فى لطف الله ، والصادقون يعيشون فى قرب الله .
وسئل عن الصوفى ، فقال : من عزفت نفسه عن الدنيا تطرقا ، وعلت همته عن الآخرة ، وسخت نفسه بالكل وطلبا وشوقا إلى من له الكل .

وقيل له : من العارف ؟ . فقال : من يوافق معروفه فى أوامره ، ولا يخالفه فى شىء من أحواله ، ويتحجب إليه بمحبة أوليائه ، ولا يفر عن ذكره طرفة عين . وسئل عن المتقى ، فقال : من اتقى ما لهج به العوام من متابعة الشهوات ، وركوب المخالفات ، ولزم باب الموافقة ، وأنس براحة اليقين وأتته الفوائد من الله عز وجل فى كل حال فلم يغفل عنها .

ومنهم :

أبو يعقوب إسحق بن محمد النهر جوري^(١)

صحاب أبا عمرو المكيّ ، وأبا يعقوب السوسي ، والجنيّد ، وغيرهم .
مات بمكة^(٢) مجاوراً بها ، سنة ثلاثمائة .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الحسين أحمد بن علي يقول : سمعت النهر جوري ، يقول :

الدنيا بحر ، والآخرة ساحل ، والمركب التقوى ، والناس سفّ .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازيّ يقول : سمعت النهر جوري يقول
رأيت رجلاً في الطواف بفرد عين ، يقول أعوذ بك منك .

فقلت : ما هذا الدعاء ؟

فقال : نظرت يوماً إلى شخص فاستحسنته ، وإذا لظمة وقعت على بصرى ، فألست
عيني ، فسمعت هاتفاً يقول :

لظمة بنظرة . ولو زدت لزدتاك .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن عليّ يقول : سمعت النهر جوري يقول :
أفضل الأحوال ما قارن العلم^(٣) .

(١) النهر جوري ، نسبة إلى نهر جور - بضم الجيم وسكون الواو - بين الإهراز وميسان .

(٢) قال له قاتل ، وهو يجود بأنفاسه الأخيرة : قل لا إله إلا الله . فتبسم ، وقال : إياي تعني ؟

وعزة من لا يذوق الموت ، ما بيني وبينه إلا حجاب العزة . ثم مات فوراً .

سئل عن التصوف ، فقال : « تلك أمة قد خلت » .

وقال في الفناء والبقاء : « هو فناء رؤية قيام العبد لله ، وبقاء رؤية قيام الله في الأحكام » .

وقال : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية وحقيقة الصدق : القول بالحق في مواطن التهلكة » .

وقال : « من كان شيعه بالمال لم يزل جائعاً . ومن كان غناه بالمال لم يزل مفتقراً ومن طمع في الخلق لم يزل محروماً . ومن استعان على أمر بغير الله لم يزل مخذولاً .

(٣) أي ما وافق العلم الشرعي ، وشهد له العلم بالصحة والكمال ، إذ غير ذلك من تلبس الشيطان .

ومنهم :

أبو الحسن علي بن محمد المزين

من أهل بغداد ، من أصحاب سهل بن عبد الله ، والجنيد ، والطبقة .
مات بمكة مجاوراً سنة : ثمان وعشرين وثلاثمائة .
وكان ورعاً كبيراً^(١) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت
المزين يقول :

الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب الأول ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة الأولى .
وسئل المزين عن التوحيد ، فقال :

أن تعلم أن أوصافه تعالى بائنة لأوصاف خلقه ، بأيّنهم بصفاته قدماً كما بأيّنهم بصفاتهم
حدثنا .

وقال : من لم يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق ، ومن استغنى بالله أحوج الله الخلق
إليه^(٢) .

(١) سئل عن المعرفة ، فقال : « أن تعرف الله بكمال الربوبية ، وتعرف نفسك بالعبودية ، وتعلم أن الله أول كل شيء ، وبه
يقوم كل شيء ، واليه مصير كل شيء ، وعليه رزق كل شيء » .

وسئل عن التوحيد ، فقال : « أن توحّد الله بالمعرفة ، وتوحّد بالعبادة ، وتوحّد بالرجوع إليه في كل مالِك وعليك ، وتعلم أن
ما خطر بقلبك أو أمكنك الإشارة إليه فاقه تعالى بخلاف ذلك ، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه » .

(٢) وفي نسخة : أحوج الله إليه الخلق .

ومنهـم :

أبو على بن الكاتب

واسمه الحسن بن أحمد . صحب أبا على الروذبارى ، وأبا بكر المصرى ، وغيرهما .
كان كبيراً فى حاله^(١) .

مات سنة : نيف وأربعين وثلاثمائة .

قال ابن الكاتب :

إذا سكن الخوف فى القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه .

وقال ابن الكاتب :

المعتزلة نزهوا^(٢) الله تعالى من حيث العقل فأخطوا ، والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا .

(١) ومن مأثوراته : « إذا انقطع العبد إلى الله بكلية ، فأول ما يفيد الله الاستغناء به عن سواه » .
وقوله : « إذا سمع الرجل الحكمة ، فلم يقبلها ، فهو مذنب ، وإذا سمعها ولم يعمل بها فهو منافق » .
وقال : « إن الله تعالى يرزق العبد حلالة ذكره به فإن فرح بها وشكره أنه بقربه وإن قصر فى الشكر أجرى الذكر على لسانه ، وسلبه حلالوته » .
وقيل له : إلى أى المجتبتين أنت أميل ؟ إلى الفقر أو إلى الغنى ؟ فقال : إلى أعلاهما رتبة ، واسناها قدراً ، ثم أنشد يقول :

إذا كانت العليا فى جانب الفقر
وحبك أن الله أثنى على الصبر

ولست بنىظار إلى جانب السفى
وإلى لصبار على ما يئوبى
(٢) عن أن يخلق الشر والكفر وسائر المعاصى .

ومنهم :

مظفر القرمسيني

من أشياخ الجبل^(١) . صحب عبد الله الخراز ، وغيره .

قال مظفر القرمسيني^(٢) :

الصوم على ثلاثة أوجه :

صوم الروح بقصر الأمل ، وصوم العقل بخلاف الهوى ، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارم .

وقال مظفر : أحسُّ الأرفاق^(٣) : أرفاق النسوان ، على أيّ وجه كان .

وقال : الجوع إذا ساعدته القناعة فهو مزرعة الفكرة ، وينبوع الحكمة ، وحياة الفطنة ، ومصباح القلب .

وقال : أفضل أعمال العبيد : حفظ أوقاتها الحاضرة ، وهو أن لا يقصّروا في أمر ، ولا يتجاوزوا عن حدّ .

وقال : من لم يأخذ الأدب عن حكيم لم يتأدّب به مريد .

(١) الجبل : جبل سفح قاسون .

(٢) القرمسيني : نسبة إلى قرمين ، مدينة بجنال العراق .

سئل عن التصوف ، فقال : الأخلاق المرضية .

وقال : « من أفقره الله إليه أغناه به ، ليعرفه بالفقر عبوديته . وبالغنى ربوبيته .

وقال : « من قتله الحب أحياه القرب » وقال : « يحاسب الله المؤمنين - يوم القيامة - بالمنة والفضل ، ويحاسب الكفار بالحجة

والعدل .

وسئل : ما خير ما أعطى العبد ؟ . فقال : فراغ القلب عما لا يعنيه ، لينفرغ إلى ما يعنيه .

(٣) العطايا والهبات .

ومنهم :

أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري

ومن أقران الشبلي . من مشايخ الجبل .

عالم ورع^(١) ، صاحب يوسف بن الحسين ، وغيره .

مات بفرب من الثلاثين والثلاثمائة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله ، يقول :

سمعت أبا بكر بن طاهر يقول :

« من حُكم الفقير أن لا يكون له رغبة ، فإن كان ولا بد ، فلا تتجاوز رغبته كفايته » يعنى المحتاج إليه .

وهذا الإسناد قال :

إذا أحببت أخاً في الله ، فاقبل مخالطته في الدنيا .

(١) سئل عن الحقيقة فقال « الحقيقة كلها علم ، وسئل عن العلم ، فقال : العلم كله حقيقة ، ومن حكمه قوله : « في المحن ثلاثة أشياء : تطهير ، وتكفير ، وتذكير ، فالطهير من الكبائر ، والتكفير من الصغائر ، والتذكير لأهل الصفاء » .
وقبل له : « ما بال الإنسان يحتدل من معلمه ما لا يحتدل من أبويه ؟ » فقال : لأن أبويه سبب حياته القانية ، ومعلمه سبب حياته الباقية . وتصديق ذلك . قول النبي ، ﷺ : « اعد عالماً ، أو متعلماً ، أو مستمعاً ، أو محباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك » .

ومنهم :

أبو الحسين بن بنان

ينتمي إلى أبي سعيد الخراز . من كبار مشايخ مصر^(١) .

قال ابن بنان :

كل صوفي كان همُّ الرزق قائماً في قلبه فلزومُ العمل أقرب إليه .

وعلامة سكون القلب إلى الله : أن يكون بما في يد الله أوثقُ منه بما في يده .

وقال : اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام^(٢) .

(١) ومن كلامه : « لا يعظم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى » .
وقال : « من علامة سكون القلب إلى الله تعالى إنشراحه إذا زالت عنه الدنيا . وكان يقول : « الناس يعطشون في البراري ، وأنا عطشان على شط النيل لله » .
(٢) وفي نسخه : المحارم .

ومنهـم :

أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرمسيني

شيخ وقته^(١) . صحب أبا عبد الله المغربي ، والخوَّاص ، وغيرهما .

سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت أبا يزيد المروزي الفقيه يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : من أراد أن يتعطَّل أو يتبطل فليلزم الرُّخص .
وهذا الإسناد قال :

علم الفناء^(٢) والبقاء يدور على إخلاص الوجدانية ، وصحة العبودية وما كان غير هذا ، فهو المغاليط والزندقة .

وقال إبراهيم : السُّفلة^(٣) من يعي الله عزَّ وجلَّ .

(١) قال المتأوى : كان شيخ الجبل في زمانه ، شديداً على المدعين ، متمسكا بالكتاب والسنة ، ملازماً طريق الأئمة توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة .

(٢) الفناء عن غير الله والبقاء مع الله .

(٣) أراذل الناس .

ومن كلامه : قال لي أبي : يا بني تعلم العلم ، لآداب الظاهر ، واستعمل الورع لآداب الباطن ، وإياك أن يشغلك على الله شاغل ، فقل من أعرض عنه فأقبل عليه .

وسئل عن وصف العارف ، فقال : كنت على جبل الطور مع شيخنا أبي عبد الله المغربي ، فبينما نحن نعود بمكان فيه عشب ، والشيخ يتكلم في العلوم والمعارف رأيت شاباً يتنفس ، فاحترق ما بين يديه من العشب الأخضر ، فقال الشيخ : هذا هو العارف . وقال : إذا دخل الخوف قلباً أحرق مواضع الشهوات منه .

ومنهم :

أبو بكر الحسين بن علي بن يزدانيار

من أرمينية^(١) . له طريقة يختص بها في التصوف .
وكان عالماً ورعاً ، وكان ينكر على بعض العارفين^(٢) في إطلاقات وألفاظ لهم^(٣) .

قال ابن يزدانيار :

إيَّاك أن تطمع في الأنس بالله وأنت تحب الأنس بالناس .
وإيَّاك أن تطمع في حبِّ الله وأنت تحب الفضول .
وإيَّاك أن تطمع في المنزلة عند الله وأنت تحب المنزلة عند الناس .

(١) وفي نسخة أرمية : بالضم ، وسكون الراء ، وأمينية بفتح الهزة : بلدة من بلاد الروم .

(٢) وفي نسخة العراقيين وربما كانت أصح .

(٣) أفشوا بها ، في نظره . أسرار الطريق ، وهو يقول في ذلك : « تراني تكلمت بما تكلمت به ، إنكاراً على التصوف والصوفية ! » . والله ، ما تكلمت إلا غيره عليهم ، حيث أفشوا أسرار الحق ، وأيدوها إلى غير أهلها ، فحملني ذلك على القيرة عليهم ، والكلام فيهم ، وإلا : فهم السادة ، ويحببتهم أتقرب إلى الله تعالى .

وسئل عن الفرق بين العارف والمريد ، فقال : « المريد طالب والعارف مطلوب والمطلوب مقتول ، والطالب مرغوب ، وفي رواية « والمطلوب مقبول » والطالب مرغوب .

وسئل عن العبد إذا خرج إلى الله سبحانه ، على أي أصل يخرج ؟ فقال : على أن لا يعود إلى ما منه خرج ، ولا يراعى غير من إليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه . فقيل له : هذا حكم من خرج عن عدم ، فما علامة وجدانه ؟ قال : وجود الخلاوة في المستأنف عوضاً عن المראה في السالف .

ومنهم :

أبو سعيد بن الأعرابي

واسمه : أحمد بن محمد بن زياد البصري^(١) .

جاور الحرم ، ومات به سنة : إحدى وأربعين وثلاثمائة .

صحاب الجنيد ، وعمر بن عثمان المكي ، والنوري ، وغيرهم .

قال ابن الأعرابي :

أخسر الأخسر من أبدى للناس صالح أعماله ، وبارز بالقييح من هو أقرب إليه من جبل الوريد .

(١) كان من كبار المحدثين وصفه الذهبي وغيره : بالإمام المحافظ الثقة الزاهد ، روى عنه الطبراني والخطابي ، وصف كتباً في الطريق .

ومن أقواله : « المعرفة كلها الاعتراف بالجهل ، والتصوف كله ترك الفضول ، والزهد كله أخذ ما لا بد منه وإسقاط ما بقى ، والمعاملة كلها استعمال الأولى فالأولى من العلم ، والرضا كله ترك الاعتراض ، والمحبة كلها إثارة المحبوب على الكل ، والصبر كله تلقى البلاء بالرحب ، والثقة بالله علمك أنه بك وبمصلحك أعلم منك بنفسك .

وقال : « إن الله تعالى جعل نعمته سبباً لمعرفته ، وتوفيقه سبباً لطاعته ، وعصمته سبباً لاجتناب معصيته ، ورحمته سبباً للتوبة ، والتوبة سبباً لغفرته والدنو منه .

وقال العارفون بين : ذاتي ، وشاقي ، وواقي ، فاللذة شاقتهم ، والشوق ذوقهم فمن ذاق - في شوق - فروى ، سكن وتمكن . ومن ذاق فيه من غير رى ، أورثه الانزعاج والهمان » .

ومنهـم :

أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري

جاور بمكة سنين كثيرة ومات بها .

صحب الجنيد ، وأبا عثمان ، والنوري ، والخوَّاص ، وروياً .

مات سنة : ثمان وأربعين وثلاثمائة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدِّي أبا عمرو بن

نجيد يقول :

سئل أبو عمرو الزجاجي : ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى في الفرائض ؟

فقال : لأني أخشى أن أفتتح فريضتي بخلاف الصدق، فمن يقول : الله أكبر ، وفي قلبه

شيء أكبر منه ، أو قد كبر شيئاً سواه على مرور الأوقات ، فقد كذب نفسه على لسانه .

وقال : من تكلم عن حال لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه ، ودعوى تتولد في

قلبه ، وحرمه الله الوصول إلى تلك الحال .

وقد جاور بمكة سنين كثيرة لم ينطهر في الحرم ، بل كان يخرج إلى الحلِّ ويتطهر فيه^(١) .

(١) احتراماً للحرم كما في نسخة .

ومن كلامه : « المعرفة على ستة أوجه : معرفة الوجدانية ومعرفة التعظيم ، ومعرفة المنّة ، ومعرفة القدرة ، ومعرفة الأزل ، ومعرفة الأسرار » .

وقال « كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم ، فجاء النبي ﷺ ، فردهم إلى الشريعة والاتباع ، فالعقل الصحيح وهو الذي يستحسن بحاسن الشريعة ويستقيح ما تستقيحه » .

ومنهم :

أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير^(١)

بغدادى المنشأ والمولد .

صحب الجنيد ، وانتمى إليه ، وصحب النورى ، رويما ، وسمنون ، والطبقة . مات ببغداد سنة : ثمان وأربعين وثلاثمائة .

قال جعفر :

لا يجد العبد لذّة المعاملة مع الله مع لذة النفس ، لأن أهل الحقائق قطعوا العلائق التى تقطعهم عن الحق ، قبل أن تقطعهم العلائق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت جعفرًا يقول :

إن ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه ، فإذا سكنت التقوى قلبه نزلت عليه بركات العلم ، وزالت عنه رغبة الدنيا .

(١) الخواص البغدادى ، ويعرف بالخلدى ، قال الخطيب فى تاريخه . هو شيخ الصوفية ، رحل إلى مكة والفرات ومصر ولقي فيها المشايخ الكبار من المحدثين والصوفية ثم عاد إلى بغداد وروى بها علماً كثيراً ، وقال : عندي مائة وثيف وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية .

وعن كلامه : المحب يجتهد فى كتمان حبه ، وتأبى المحبة إلا اشتهاها .
وقال : العقل ما يبعدك عن مواطن الشبهات .

ومنهـم :

أبو العباس السيارى

واسمه : القاسم بن القاسم^(١) .

من « مرو » صاحب الواسطى ، وانتمى إليه فى علوم هذه الطائفة .
وكان عالماً^(٢) .

مات سنة : اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

سئل أبو العباس السيارى : بماذا يروض المرید نفسه ؟

فقال : بالصبر على فعل الأوامر ، واجتناب النواهى ، وصحبة الصالحين ، وخدمة الفقراء .
وقال : ما التذُّ عاقل بمشاهدة الحق قط ، لأن مشاهدة الحق فناء ، ليس فيها لذة .

(١) اسمه : القاسم بن القاسم بن مهدى .

(٢) ومن كلامه :

قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ أى « إظهار غائب وتغييب ظاهر » .
وقال : له رجل : أوصنى ! فقال : (كن شريف الهمة ، قريب المنظر ، بعيد المأخذ عزيزاً غريباً) .
وقال : (لباس الهداية للعامة ، ولباس الهيبة للعارفين ، ولباس الزينة لأهل الدنيا ، ولباس اللقاء للأولياء ، ولباس التقوى لأهل الحضور ، قال الله تعالى : ولباس التقوى ذلك خير) .

وقال : قيل لبعض الحكماء : من أين معاشك ؟ قال : من عند من ضيق المعاش على من شاء ، من غير علة ، ووسع على من شاء ، من غير علة) .

ومنهـم :

أبو بكر محمد بن داود الدينورى

المعروف بالدقئى .

أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة .

مات بدمشق بعد الخمسين والثلاثمائة^(١) .

صحـب ابن الجلاء ، والزقاق .

قال أبو بكر الدقئى :

المعدة موضع يجمعُ الأطعمة ، فإذا طرحتَ فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة ،
وإذا طرحتَ فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى - وإذا طرحتَ فيها التبعات كان
بينك وبين أمر الله حجاب .

(١) مات سنة : ثلاث وستين وثلاثمائة .

ومن أقواله : (علامة القرب الانقطاع عن كل شئ سوى الله تعالى) و (كم من مسرور سروره بلاؤه ، وكم من مغموم غمه
نجاته) وقال : (من عرف ربه لم ينقطع رجاءه . ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله ، ومن عرف الله لجأ إليه . ومن نسى الله لجأ إلى
المخلوقين . والمؤمن لا يسهو حتى يغفل ، فإذا تفكر حزن واستغفر) .

وسئل عن الفرق بين الفقر والتصوف ، فقال : (الفقر حال من أحوال التصوف .

فقل له : ما علاقة الصوق ؟ ، فقال : أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولى به من غيره ، ويكون معصوماً عن المذمومات) .

وقال عن الإخلاص (الإخلاص : أن يكون ظاهر الإنسان وباطنه ، وسكونه ، وحركاته ، خالصاً لله ، لا يشوبه حظ نفس ،

ولا هوى ، ولا خلق ، ولا طمع) .

ومنهم :

أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي^(١)

مولده ومنشؤه بنيسابور .

صحاب أبا عثمان الحيرى ، والجنيد ، ويوسف بن الحسين ، وروى ، وسمناً ، وغيرهم .

مات سنة : ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول وقد سئل :

ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب ؟

فقال :

لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ، ولم يشتغلوا باستعماله ، واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا

بآداب البواطن ، فأعمى الله قلوبهم ، وقيد جوارحهم عن العبادات .

(١) وهو المعروف بالحداد .

ومن كلامه : العبارة تعرفها العلماء ، والإشارة تعرفها الحكماء ، واللطائف تقف عليها السادة النبلاء . وقال : (علامة الصبر ترك

الشكوى ، وكنمان الضر والبلوى .

ومن علامات الإقبال على الله تعالى صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار ، وأحسن العبيد حالاً من رأى نعمة الله عليه بأن أهله لمعرفته ، وأذن له في قربه ، وأباح له سبيل مناجاته ، وخاطبه على لسان أعز أنبيائه) .

ومنهـم :

أبو عمرو إسماعيل بن نجيد

صحب أبا عثمان^(١) ، ولقى الجنيد .

وكان كبير الشأن^(٢) .

آخر من مات من أصحاب أبي عثمان . توفى بمكة سنة : ست وستين وثلاثمائة .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت جدى أبا عمرو بن
نجيد يقول :

كل حال لا يكون عن نتيجة علم ؛ فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه .
قال : وسمعت يقول : من ضيع فى وقت من أوقاته فريضة افترضها الله عليه حرم لذة تلك
الفريضة ، ولو بعد حين .

قال : وسئل عن التصوف ، فقال :

الصبر تحت الأمر والنهى .

قال ، وقال : آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه .

(١) هو أبو عثمان الحيرى .

(٢) أخذ الحديث عن أحمد بن حنبل . وأسند الحديث . ورواه . وكان ثقة .

وسئل عن التوكل ، فقال : « أدناه حسن الظن بالله تعالى ، والتوكل : الذى يرضى بحكم الله تعالى فيه » ومن حكمه
« التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالأمر » . وقوله « من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه ، فقد أظهر جهله » .
وقاله « الطمأنينة إلى الخلق عجز » .

ومنهـم :

أبو الحسن على بن أحمد بن سهل البوشنجي^(١)

أحد فتیان خراسان .

لقى أبا عثمان ، وابن سطاء ، والجريرى ، وأبا عمرو الدمشقى .

مات سنة : ثمان وأربعين وثلاثمائة .

وسئل البوشنجى عن المروءة ، فقال :

هى ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتين .

وقال له إنسان : ادع الله لى .

فقال : أعادك الله من فتنتك .

وقال : أول الإيمان منوط بآخره .

(١) نسبة إلى « بوشنج » وهى بلدة على سبعة فراسخ من هراة .

سئل عن التصوف ، فقال : « اسم ولا حقيقة ، وقد كان قبل حقيقة ولا اسم » .

وقال : الناس على ثلاث منازل :

الأولياء ، وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم .

والعلماء ، وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء .

والجهال ، وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم ، ولا يتصفون من أنفسهم ويطلبون الإنصاف من غيرهم » .

وقال « من ذل فى نفسه رفع الله قدره . ومن عز فى نفسه أذله الله فى أعين عباده » .

ومنهـم :

أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي^(١)

صحب رؤياً ، والجري ، وابن عطاء ، وغيرهم .

مات سنة : إحدى وسبعين وثلاثمائة .

وهو شيخ الشيوخ وواحد وقته .

قال ابن خفيف : الإدارة استدأمة الكد : وترك الراحة .

وقال : ليس شيء أضر على المريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات .

وسئل عن القرب ، فقال :

قربك منه بملزمة الموافقات ، وقربه منك بدوام التوفيق .

سمعت أبا عبد الله الصوفي ، يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول :

ربما كنت أقرأ في ابتداء أمرى في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله ، وربما كنت أصلى من الغداة إلى العصر ألف ركعة .

سمعت أبا عبد الله بن باكويه الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا أحمد الصغير يقول : دخل يوماً من الأيام فقير ، فقال للشيخ أبي عبد الله بن خفيف .

بي وسوسة !!

فقال الشيخ :

عهدي بالصوفيّة يسخرون من الشيطان ، والآل الشيطان يسخر منهم .

وسمعت يقول : سمعت أبا العباس الكرخي يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول :

ضعفت عن القيام في النوافل ، فجعلت بدل كل ركعة من أورادي ركعتين قاعداً ، للخبر : « صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم^(٢) » .

(١) هو محمد بن خفيف بن إسفكشاد الضبي الشيرازي الشافعي . أمه نيسابورية : وأقام بشيراز ، كان من الأمراء ثم تفقه وتصف وتزهّد : أخذ عن ابن شريح الأشعري والواسطي والجري وابن عطاء والمقدسي ، ولقى الحلاج . وأخذ عنه القاضي الباقلاني .

(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والطبراني .

ومنهـم :

أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي

كان عالماً بالأصول ، كبيراً في الحال .

صحب الشبلي .

مات « بأرجان »^(١) سنة : ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

قال بُندار بن الحسين :

لا تخاصم لنفسك ، فإنها ليست لك ، دعها لملكها يفعل بها ما يريد .

وقال بُندار :

صحة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق .

وقال بُندار^(٢) :

اترك ما تهوى لما تأمل .

(١) أرجان - بفتح أوله وتشديد الزاء ، وعامة العجم يسمونها أرغان ، مدينة كبيرة بينها وبين شيراز ستون فرسخاً . وفي بعض النسخ « أنه مات بأذربيجان » .

(٢) ومن أقواله : « من أقبل على الدنيا أحرقته بنيرانها » يعني الحرص « ومن أقبل على الآخرة أحرقته بنورها يعني الخوف ، فصار سيكه ذهب . ومن أقبل على الله أحرقه الله بنور التوحيد فصار جوهراً لا يقابل بشئ . وقال : من مشى في الظلم إلى ذى النعم أجلسه على بساط الكرم ، ومن قطع لسانه بشفرة السكوت بنى له بيتاً في الملكوت . وسئل عن الفرق بين الصوفي والمتصوف فقال : الصوفي من اختاره الله لنفسه فصافاه ، وعن نفسه براه ، ولم يرد إلى عمل وتكلف ، وصوفي على رتبة عوفى ، أى عافاه الله ، وكوفى : أى كافأه الله ، وجوزى : أى جازاه الله ، ففعل الله تعالى ظاهر على اسمه .

والمـتـصـوف : المـزاحـم على المراتب مع تكلف وكمون رغبة في الدنيا » .

وقال : « الصوفية متفقون في الوجدانية - في الجملة - قولاً ، متفرون في الوصول إليها معاينة ومنازلة ، وكل واحد يستحق اسم ما ظهر عليه من حاله ، الذى هو به موصوف ، بعد اتفاقهم في الوجدانية قولاً : فمن بين مجتهد ، وزاهد ، وعابد وخائف ، وراج ، وغنى ، وفقير ، ومريد ، ومراد ، وصابر ، وراض ، ومتوكل ومحـب ، ومستهتر ، ومستأنس ، ومشتاق ، وواله ، وهائم ، وواجد : وفان ، وباق وأحوال يكثر تعدادها ، وقد تجتمع الأحوال كلها في واحد ويسمى بما عليه من الجميع » .

ومنهم :

أبو بكر الطمستاني

صحاب إبراهيم الدبّاغ ، وغيره .

وكان أُوحد وقته علماً ، وحالاً . مات بنيسابور بعد سنة : أربعين وثلاثمائة قال أبو بكر الطمستاني :

النعمة العظمى الخروج من النفس^(١) ، والنفس أعظم حجاب بينك وبين الله .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني ، يقول : سمعت أبا بكر الطمستاني يقول :

إذا همّ القلب عوقب في الوقت .

وقال : « الطريق واضح ، والكتاب والسنة قائم^(٢) بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم ؛ لسبقهم إلى الهجرة ، ولصحتهم ؛ فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب^(٣) عن نفسه والخلق ، وهاجر بقلبه إلى الله ، فهو الصادق المصيب^(٤) » .

(١) أي البعد بها عما طبعت عليه وألفته من خلق مذموم وعادة قبيحة . يوضح ذلك قوله « لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وإقنا يمكن الخروج من النفس بالله تعالى ، وذلك بصحة الإرادة لله عز وجل » .

(٢) وفي بعض النسخ « قائمان » وفي بعضها الآخر « قائمة » .

(٣) أي بعد عنها .

(٤) وكان يقول ما الحياة إلا في الموت ، أي : ما حياة القلب إلا في إمانة النفس وقال : « النفس كالنار ، إذا أطفئت في موضع تأججت في آخر ، كذلك النفس إذا هدأت من جانب ثارت من جانب آخر » .

ومنهـم :

أبو العباس أحمد بن محمد الدينورى

صحب يوسف بن الحسين ، وابن عطاء ، والجريـر .
 وكان عالماً فاضلاً ؛ ورد « نيسابور » وأقام بها مدة ، وكان يعظ الناس ، ويتكلم على لسان
 المعرفة ، ثم ذهب إلى « سمرقند » ، ومات بها بعد الأربعين وثلاثمائة .
 قال أبو العباس الدّينورى :
 أدنى الذكر أن تنسى ما دونه ، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر .
 وقال أبو العباس : لسان الظاهر^(١) لا يغيّر حكم الباطن .
 وقال أبو العباس الدينورى :
 نقضوا^(٢) أركان التصوف ، وهدموا سبيلها ، وغيروا معانيها بأسمى أحدثوها :
 سمو الطمع « زيادة » ، وسوء الأدب « إخلاصاً » والخروج عن الحق .
 « شطحا » ، والتلذذ بالمذموم « طيبة »^(٣) ، واتباع الهوى « ابتلاء » والرجوع إلى الدنيا
 « وصلاً » ، وسوء الخلق « صولة » ، والبخل « جلادة » والسؤال « عملاً » وبذاءة اللسان
 « ملامة » . وما هذا كان طريق القوم^(٤) .

(١) وفى نسخة « لباس الظاهر » والمقصود أن الشريعة والحقيقة واحدة وإنما الاختلاف فى التعبير : فلا شريعة إلا بحقيقة ولا حقيقة إلا بشريعة .

(٢) أى التشبهين بالصوفية .

(٣) أى شينا يطيب به ويفتكه به .

(٤) ومن أقواله : « مكاشفات الأعيان بالأبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال » .

ومنهم :

أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي

واحد عصره ، لم يوصف مثله قبله .

صحاب ابن الكاتب ، وحبيباً المغربي ، وأبا عمرو الزجاجي ، ولقي النهر جوري وابن الصائغ وغيرهم .

مات بنيسابور سنة : ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

وأوصى بأن يُصلى عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى .

سمعت الأستاذ أبو بكر بن فورك يقول :

كنت عند أبي عثمان المغربي حين قرب أجله ، وعلى القوال الصغير يقول شيئاً ، فلما تغير عليه الحال أشرنا على عليّ بالسكوت ، ففتح الشيخ أبو عثمان عينيه ، وقال : لم لا يقول عليّ شيئاً ؟

فقلت لبعض الحاضرين : سلوه ، علام يسمع المستمع^(١) ، فإني أحششه^(٢) في تلك الحالة . فسألوه ، فقال :

إنما يسمع من حيث يسمع^(٣) .

وكان في الرياضة كبير الشأن .

وقال أبو عثمان :

التقوى ، هي : الوقوف مع الحدود ، لا يُقصر فيها ولا يتعداها .

وقال :

من أثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب^(٤) .

(١) أى : على أى وجه يسمع .

(٢) استحى منه .

(٣) أى : من حيث يسمعه الله تعالى لاختلاف مقامات الناس ومعرفة الله بهم وبمحبته لهم ، فقد يسمع العبد من الخوف ، وقد يسمع من الرجاء ..

(٤) ومن أقواله : « عاص نادم خير من طائع مدع : لأن العاصي يطلب طريق نوبته ويعترف بنقصه ، والمدعى يتخبط في حبال دعواه » .

وقال : الصوفي من يملك الأشياء اقتداراً ولا يملكه شيء إقهاراً .

وقال : « ليكن تدبرك في الخلق تدبر عبدة وتدبرك في نفسك تدبر موعظة ، وتدبرك في القرآن تدبر حقيقة ومكاشفة » .

ومنهـم :

أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى^(١)

شيخ « خراسان » فى وقته .

صحب الشبلى؁ وأبا على الروذبارى؁ والمرعش .

جاور بمكة سنة : ست وستين وثلاثمائة . ومات بها سنة : تسع وستين وثلاثمائة .

وكان عالماً بالحديث؁ كثير الرواية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى؁ رحمه الله؁ يقول : سمعت النصراباذى يقول :

إذا بدا لك شىء من بوادى الحق؁ فلا نلتفت معها إلى جنّة؁ ولا إلى نار؁ فإذا رجعت عن تلك الحال فعظم ما عظمه الله .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : قيل للنصراباذى :

إن بعض الناس يجالس النسوان؁ ويقول : أنا معصوم فى رؤيتهن .

فقال :

ما دامت الأشباح^(٢) باقية فإن الأمر والنهى باقى؁ والتحليل والتحريم مخاطب به ؛ ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات .

وسمعت محمد بن الحسين؁ رحمه الله؁ يقول : قال النصراباذى :

أصل التصوف : ملازمة الكتاب والسنة؁ وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمت المشايخ؁ ورؤية أعدار الخلق؁ والمداومة على الأوراد؁ وترك ارتكاب الرخص والتأويلات .

(١) واسمه : إبراهيم بن محمد بن محمويه نيسابورى الأصل؁ والمنشأ؁ والمولى والنصراباذى : نسبة إلى نصر أباز؁ محلة من محال نيسابور .

ومن كلامه : « أنت بين نسبتين » نسبة إلى الحق ونسبة إلى آدم؁ فإذا انتسبت إلى الحق دخلت فى مقامات الكسف والبراهين والعظمة . وهى نسبة تحقق العبودية قال الله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ وقال : ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ وإذا انتسبت إلى آدم دخلت فى مقامات الظلم والجهل؁ قال الله تعالى : ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ .

ومن كلامه أيضاً « الأسياء أدلة منه . ولا دليل عليه سواء » .

(٢) أى الأشخاص .

ومنهم :

أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصرى البقرى

سكن بغداد .

عجيب الحال واللسان ، شيخ وقته .

ينتمى إلى الشبلى .

مات ببغداد سنة : إحدى وسبعين وثلاثمائة .

قال الحصرى :

الناس يقولون : الحصرى لا يقول بالنوافل^(١) ، وعلى أورد من حال الشباب لو تركت
ركعة لعوقبت .

وقال :

من ادعى فى شيء من الحقيقة كذبه شواهد كشف البراهين .

(١) أى : لا يعتنى بها .

ومنهـم :

أبو عبد الله بن أحمد بن عطاء الروذباري

ابن أخت الشيخ أبي على الروذباري :

شيخ الشام في وقته مات « بصور »^(١) سنة : تسع وستين وثلاثمائة^(٢) .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت على بن سعيد المصيصي ، يقول : سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول :

كنت راكباً جملاً . فقاصت رجلاً الجمـل في الرمل ، فقلت : جل الله ، فقال الجمـل : جل الله . وكان أبو عبد الله الروذباري إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة في دور السوق ، ومن ليس من أهل التصوف لا يُخبر الفقراء بذلك ، وكان يطعمهم شيئاً ، فإذا فرغوا أخبرهم ، ومضى بهم فكانوا قد أكلوا في الوقت فلا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز^(٣) . وإنما كان يفعل ذلك ، لئلا تسوء ظنون الناس^(٤) بهذه الطائفة فيأثموا بسببهم .

وقيل : كان أبو عبد الله الروذباري يمشي على أثر الفقراء يوماً ، وكذا كانت عادته أن يمشي على أثرهم^(٥) ، وكانوا يمشون إلى دعوة فقال إنسان بقال : هؤلاء المستحلون^(٦) . وبسط لسانه فيهم ، وقال في أثناء كلامه : إن واحدا منهم قد استقرض مني مائة درهم . ولم يردها عليّ ولست أدري أين أطلبه ؟ فلما دخلوا دار الدعوة ، قال أبو عبد الله الروذباري لصاحب الدار وكان من محبي هذه الطائفة :

انتني بمائة درهم إن أردت سكون قلبي .

(١) صور - يضم الأول وسكون الثاني : مدينة من ثغور المسلمين مشرفة على بحر الشام (البحر المتوسط) فتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب . وهي شرقي عكا .

(٢) ومن أقواله : « من قلت آفاته اتصلت بالحق أوقاته » وسئل عن القبض والبسط ، وعن حال من قبض ونعته ، وعن حال من بسط ونعته فقال : إن القبض أول أسباب الفناء ، والبسط أول أسباب البقاء ، فحال من قبض : الغيبة ، وحال من بسط : الحضور . ونعت من قبض : الحزن ، ونعت من بسط : السرور .

(٣) أي : التقلل .

(٤) وفي نسخة « عوام الناس » .

(٥) أي : يتأخرهم ، ويسير خلفهم ، تواضعاً .

(٦) أي : لأموال الناس .

فأتاه بها في الوقت فقال لبعض أصحابه :

أحمل هذه المائة إلى البقال الفلاني ، وقل له : هذه المائة التي استقرضها منك بعض أصحابنا ، وقد وقع له في التأخير بها عذر ، وقد بعثها الآن .. فاقبل عذره !! فمضى الرجل ، وفعل ، فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقال ، فأخذ البقال في مدحهم يقول : هؤلاء هم الثقات الأمناء الصالحاء ، وما أشبه ذلك .

وقال أبو عبد الله الروذباري :

أقبح من كل قبيح صوفي شحيح .

قال أبو القاسم الأستاذ الإمام جمال الإسلام^(١) ، رضى الله عنه هذا هو ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة .

وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشريعة ؛ متصفون بسلوك طرق الرياضة ، مقيمون على متابعة السنة ، غير مخلين بشيء من آداب الديانة ، متفوقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبين أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً^(٢) على الله سبحانه وتعالى ، فيما يدعيه ، متفونا ، هلك في نفسه ، وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله .

ولو تقصنا ، وتبعنا ما ورد عنهم : من ألفاظهم ، وحكاياتهم ، ووصف سيرهم مما يدل على أحوالهم ، لطال به الكتاب ، وحصل منه الملل :

وفي هذا القدر الذي لو حنا به في تحصيل المقصود غنية ، وبالله التوفيق .

فأما المشايخ الذين أدركناهم ، وعاصرناهم ، وإن لم يتفق لنا لقيامهم ، مثل : الأستاذ الشهيد ، لسان وقته ، وأوحد عصره ، أبي علي الحسن بن علي الدقاق ، والشيخ ، نسيج وحده في وقته ، أبي عبد الرحمن السلمي وأبي الحسن علي بن جَهْضَم مجاور الحرم ، والشيخ أبي العباس القصار بطبرستان ، وأحمد الأسود بالدينور ؛ وأبي القاسم الصيرفي بنيسابور ، وأبي سهل الخشاب الكبير بها ، ومنصور بن خلف المغربي ، وأبي سعيد الماليني .

(١) وفي نسخة أخرى « قال الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم العثيري .

(٢) مختلفاً .

وأبى طاهر الخوزندى ، قدس الله أرواحهم ، وغيرهم ، فلو اشتغلنا بذكرهم ، وتفصيل أحوالهم ، لخرجنا عن المقصود فى الإيجاز . وغير ملتبس من أحوالهم حسن سيرتهم فى معاملاتهم .

وسنورد من حكاياتهم طرفا فى مواضع من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى .

باب في تفسير^(١) ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها

اعلم أن من المعلوم : أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها - فيما بينهم - أنفردوا بها عما سواهم ، تواطئوا عليها ؛ لأغراض لهم فيها : من تقريب الفهم^(٢) على المخاطبين بها ، أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم ، بإطلاقها ، وهذه الطائفة يستعملون الألفاظ فيما بينهم ، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم ؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب ، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها ، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف ، أو مجلوبة بضرب تصرف ، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم ، واستخلص لحقائقها أسرار قوم . ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ : تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم ، ومتبعي سنتهم .

(١) وفي نسخة أخرى سقطت لفظة « تفسير » .

(٢) وفي نسخة أخرى للفهم .

فمن ذلك :

الوقت

حقيقة الوقت عند أهل التحقيق : حادث متوهم علق حصوله على حادث متحقق^(١)
فالحادث المتحقق ، وقت للحادث المتوهم ، تقول : آتيك رأس الشهر ، فالإتيان متوهم^(٢) ،
ورأس الشهر حادث متحقق . فرأس الشهر وقت الإتيان .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

الوقت : ما أنت فيه ، إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا ، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى ،
وإن كنت بالسُرور فوقتك السرور ، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن .

يريد بهذا : أن الوقت ما كان هو الغالب على الإنسان .

وقد يعنون بالوقت : ما هو^(٣) فيه من الزمان ، فإن قوماً قالوا : الوقت ما بين الزمانين ،
يعنى الماضى والمستقبل .

ويقولون : الصوفى ابن وقته ، يريدون بذلك : أنه مشغول بما هو أولى به من العبادات فى
الحال ، قائم بما هو مطلوب به فى الحين .

وقيل : الفقير لا يهتم^(٤) ماضى وقته وآتیه ، بل يهتم وقته الذى هو فيه .

ولهذا قيل : الاشتغال بفوات وقت ماضى . تضييع وقت ثان .

وقد يريدون بالوقت : ما يصادفهم من تصريح الحق لهم ، دون ما يختارونه لأنفسهم .

ويقولون : فلان بحكم الوقت ، أى : أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار
له .

وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع ، إذ التضييع لما أمرت به :
وإحالة الأمر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير : خروج عن الدين .

(١) ذكر الأنصارى أن صواب العبارة « حادث متحقق علق عليه حصول حادث متوهم ، بدليل قوله : فالحادث المتحقق ..
إلخ .

(٢) يستعمل القدماء كثيراً : التوهم بمعنى التخييل .

(٣) أى ما الإنسان فيه : أى يخصون الوقت بالحال دون الماضى والمستقبل .

(٤) يهتم ، يضم الياء أى يقلقه ، ويفتحها أى : يدينه .

ومن كلامهم : الوقت سيف . أى : كما أنَّ السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق^(١) ويجريه غالب^(٢) .

وقيل : السيف لين مسه ، قاطع حده ، فمن لا نية سلم ، ومن خاشنه اصطلم^(٣) . كذلك الوقت : من استسلم لحكمه نجا ، ومن عارضه انتكس وتردى .
وأنشدوا فى ذلك :

وكالسيف إن لا نيته لان مسه^(٤) وحذاء إن خاشننه خشان
ومن ساعده الوقت : فالوقت له وقت .
ومن ناكده الوقت : فالوقت عليه مقت .
وسمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول :
الوقت مبرد يسحقك ولا يحققك .

يعنى : لو محاك وأفناك لتخلصت حين فنيته ، لكنه يأخذ منك ولا يحوك بالكلية - وكان ينشد فى هذا المعنى :

كل يوم يمر يأخذ بعضى يورث القلب حسرة ثم يمضى
وكان ينشد أيضاً :
كأهل النار إن نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود
وفى معناه :

ليس من مات فاستراح يميت إنما الميت ميت الأحياء
والكيس : من كان بحكم وقته ؛ إن كان وقته الصحو فقيامه بالشرعية ، وإن كان وقته المحو ، فالغالب عليه أحكام الحقيقة .

(١) بما يقدره الله .

(٢) واقع .

(٣) استوصل .

(٤) وفى نسخة « منته » أى وسطه والمراد عرضه .

ومن ذلك :

المقام

والمقام : ما يتحقق به العبد بمنزلته^(١) من الآداب ؛ مما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف .

فمقام كل أحد : موضع إقامته عند ذلك^(٢) ، وما هو مشغول بالرياضة له .
وشرطه : أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ، مالم يستوف أحكام ذلك المقام ، فإن من لا قناعة له لا تصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم ، وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة ، ومن لا ورع له لا يصح له الزهد .
والمقام : هو الإقامة ، كالدخل بمعنى الإدخال ، والمخرج بمعنى الإخراج ولا يصح لأحد منزلة مقام إلا بشهود^(٣) إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ، ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

لما دخل الواسطي نيسابور ، سأل أصحاب أبي عثمان :

بماذا كان يأمركم شيخكم ؟

فقالوا : كان يأمرنا بالتمزام الطاعات ، ورؤية التقصير فيها .

فقال : أمركم بالمجوسية المحضة ، هلا أمركم بالغيبة عنها ، برؤية منشئها ومجريها ؟

وإنما أراد الواسطي بهذا : صيانتهم عن محل الإعجاب^(٤) .

لا تعريجاً في أوطان التقصير ، أو تجويزاً للإخلال بأدب من الآداب .

(١) أى ينزوله فيه وبما اكتسب له .

(٢) أى عند اكتسابه ما يوصل إليه . قال الإمام الغزالي : لا بد لكل مقام من علم ، وعمل ، وحال ؛ فالمقام يشتر علماً ، والعمل يشتر حالاً ، لأن حركات الأجسام تابعة لحركات القلوب وحركات القلوب جارية بحركات الأجسام .

(٣) أى رؤية .

(٤) أى أنه جعل من أعجب بطاعته كأنه مجوسى ؛ حيث نظر إلى فعل نفسه مع غفلته عن مجريه النعم به .

ومن ذلك :

الحال

والحال عند القوم : معنى يَرِد على القلب ، من غير تعمد منهم ، ولا اجتلاب ، ولا اكتساب لهم ، من : طرب ، أو حزن ، أو بسط ، أو قبض ، أو شوق ، أو انزعاج أو هبة ، أو احتياج .
فالأحوال : مواهب ، والمقامات . مكاسب .

والأحوال تأتي من عين الجواد^(١) ، والمقامات تحصل ببذل المجهود .
وصاحب المقام ممكن^(٢) في مقامه ، وصاحب الحال مُتَرَقٍّ^(٣) عن حاله^(٤) .
وسئل ذو النون المصري ، عن العارف ، فقال : كان هاهنا ، فذهب .
وقال بعض المشايخ : الأحوال كالبروق : فإن بقي فحديث نفس^(٥) .
وقالوا : الأحوال كاسمها ، يعني أنها : كما تحلُّ بالقلب تزول في الوقت .
وأنشدوا :

لو لم تحلُّ ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا
انظر إلى الفى^(٦) إذا ما انتهى يأخذ في النقص إذا طالا
وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ، ودوامها . وقالوا : إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهي لوائح
وبواده^(٧) ، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمى :
« حالا » .

وهذا أبو عثمان الخيري يقول :

منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته .

أشار إلى دوام الرضا ، والرضا من جملة الأحوال .

(١) وفي نسخة أخرى : من غير الوجود .

(٢) وفي نسخة « متمكن » .

(٣) وفي نسخة « مرقى » .

(٤) أى فالمقامات مستقرة والأحوال متغيرة .

(٥) أى : إن بقي شيء منها مع العبد فالباقي حديث نفسه بالحال . لا نفس الحال .

(٦) فاء الظل يفيء فيئا : إذا رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق .

(٧) لوائح : من لاح له المعنى إذا ظهر . وبواده : من بدده إذا فحاه وبغته .

فالواجب في هذا : أن يقال : إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال ، فقد يصير المعنى شرباً^(١) لأحد فيربى فيه .

ولكن لصاحب هذه الحال أحوال : هي طوارق^(٢) لا تدوم فوق أحواله التي صارت شرباً له ؛ فإذا دامت هذه الطوارق له ، كما دامت الأحوال المتقدمة ، ارتقى إلى أحوال آخر ، فوق هذه وألطف من هذه ، فأبدأً يكون في الترقى .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول في معنى قوله ﷺ : « إنه ليغان^(٣) على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة^(٤) » : أنه كان ﷺ أبدأً في الترقى من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها ، فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها ، فكان بعدها « غينا » بالإضافة إلى ما حصل فيها ، فأبدأً كانت أحواله في التزايد . ومقدورات الحق سبحانه ، من الألفاظ : لا نهاية لها ؛ فإذا كان حق الحق تعالى ، العز ، وكان الوصول إليه بالتحقيق محالاً ، فالعبد أبدأً في ارتقاء أحواله .

فلا معنى يوصل إليه ، إلا وفي مقدوره سبحانه ما هو فوقه ، يقدر أن يوصله إليه . وعلى هذا يحمل قولهم : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

وسئل الجنيد عن هذا ، فأنشد :

طوارق أنوار تلوح إذا بدت فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع

(١) شرباً : أى حظاً ومقاماً .

(٢) أحوال .

(٣) يغطى .

(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي .

ومن ذلك :

القبض والبسط

وهما : حالتان ، بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء .

فالقَبْضُ للعارف : بمنزلة الخوف للمستأنف^(١) .

والبَسْطُ للعارف : بمنزلة الرجاء للمستأنف .

ومن الفصل^(٢) بين القبض والخوف ، والبسط والرجاء : أن الخوف إنما يكون من شيء في المستقبل ، إما أن يخاف فوت محبوب أو هجوم محذور .

وكذلك الرجاء : إنما يكون بتأميل محبوب في المستقبل ، أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه في المستأنف^(٣) .

وأما القبض : فلمعنى حاصل في الوقت ، وكذلك البسط ، فصاحب الخوف والرجاء : تعلق قلبه في حالتيه بآجله ، وصاحب القبض والبسط أخذ^(٤) وقته بوارد غلب عليه في عاجله .

ثم تفاوتت نعتهم في القبض والبسط على حسب تفاوتهم في أحوالهم :

فمن واردٍ يوجب قبضاً ، ولكن يبقى مساعٍ للأشياء الأخر ، لأنه غير مستوف ومن مقبوض لا مساعٍ لغير وارده فيه ، لأنه مأخوذ عنه بالكلية بوارده .

كما قال بعضهم : أنا ردم^(٥) ، أى : لا مساعٍ في .

وكذلك المبسوط : قد يكون فيه بسط يسع الخلق ، فلا يستوحش من أكثر الأشياء ، ويكون مبسوطاً^(٦) لا يؤثر فيه شيء بحال من الأحوال .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

دخل بعضهم على أبي بكر القحطى ؛ وكان له ابن يتعاطى ما يتعاطاه الشباب ، وكان يمر

هذا الداخل على هذا الابن ، فإذا هو مع أقرانه في اشتغاله ببطالته .

(١) للمبتدئ خوفه ، وهو المرید .

(٢) الفرق .

(٣) المسقىل .

(٤) وفي نسخة « أخذ وقته » أى أسير .

(٥) مردوم .

(٦) منسرح الصدر .

فرق قلبه ، وتألم للقحطى ، وقال :
 مسكين هذا الشيخ ، كيف ابتلى بمقاساة هذا الإبن ؟
 فلما دخل على القحطى ، وجده كأنه لا خبر له بما يجرى^(١) عليه من الملامى ، فتعجب منه ،
 وقال فديت ، من لا تؤثر فيه الجبال الرواسى .
 فقال القحطى :

إنا قد حررنا عن رق الأشياء فى الأزل .
 ومن أدنى موجبات القبض : أن يرد على قلبه وارد موجب إشارة إلى عتاب ورمز^(٢)
 باستحقاق تأديب ، فيحصل فى القلب لا محالة ، قبض .
 وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقرب ، أو إقبال بنوع لطف وترحيب ،
 فيحصل للقلب بسط .
 وفى الجملة : قبض كل أحد حسب بسطه ، وبسطه على حسب قبضه .
 وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه : يجد فى قلبه قبضاً لا يدرى موجب ولا سببه ،
 فسبيل صاحب هذا القبض التسليم ، حتى يمضى ذلك الوقت ، لأنه لو تكلف نفية ، أو استقبل
 الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه .
 ولعله يعد ذلك منه : سوء أدب .

وإذا استسلم لحكم الوقت ، فعن قريب يزول القبض ، فإن الحق سبحانه قال : ﴿ والله
 يقبض ويبسط ﴾ .
 وقد يكون بسط يرد بغتة ، ويصادف صاحبه فلة لا يعرف له سبباً ، يهز صاحبه ويستفزّه ،
 فسبيل صاحبه السكون ، ومراعاة الأدب ، فإن فى هذا الوقت له خطراً عظيماً فليحذر صاحبه
 مكرراً خفياً .

كذا قال بعضهم : فتح على باب من البسط ، فزلت زلة فحجبت عن مقامى .
 ولهذا قالوا : قف على البساط ، وإياك والانبساط .
 وقد عدّ أهل التحقيق حالتى القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه ، لأنها بالإضافة إلى
 ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه فى الحقيقة : فقر وضر .

(١) وفى نسخة عما يجرى من ابنه .

(٢) وفى نسخة أخرى « أو رمز » .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول : الخوف من الله يقبضنى ، والرجاء منه : يبسطنى : والحقيقة : تجمعنى . والحق : يفرقنى ، إذا قبضنى بالخوف أفنأتنى عنى ، وإذا بسطنى بالرجاء ردتنى على إذا جمعنى بالحقيقة أحضرتنى وإذا فرقنى بالحق أشهدتنى غيرى ، ففطأتنى عنه ، فهو تعالى فى ذلك كله محركى غير ممسكى ، وموحشى غير مؤنسى ، فأنا بحضورى أذوق طعم وجودى ، فليته أفنأتنى عنى فمتعنى ، أو غيبتنى عنى فروحنى .

ومن ذلك :

الهبة والأنس

وهما : فوق القبض والبسط .

فكما أن القبض : فوق رتبة الخوف .

والبسط : فوق منزلة الرجاء .

فالهبة : أعلى من القبض والأنس أتم من البسط ، وحق الهبة الغيبة ، فكل هائب غائب .

ثم الهائبون : يتفاوتون في الهبة على حسب تباينهم في الغيبة فمنهم .. ومنهم^(١) وحق الأنس : صحو بحق ، فكل مستأنس : صاح ثم^(٢) يتباينون حسب تباينهم في الشرب^(٣) .

ولهذا قالوا : أدنى محل الأنس : أنه لو طرح في لظى لم يتكرر عليه أنسه قال الجنيد ، رحمه الله : كنت أسمع السرى يقول :

يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر .

وكان في قلبي منه شيء ، حتى بان لي أن الأمر كذلك .

وحكى أبي عن مقاتل العكي أنه قال :

دخلت على الشبلى : وهو ينتف الشعر من حاجبه بمنقاش ، فقلت :

ياسيدى ، أنت تفعل هذا بنفسك ! ويعود ألمه إلى قلبي !!

فقال : ويلك ، الحقيقة ظاهرة لي ولست أطيقها : فهو ذا^(٤) ، فأنا أدخل الألم على نفسى :

لعل أحس به ، فيستتر عني ، فلست أجد الألم ، وليس يستتر عني^(٥) ، وليس لي به طاقة :

وحال الهبة والأنس ، وإن جلنا ، فأهل الحقيقة يعدونها : نقصاً لتضمنها تغير العبد فإن

أهل التمكين سمت أحوالهم عن التغير ، وهم محو في وجود العين^(٦) ، فلا هبة لهم ولا أنس ،

ولا علم ولا حس .

(١) أى فمنهم تطول غيبته ومنهم من تقصر على حسب هيبته .

(٢) أى المستأنسون .

(٣) الحظ .

(٤) أى : قالسب هذا .

(٥) أى ألم الحقيقة .

(٦) أى الحق أى محبت منهم الذوات والصفات في ذات الحق تعالى .

والحكاية معروفة عن أبي سعيد الخزاز ، أنه قال :

تهت في البادية مرة ، فكنت أقول :

أتيه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسى
أتيه على جن البلاد وإنسها فإن لم أجد شخصاً أتيه على نفسى

قال فسمعت هاتفاً يهتف بى ، ويقول :

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ويفرح بالتيه الدنى وبالأنس
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسى
وكنت بلا حال مع الله واقفاً تصان عن التذكار للجن والإنس
وإنما يرتقى العبد عن هذه الحالة بالوجود .

ومن ذلك :

التواجد ، والوجد ، والوجود

فالتواجد : استدعاء^(١) الوجد بضرب اختيار ، وليس لصاحبه كمال الوجد : إذ لو كان لكان واجداً ، وباب التفاعل أكثره على إظهار الصفة ، وليست كذلك .
قال الشاعر :

إذا تخازرت ، وما بي من خزر^(٢)
ثم كسرت العين من غير ماعور
فقوم قالوا : التواجد غير مسلم لصاحبه ، لما يتضمن من التكلف ويبعد عن التحقيق .
وقوم قالوا : إنه مسلم للفقراء المجردين ، الذين ترصدوا لوجدان هذه المعاني ، وأصلهم ،
خبرُ الرسول ﷺ : « أبكوا ، فإن لم تبكوا ، فتباكوا » ، والحكاية المعروفة لأبي محمد
الجريري ، رحمه الله ، أنه قال :
كنت عند الجنيد ، وهناك ابن مسروق وغيره ، وثم قوال ، فقام ابن مسروق وغيره ..
والجنيد ساكن ، فقلت :

يا سيدي ، مالك في السَّماع شيء ؟!

قال الجنيد :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ، وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾^(٣) ثم قال :

وأنت يا أبا محمد ، مالك في السماع شيء ؟

فقلت : يا سيدي ، أنا إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك محتشم^(٤) أمسكت على نفسي
وجدي ، فإذا خلوت أرسلت وجدي ، فتواجدت .
فأطلق في هذه الحكاية « التواجد » ، ولم ينكر عليه الجنيد .

(١) استدعاء : أى طلب واكتساب .

(٢) خزر : صغر العين أو ضيقها .

(٣) آية ٨٨ من سورة النمل .

(٤) أى محتشماً منه .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
لما راعى أبو محمد ، أدب الأكابر في حال السماع ، حفظ الله عليه وقته ، ببركات الأدب ،
حتى يقول : أمسكت على نفسي وجدي فإذا خلوت أرسلت وجدي فتواجد ؛ لأنه لا يمكن
إرسال الوجد ، إذا شئت ، بعد ذهاب الوقت وغلباته .
ولكنه لما كان صادقاً في مراعاة حرمة الشيوخ ، حفظ الله تعالى عليه وقته ، حتى أرسل
وجده عند الخلوة .

فالتواجد : ابتداء الوجد على الوصف الذي جرى ذكره ، وبعد هذا الوجد^(١) .
والوجد : ما يصادف قلبك ، ويرد عليك بلا تعمد وتكلف ولهذا قال المشايخ :
الوجد : المصادفة^(٢) والمواجيد^(٣) : ثمرات الأوراد^(٤) .
فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
الواردات : من حيث الأوراد فمن لا ورد له بظاهره لا ورد له في سرائره ، وكل وجد فيه
من صاحبه شيء ، فليس بوجد .
وكما أن ما يتكلفه العبد من معاملات ظاهرة يوجب له حلاوة الطاعات ، فما ينازله^(٥) العبد
من أحكام باطنه يوجب له المواجيد .
فالحلاوات ثمرات المعاملات والمواجيد : نتائج المنازلات .

أما الوجود : فهو بعد الارتقاء عن الوجد .
ولا يكون وجود الحق ، إلا بعد خمر البشرية^(٦) ، لأنه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور
سلطان الحقيقة .

(١) أى وبعد حصول هذا يحصل الوجد .

(٢) يشير بذلك إلى أنه غير مكتسب بل هو من تفضلات الحق تعالى عن العبد .

(٣) جمع وجد .

(٤) المراد بالأوراد : وظائف الأعمال الموافقة للعلوم الشرعية .

(٥) يتنقل .

(٦) أى غيبة العبد عن إحساسه بها .

وهذا معنى قول أبي الحسين النورى :

أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد : أى : إذا وجدت ربى فقدت قلبى ، وإذا وجدت قلبى فقدت ربى .

وهذا معنى قول الجنيد :

علم التوحيد : مباين لوجوده^(١) ، ووجوده مباين لعلمه^(٢) .

وفى هذا المعنى أنشدوا :

وجودى أن أعيب عن الوجود بما يبدو على من الشهود

فالتواجد : بداية . والوجود : نهاية والوجد واسطة بين البداية والنهاية .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول :

التواجد يوجب استيعاب العبد .

والوجد : يوجب استغراق العبد .

والوجود يوجب استهلاك العبد .

فهو كمن شهد البحر ، ثم ركب البحر ، ثم غرق فى البحر .

وترتيب هذا الأمر^(٣) : قصود ، ثم ورود ، ثم شهود ، ثم جمود ، ثم خمود . وبمقدار الوجود يحصل الخمود ، وصاحب الوجود له : صحو ، ومحو .

فحال صحوه : بقاءه بالحق ، وحال محوه : فناؤه بالحق .

وهاتان الحالتان أبداً متعاقبتان عليه :

فإذا غلب عليه الصحو بالحق ، فيه يصول ، وبه يقول .

قال عليه السلام ، فيما أخبر عن الحق « فى يسمع ، وبى يبصر » .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول :

وقف رجل على حلقة الشبلى ، فسأله :

(١) أى لوجود الوحيد .

(٢) والمقصود أن العبد يكون عالماً بالتوحيد بالاستدلال بالآثار ، ولا يكون واجداً له ، لأن وجوده لا يبقى للعبد معه إحساس بنفسه فضلاً عن علمه به واستدلاله عليه .

(٣) وهو الانتقال من حال إلى حال .

هل تظهر آثار صحة الوجود على الواجدين؟؟

فقال : نعم : نور يزهر^(١) مقارناً^(٢) لنيران الاشتياق ، فتلوح على الهياكل^(٣) آثارها كما قال ابن المعتز :

وأطر الكأس ماء من أبارقها
فأنبت الدر في أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجباً
نوراً من الماء في نار من العنب
سلافة^(٤) ورثتها عاد عن إرم
كانت ذخيرة كسرى عن أب فاب

وقبل لأبي بكر الدقي :

إن جهماً الدقي أخذ شجرة بيده في حال السماع في ثوراته ، فقلعها من أصلها : فاجتمعا في دعوة^(٥) ، وكان الدقي كف بصره ، فقام الدقي يدور في حال هيجانه فقال الدقي : إذا قرب مني أرونيه .

وكان الدقي ضعيفاً ، فمر به ، فلما قرب منه ، قالوا له : هذا هو .

فأخذ الدقي ساق جهم فوقفه ، فلم يمكنه أن يتحرك .

فقال جهم : أيها ، الشيخ ، التوبة .. التوبة !! فخلاه :

قال الأستاذ الإمام ، أدام الله جماله :

فكان ثوران جهم في حق ، وإمساك الدقي بساقه بحق ، ولما علم جهم أن حال الدقي فوق حاله رجع إلى الإنصاف واستسلم وكذا من كان بحق لا يستعصى عليه شيء ، فأما^(٦) إذا كان الغالب عليه المحو فلا علم ، ولا عقل ، ولا فهم : ولا حس .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربي : أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ، ولم يشرب ، إلى أن مات .

ودخل بعض الفقراء على أبي عقال ، فقال له : سلام عليكم .

(١) يشرق .

(٢) مترنيا .

(٣) الأشخاص .

(٤) خر .

(٥) وليمة .

(٦) وفي نسخة وأما .

فقال له أبو عقال : وعليكم السلام فقال الرجل : أنا فلان فقال أبو عقال : أنت فلان ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ : وغاب عن حالته .
قال هذا الرجل ، فقلت له : سلام عليكم .
فقال : وعليكم السلام وكأنه لم يرفى قط .
ففعلت مثل هذا غير مرة ، فعلمت أن الرجل غائب ، فتركته ، وخرجت من عنده .
سمعت محمد بن الحسين ، يقول : سمعت عمر بن محمد بن أحمد يقول : سمعت امرأة أبي عبد الله التروغندى تقول .
لما كانت أيام المجاعة ، والناس يموتون من الجوع ، دخل أبو عبد الله التروغندى بيته ، فرأى في بيته مقدار منوين^(١) حنطة ، فقال : الناس يموتون من الجوع ، وفي بيتي حنطة !! فخلوط في عقله ، فما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة يصلى الفريضة ثم يعود إلى حالته ، فلم يزل كذلك إلى أن مات .
دلّت هذه الحكاية على أن هذا الرجل كان محفوظاً عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة ، وهذا هو صفة أهل الحقيقة ، ثم كان سبب غيبته عن تمييزه : شفقته على المسلمين ، وهذا أقوى سمة لتحقيقه في حاله .

(١) منوين : تشبة منا : وهو مكيال مقداره رطلان .

ومن ذلك :

الجمع والفرق

لفظ « الجمع والفرقة » يجرى في كلامهم كثيراً .

وكان الأستاذ أبو على الدقاق يقول :

الفرق : ما نسب إليك .

والجمع : ما سلب عنك .

ومعناه : أن ما يكون كسباً للعبد ، من إقامة العبودية ، وما يليق بأحوال البشرية ، فهو : فرق .

وما يكون من قبل الحق ، من إبداء معان ، وإسداء لطف وإحسان فهو : جمع هذا أدنى أحوالهم في الجمع والفرق ، لأنه من شهود الأفعال .

فمن أشهده الحق - سبحانه - أفعاله عن طاعته ومخالفاته فهو : عبد بوصف التفرقة^(١) ، ومن أشهده الحق - سبحانه - ما يوليه : من أفعال نفسه سبحانه ، فهو : عبد بشاهد الجمع .

فإثبات الخلق من باب التفرقة ، وإثبات الحق من نعت الجمع .

ولا بد للعبد من الجمع والفرق ، فإن من لا تفرقة^(٢) له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له ، فقوله : « إياك نعبد » إشارة إلى الفرق . وقوله : « وإياك نستعين » إشارة إلى الجمع .

وإذا ما خاطب العبد الحق سبحانه ، بلسان نجواه : إما سائلاً ، أو داعياً ، أو مثنياً ، أو شاكراً ، أو متصلاً^(٣) ، أو مبتهلاً : قام في محل التفرقة .

وإذا أصغى بصره إلى ما يناجيه به مولاه ، واستمع بقلبه ما يخاطبه به ، فيما ناداه ، أو ناجاه ، أو عرفه ، أو لوح لقلبه وأرادته ، فهو بشاهد الجمع .

(١) التفرقة بين العابد والمعبود .

(٢) وجه التفرقة والجمع على ما ذكره للعروسي في حاشيته : في قوله « نعبد » الاستقلال : اعتباراً بظاهر الحال . وفي قوله « نستعين » الرجوع إلى قوة الكبير المتعال .

(٣) متصلاً من ذنبه .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :
أنشد قوال بين يدي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي ، رحمه الله :
جعلت تنزهى نظرى إليك .

وكان أبو القاسم النصراباذي ، رحمه الله ، حاضراً ، فقال الأستاذ أبو سهل :
جعلت ، بنصب التاء^(١) . وقال النصراباذي : بل جعلت بضم التاء :
فقال الأستاذ أبو سهل : أليس عين الجمع أتم؟^(٢) فسكت النصراباذي .
وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي أيضاً يحكى هذه الحكاية على هذا الوجه .
ومعنى : هذا أن من قال « جعلت » بضم التاء يكون إخباراً عن حال نفسه ، فكأن العبد
يقول هذا من عنده . وإذا قال « جعلت » بالفتح فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك يتكلفه ، بل
يخاطب مولاه فيقول :

أنت الذى خصصتى بهذا ، لا أنا بتكلفى .
فالأول على خطر^(٣) الدعوى ، والثاني بوصف التبرى من الحول ، والإقرار بالفضل
والطول : والفرق بين من يقول بجهدى أعبدك . وبين من يقول : بفضلك ولطفك أشهدك .

(١) وفي نسخ ، وهو أصوب ، بفتح التاء .

(٢) لأن نسبة الأفعال إلى الله أتم من نسبتها إلى العبد .

(٣) أى المخاطرة فيها بنفسه حيث نسب لنفسه حالاً أو مقاماً .

ومن ذلك :

جمع الجمع

وجمع الجمع : فوق هذا .

يختلف الناس في هذه الجملة على حسب تباين أحوالهم ، وتفاوت درجاتهم : فمن أثبت نفسه ، وأثبت الخلق ، ولكن شاهد الكل قائماً بالحق ، فهذا هو : جمع . وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق ، مصطلياً^(١) عن نفسه ، مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بكل غير ، بما ظهر ، واستولى من سلطان الحقيقة ، فذاك جمع الجمع^(٢) . فالتفرقة : شهود الأغيار لله عز وجل .

والجمع : شهود الأغيار بالله .

وجمع الجمع : الاستهلاك بالكلية ، وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة .

وبعد هذا حالة عزيزة يسميها القوم :

الفرق الثاني

وهو أن يرد للعبد إلى الصحو عند أوقات أداء الفرائض ، ليجرى عليه القيام بالفرائض في أوقاتها ، فيكون رجوعاً لله تعالى لا للعبد بالعبد :

فالعبد يطالع نفسه ، في هذه الحالة ، في تصريف الحق سبحانه ، يشهد مبدئ ذاته وعينه بقدرته ، ومجرى أفعاله وأحواله عليه ، بعلمه ومشئته .

وأشار بعضهم بلفظ « الجمع والفرق » إلى تصريف الحق جميع الخلق .

فجمع الكل في التقلب والتصريف : من حيث إنه منشيء ذاتهم ومجرى صفاتهم ، ثم فرقهم في التنويع : ففريقاً أسعدهم ، وفريقاً أبعدهم وأشقاهم ، وفريقاً هداهم ، وفريقاً أضلهم

(١) غافلاً ، والها .

(٢) وهو لا يتم التحقق به لأحد إلا بعد الفناء عن الأفعال والصفات والذات .

وأعمالهم ، وفريقاً حببهم عنه ، وفريقاً جذبهم إليه ، وفريقاً أنسهم بوصله ، وفريقاً آيسهم من رحمته . وفريقاً أكرمهم بتوقيفه ، وفريقاً اصطلمهم^(١) عند رومهم لتحقيقه ، وفريقاً أصحاهم ، وفريقاً محاهم وفريقاً قربهم . وفريقاً غيبهم وفريقاً أدناهم وأحضرهم ، ثم أسقاهم فأسكرهم . وفريقاً أشقاهم وآخرهم ثم أقصاهم وهجرهم .
 وأنواع أفعاله لا يحيط بها حصر ، ولا يأتي على تفصيلها شرح ولا ذكر وأنشدوا للجنيد ، رحمه الله : في معنى الجمع والفرقة :

وتحققتك في سرى فناجاك لسانى
 فاجتمعنا لمعانى وافترقنا لمعانى
 إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى
 فقد صيرك الوجد من الأحشاء دانى

وأنشدوا :

إذا ما بدا لى^(٢) تعاظمته فأصدر^(٣) فى حال من لم يرد
 جمعت وفرقت عنى به ففرد التواصل مثنى العدد

(١) غيبهم .

(٢) أنى ظهر لى نور الحق .

(٣) فأرجع .

ومن ذلك :

الفناء والبقاء .

أشار القوم بالفناء : إلى سقوط الأوصاف المذمومة .
وأشاروا بالبقاء : إلى قيام الأوصاف المحمودة به .
وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين ، فمن المعلوم : أنه إذا لم يكن أحدُ القسمين كان القسم الآخر لا محالة ، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة .
واعلم أن الذى يتصف به العبد : أفعال ، وأخلاق ، وأحوال .
فالأفعال : تصرفاته باختياره .
والأخلاق : جبلته فيه ، ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة .
والأحوال : ترد على العبد على وجه الابتداء ، لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال .
فهى كالأخلاق من هذا الوجه ، لأن العبد إذا نازل^(١) الأخلاق بقلبه فينفى بجهد سفساقها^(٢) ، من الله عليه بتحسين أخلاقه ، فكذلك إذا واطب على تزكية أعماله ، يبذل وسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله .
فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال : إنه فنى عن شهواته .
فإذا فنى عن شهواته بقى بنيتة وإخلاصه فى عبوديته .
ومن زهد فى دنياه بقلبه ، يقال : فنى عن رغبته :
فإذا فنى عن رغبته فيها بقى بصدق إنايته .
ومن عالج أخلاقه ، فنفى عن قلبه الحسد والحقد ، والبخل ، والشح والغضب ، والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس ، يقال : فنى عن سوء الخلق .
فإذا فنى عن سوء الخلق بقى بالفتوة والصدق .

(١) انتقل إليها .

(٢) حقيرها .

ومن شاهد جريان القدرة في تصارييف الأحكام ، يقال : فنى عن حسابان الحدثان من الخلق فإذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقى بصفات الحق .

ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ؛ ولا رسماً ، ولا طلاً ؛ يقال : إنه فنى عن الخلق وبقي بالحق .

فقضاء العبد عن أفعاله الذميمة ، وأحواله الخسيسة : بعدم هذه الأفعال .

وفناؤه عن نفسه ، وعن الخلق : بزوال إحساسه بنفسه وبهم .

فإذا فنى عن الأفعال ، والأخلاق ، والأحوال ، فلا يجوز أن يكون ما فنى عنه من ذلك موجوداً .

وإذا قيل : فنى عن نفسه ؛ وعن الخلق ، فنفسه موجودة ، والخلق موجودون . ولكنه لا علم له بهم ولا به ، ولا إحساس ، ولا خبر ، فتكون نفسه موجودة ، والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين ، غير محس بنفسه وبالخلق .

وقد ترى الرجل يدخل على ذى سلطان ؛ أو محتشم ، فيُذهل عن نفسه ، وعن أهل مجلسه هيبة ، وربما يذهل عن ذلك المحتشم ، حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده ، عن أهل مجلسه وهيات ذلك الصدر^(١) ، وهيات نفسه ، لم يمكنه الإخبار عن شيء .

قال الله تعالى : ﴿ فلما رأيته أكبرنه ، وقطعن أيديهن ﴾ .

لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام ، على الوهلة^(٢) ألم قطع الأيدي ، وهن أضعف الناس ، وقلن : « ما هذا بشراً » - ولقد كان بشراً - .

وقلن : « إن هذا إلا ملك كريم » - ولم يكن ملكاً -

فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق ، فما ظنك بمن تكاشف^(٣) بشهود الحق سبحانه ؟!

فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه ، فأى أعجوبة فيه ؟!

فمن فنى عن جهله بقى بعلمه .. ومن فنى عن شهوته بقى بإنابته .. ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته .. ومن فنى عن منيته^(٤) بقى بإرادته^(٥) تعالى .

(٤) طليته .

(١) أى المحتشم . وفى نسخة « وهينة » .

(٥) وفى نسخة (بإرادته) فقط .

(٢) البقته .

(٣) أى أزيلت عند المحجب .

وكذلك القول في جميع صفاته :

فإذا فنى العبد عن صفته بما جرى ذكره ، يرتقى عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه وإلى هذا أشار قائلهم :

فقوم تاه في أرض بفقر وقوم تاه في ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقاء من قرب ربه
فالأول أفناه^(١) عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق .

ثم فناؤه عن صفات الحق بشهودة الحق .

ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق .

ومن ذلك :

الغيبة والحضور

فالغيبة : غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق ، لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره ، بوارد من تذكّر ثواب ، أو تفكر عقاب . كما روى أن : الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود ، رضى الله عنه ، فمر بحانوت حدّاد ، فرأى الحديدية المحمّاة في الكير ، فغشى عليه .. ولم يفتق إلى القد .

فلما أفاق ، سئل عن ذلك ، فقال :

تذكرت كون أهل النار في النار :

فهذه غيبة زادت على حدّها ، حتى صارت غشية .

وروى عن علي بن الحسين : أنه كان في سجوده ، فوقع حريق في داره ، فلم ينصرف عن صلاته ، فسئل عن حاله ، فقال :

أهتني النار الكبرى عن هذه النار .

وربما تكون الغيبة عن إحساسه بمعنى^(١) يكشف به من الحق سبحانه وتعالى :

ثم إنهم^(٢) مختلفون في ذلك على حسب أحوالهم ، ومن المشهور :

أن ابتداء حال أبي حفص النيسابوري الحداد في ترك الحرفة ، أنه كان على حانوته ، فقرأ قارئ آية من القرآن ، فورد على قلب أبي حفص وارد تفاؤل عن إحساسه ، فأدخل يده في النار ، وأخرج الحديدية المحمّاة بيده ، فرأى تلميذاً له ذلك ، فقال : يا أستاذ ، ما هذا ؟ فنظر أبو حفص إلى ما ظهر عليه ، فترك الحرفة ؛ وقام من حانوته .

وكان الجنيد قاعداً ؛ وعنده امرأته ؛ فدخل عليه الشبلي ؛ فأرادت امرأته أن تستتر ؛ فقال لها الجنيد : لا خبر للشبليّ عنك ؛ فاقعدى .

(١) أى بوارد .

(٢) أى من يرد عليهم الوارد .

فلم يزل يكلمه الجنيد ؛ حتى بكى الشبلى ؛ فلما أخذ الشبلى فى البكاء قال الجنيد لامرأته : استترى ، فقد أفاق الشبلى من غيبته .

سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور ؛ وكان رجلاً صالحاً ، قال :

كنت أقرأ القرآن فى مجلس الأستاذ أبى على الدقاق بنيسابور ؛ وقت كونه هناك وكان يتكلم فى الحج كثيراً ، فأثر فى قلبى كلامه ، فخرجت إلى الحج تلك السنة ؛ وتركت الخانوت والحرقة ؛ وكان الأستاذ أبو على رحمه الله ؛ خرج إلى الحج أيضاً فى تلك السنة . وكنت مدة كونه بنيسابور أخدمه . وأواظب على القراءة فى مجلسه فرأيت يوماً فى البادية : تطهر .. ونسى قممته كانت بيده .. فحملتها ، فلما عاد إلى رحله وضعتها عنده فقال : جزاك الله خيراً . حيث حملت هذا .

ثم نظر إلى طويلاً كأنه لم يرن قط : وقال : رأيتك مرة . فمن أنت ؟

فقلت : المستغاث بالله !! صحبتك مدة .. وخرجت عن مسكنى ومالى بسببك ، وتقطعت فى المفازة بك والساعة تقول رأيتك مرة !!

وأما الحضور :

فقد يكون حاضراً بالحق ؛ لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق ، على معنى أنه يكون كأنه حاضر ، وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه ، فهو حاضر بقلبه بين يدى ربه تعالى ؛ فعلى حسب غيبته عن الحق يكون حضوره بالحق ، فإن غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغيبة .

فإذا قيل : فلان . حاضر ، فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه ، غير غافل عنه ، ولا ساهٍ ، مستديم لذكره . ثم يكون مكاشفاً فى حضوره على حسب رتبته بعبان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها .

وقد يقال لرجوع العبد إلى إحساسه بأحوال نفسه ، وأحوال الخلق : إنه حضر أى رجع عن غيبته ، فهذا يكون حضوراً بخلق ، والأول حضوراً بحق .

وقد تختلف أحوالهم فى الغيبة . فمنهم من لا تمتد غيبته ، ومنهم من تدوم غيبته . وقد حكى أن ذا النون المصرى بعث إنساناً من أصحابه إلى أبى يزيد ، لينقل إليه صفة أبى يزيد .. فلما جاء الرجل إلى بسطام . سأل عن دار أبى يزيد فدخل عليه فقال له أبو يزيد : ما تريد ؟

فقال أريد أبا يزيد .

فقال : من أبو يزيد ؟ وأين أبو يزيد ؟ أنا في طلب أبي يزيد .

فخرج الرجل ، وقال : هذا مجنون .

ورجع الرجل إلى ذي النون . فأخبره بما شهده . فبكى ذو النون وقال : أخي أبو يزيد
ذهب في الذاهبين إلى الله .

ومن ذلك :

الصحو والسكر

فالصحو : رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة .

والسكر : غيبة بوارد قوى .

والسكر زيادة على الغيبة من وجه ، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطاً إذا لم يكن مستوفياً^(١) في حال سكره ، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره ، وتلك حال المتساكر ، الذى لم يستوفه الوارد ، فيكون للإحساس فيه مساغ ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة ، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوى سكره ، وربما يكون صاحب الغيبة أتم في الغيبة من صاحب السكر ، إذا كان متساكراً غير مستوف . والغيبة قد تكون للعباد ، بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرغبة ومقتضيات الخوف والرجاء .

والسكر لا يكون إلا لأصحاب المواجيد .

فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السكر ، وطاب^(٢) الروح ، وهام القلب ، وفي معناه أنشدوا :

فصحوك من لفظى هو الوصل كله وسكرك من لحظى يبيع لك الشربا
فما ملّ ساقبها وما ملّ شارب عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا
وأنشدوا :

فأسكر القوم دور كأس وكان سكرى من المدير

وأنشدوا :

لى سكرتان ، وللندمان واحدة شىء خصصت به من بينهم وحدى
وأنشدوا :

(١) بأن كان فيه بقية إدراك وفي نسخة . مستوفياً في سكره .

(٢) وفي نسخة : وطرب .

سكران : سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكران
واعلم أن الصحو على حسب السكر ، فمن كان سكره بحق ، كان صحوه بحق .
ومن كان سكره بحظ مشوباً : كان صحوه بحظ^(١) مصحوباً .
ومن كان محققاً في حاله^(٢) كان محفوظاً في سكره .
والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة .
وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم^(٣) فصفة العبد الثبور ، والقهر .
وفي معناه أنشدوا :

إذا طلع الصباح لنجم راح تساوى فيه سكران وصاح
قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ .
هذا^(٤) مع رسالته وجلالة قدره خر صعقا ، وهذا^(٥) مع صلابته ، وقوته ، صار دكاً متكسراً .
والعبد في حال سكره بشاهد الحال .
وفي صحوه بشاهد العلم .
إلا أنه في حال سكره محفوظ^(٦) لا بتكلفه :
وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه .
والصحو والسكر بعد الذوق والشرب .

(١) وفي نسخة . بحظ صحيح .

(٢) أى في حال صحوه .

(٣) علامة . وفي نسخة . علم أن صفة .

(٤) أى موسى عليه السلام .

(٥) أى الجبل .

(٦) أى محفوظ بالله .

ومن ذلك :

الذوق والشرب

ومن جملة ما يجرى في كلامهم : الذوق ، والشرب .
 ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ، ونتائج الكشوفات ، وبوارد الواردات .
 وأول ذلك : الذوق ، ثم الشرب ، ثم الرئى .
 فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني .
 ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب .
 ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرئى .
 فصاحب الذوق متساكر^(١) ، وصاحب الشرب سكران ، وصاحب الرئى صاح .
 ومن قوى حبه تسرمد^(٢) شربه ، فإذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكرأ ، فكان
 صاحباً بالحق ، فانياً عن كل حظ : لم يتأثر بما يرد عليه ، ولا يشعر عما هو به .
 ومن صفا سره ، لم يتكدر عليه الشرب . ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ، ولم يبق
 بدونه .

وأنشدوا :

وإنما الكأس رضاع بيننا فإذا لم نذقها لم نعش

وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت ربى فهل أنسى فأذكر ما نسيت ؟
 شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت
 ويقال : كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد البسطامى :
 « ها هنا من شرب من كأس^(٣) المحبة لم يظماً بعده » .

(١) وهو من بقى فيه بقية شعور بماله من الأحوال .

(٢) دام .

(٣) وفى نسخة . من شرب كأساً من المحبة .

فكتب إليه أبو يزيد :

عجبت من ضعف حالك !! هاهنا من يحتسى بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد .
واعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب ، ولاتدار إلا على أسرار معتقة ، وأرواح عن رقق
الأشياء محررة .

ومن ذلك :

المحو والإثبات

المحو : رفع أوصاف العادة :

والإثبات : إقامة أحكام العبادات .

فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة ، وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة ، فهو صاحب محو وإثبات .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : قال بعض المشايخ لواحد : إيش تمحو ؟ وإيش تثبت ؟

فسكت الرجل !!

فقال : أما علمت أن الوقت محو وإثبات ، إذ من لا محو له ، ولا إثبات ، فهو معطل . مهمل .

وينقسم إلى محو الزلة عن الظواهر ، ومحو الغفلة عن الضمائر ، ومحو العلة عن السرائر ، ففى محو الزلة : إثبات المعاملات : وفى محو الغفلة : إثبات المنازلات .

وفى محو العلة : إثبات المواصلات .

هذا محو وإثبات بشرط العبودية .

وأما حقيقة المحو والإثبات ، فصادران عن القدرة : فالمحو : ما ستره الحق ونفاه والإثبات ما أظهره الحق وأبداه .

والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة . قال الله تعالى : « يحو الله ما يشاء ويثبت » .

قيل : يحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى ، وينبت على ألسنة المريدين ذكر الله ، ومحو الحق لكل أحد وإثباته على ما يليق بحاله .

ومن محاه الحق سبحانه عن مشاهدة^(١) ، أثبتته^(٢) بحق حقه^(٣) .

(١) أى مشاهدته لنفسه وأفعاله .

(٢) حقيقته .

(٣) أى جعل حاله الوجود بواسطة فنائه ، بحق الحقيقة : أى بغلبة مشاهدة أنوار الحقيقة فيتم له الوجود بها

ومن محاه الحق عن إثباته به ردّه إلى شهود الأغيار ؛ وأثبتته في أودية التفرقة .
وقال رجل للشبليّ رحمه الله :

مالى أراك قلقاً ، أليس هو معك ، وأنت معه ؟

فقال الشبليّ :

لو كنت أنا معه كنت أنا ، ولكنى محو فيما هو .

والمحق فوق المحو ؛ لأن المحو يبقى أثراً ، والمحق لا يبقى أثراً .

وغاية همة القوم أن يحققهم الحق عن شاهدهم ، ثم لا يردهم إليهم بعدما محقهم عنهم .

ومن ذلك :

الستر والتجلى

العوام^(١) في غطاء الستر^(٢) ، والخواص في دوام التجلى .
 وفي الخبر : « إن الله إذا تجلى لشيء خشع له » .
 فصاحب الستر ، بوصف شهوده ، وصاحب التجلى أبداً ، بنعت خشوعه .
 والستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لولا أنه يستر عليهم^(٣) ما يكشفهم به ،
 لتلاشوا عند سلطان الحقيقة : ولكنه كما يظهر لهم ، يستر عليهم .
 سمعت منصور المغربي يقول :
 وافي بعض الفقراء حيا من أحياء العرب ، فأضافه شاب ، فبينا الشاب في خدمة هذا الفقير
 إذ غشى عليه ، فسأل الفقير عن حاله ، فقالوا :
 له بنت عم ، وقد علقها^(٤) ، فمشت في خيمتها ، فرأى الشاب غبار ذيلها ، فغشى عليه .
 فمضى الفقير إلى باب الخيمة ، وقال :
 إن للغريب فيكم حرمة وذماماً ، وقد جئت مستشفعاً إليك في أمر هذا الشاب ، فتعطفني
 عليه فيما هو به من هواك .
 فقالت : سبحان الله ، أنت سليم القلب ، إنه لا يطيق شهود غبار ذيلي ، فكيف يطيق
 صحبتي ؟
 وعوام هذه الطائفة عيشهم في التجلى ، وبلاؤهم في الستر .
 وأما الخواص ، فهم بين طيش وعيش^(٥) ، لأنهم إذا تجلى لهم طاشوا ، وإذا ستر عليهم ردوا
 إلى الحظ فعاشوا .

(١) أى من الصوفية .

(٢) بأن يخفى الله عنهم أحوالهم ، ليدرموا على جدهم واجتهادهم في عباداتهم .

(٣) بمعنى عنهم .

(٤) تعلق قلبه بها .

(٥) بين سكر وضحو .

وقيل : إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ ، ليستر عليه ببعض ما يعلله^(١) به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع .
وقال ﷺ : « إنه ليغان^(٢) على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة » .
والاستغفار : طلب الستر ، لأن الغفر : هو الستر ، ومنه غفر الثوب ، والمغفر ، وغيره : فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة ، إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق ، وفى الخبر : « لو كشف^(٣) عن وجهه^(٤) لأحرقت سبحات^(٥) وجهه ما أدرك بصره^(٦) » .

(١) يلاطفه .

(٢) ليقطى .

(٣) أى للعبد .

(٤) أى وجه الله .

(٥) أى أنوار عظمة الله وجلاله .

(٦) أى أن العبد - كما قال الشيخ زكريا الأنصارى - لا يطبق رؤية الحق تعالى ولا كمال جلالة ؛ وإنما يكشف لكل عبد من رؤيته فى الدنيا ما تقوى عليه بصيرته وليس المراد بقولهم « المكاشفة » و « المشاهدة » ونحوهما من الألفاظ : معاينة الذات حقيقة ، فإن ذلك لا يقع فى الدنيا ولا فى الآخرة على الوجه الممهور .

ومن ذلك :

المحاضرة ، والمكاشفة ، والمشاهدة

المحاضرة ابتداءً^(١) ، ثم المكاشفة ، ثم المشاهدة .

فالمحاضرة : حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان ، وهو بعد وراء الستر^(٢) ، وإن كان حاضراً باستيلاء سلطان الذكر .

ثم بعده . المكاشفة : وهو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل ، وتطلب السبيل ، ولا مستجر^(٣) من دواعي الريب . ولا محجوب من نعت الغيب .

ثم المشاهدة : وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة^(٤) .

فإذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر ، فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف . وحق المشاهدة ما قاله الجنيد ، رحمه الله :

وجود الحق مع فقدانك^(٥) :

فصاحب المحاضرة مربوط بآياته ، وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته :

وصاحب المشاهدة ملقى بذاته ، وصاحب المحاضرة يهديه عقله ، وصاحب المكاشفة يدينه علمه ، وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته .

ولم نرد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله .

ومعنى ما قاله : أنه تتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق ، فكما أن الليلة الظلماء بتوالى البروق فيها ، واتصالها ، إذا قدرت تصوير في ضوء النهار ، فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلي منع^(٦) نهاره فلا ليل . وأنشدوا :

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى

(١) أى أول المراتب .

(٢) الحجاب .

(٣) أى : مستعج .

(٤) شبهة .

(٥) أى فناءك عما سواه .

(٦) أى طال .

والناس في سدف^(١) الظلام ونحن في ضوء النهار
وقال النورى : لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقى له عرق قائم .

وقال : إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح :

وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة ، لأن باب المفاعلة في العريية بين
اثنين . وهذا وهم من صاحبه . فإن في ظهور الحق سبحانه ، ثبور^(٢) الخلق وباب المفاعلة جملتها
لا تقضى مشاركة الاثنين نحو : سافر ، وطارق النعل ، وأمثاله .

وأنشدوا :

فلما استبان الصبح أدرك^(٣) ضوؤه
بأنواره أنوار ضوء الكواكب
يجرعهم كأساً لو ابتلى^(٤) به اللظى
بتجريعة طارت كأسرع ذاهب

كأس ، أى كأس !! تصطلمهم عنهم ، وتفنيهم ، وتختطفهم منهم ، ولا تبقئهم .
كأس .. لا تبقى ولا تذر ، تمحوهم بالكلية ، ولا تبقى شظية من آثار البشرية .
كما قال قائلهم :

ساروا فلم يبق لارسم ولا أثر

(١) ظلمة .

(٢) هلاك .

(٣) وفي نسخة أدرج أى . غيب .

(٤) وفي نسخة : لو ابتليت لظى أى : جهنم .

ومن ذلك :

اللوائح ، والطوابع ، واللوامع

قال الأستاذ رضى الله عنه :

هذه الألفاظ متقاربة المعنى ، لا يكاد يحصل بينها كبير فرق . وهى من صفات أصحاب البدايات الصاعدين فى الترقى بالقلب ، فلم يدم لهم بعد ضياء شمس المعارف . لكن الحق سبحانه وتعالى ، يؤتى رزق قلوبهم فى كل حين ، كما قال : ﴿ وَهُمْ رَزَقُوهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، فكلما أظلم عليهم ساء القلوب بسحاب الحظوظ سنح^(١) لهم فيها لوائح الكشف وتلاًلاً لوامع القرب وهم فى زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح^(٢) .

فهم كما قال القائل :

يأبها البرق الذى يلمع من أى أكناف السما تسطع

فتكون^(٣) أولاً : لوائح ، ثم لوامع ، ثم طوابع :

فاللوائح كالبروق ، ما ظهرت حتى استتوت ، كما قال القائل :

افترقنا حولاً فلما التقينا كان تسليمه على وداعاً

وأنشدوا :

ياذا الذى زار وما زارا كأنه مقتبس ناراً

مر بباب الدار مستعجلاً ما ضره لو دخل الداراً ؟

واللوامع : أظهر من اللوائح : ليس زوالها بتلك السرعة ، فقد تبقى اللوامع وقتين ، وثلاثة .

ولكن كما قالوا :

والعين باكية لم تشبع النظرا

(١) آية ٦٢ من سورة مريم .

(٢) ظهر .

(٣) ينتظرون مجيء اللوائح بغتة .

(٤) أى الأشياء التى تظهر لهم .

وكما قالوا :

لم تَرِدْ ماء وجهه العينُ إلا شرقت قبل رها برقيب
فإذا لمع قطعك عنك ، وجمعك به ، لكن لم يسفر نور نهاره حتى كر عليه عساكر الليل ،
فهؤلاء بين روح ونوح ؛ لأنهم بين كشف وستر .
كما قالوا :

فالليل يشملنا بفاضل برده والصبح يلحفنا رداء مذهبنا
والطوالع : أبقي وقتاً ، وأقوى سلطاناً ، وأدوم مكنأً ، وأذهب للظلمة وأنقى للتهمة ، لكنها
موقوفة على خطر الأفول ، ليست برفيعة الأوج ، ولا بدائمة المكث ، ثم أوقات حصولها
وشبكة الارتحال ، وأحوال أفولها طويلة الأذيال .
وهذه المعاني ، التي هي : اللوائح واللوامع والطوالع ، تختلف في القضايا^(١) ، فمنها ما إذا
مات لم يبق عنها أثر^(٢) ، كالشوارق إذا أفلت ، فكأن الليل كان دائماً .
ومنها ما يبقى عنه أثر ، فإن زال رقمه^(٣) بقى ألمه ، وإن غربت أنواره بقيت آثاره فصاحبه
بعد سكون غلباته^(٤) يعيش في ضياء بركاته ، فإلى أن يلوح ثانياً يرجى^(٥) وقته على انتظار
عوده ، ويعيش بما وجد في كونه^(٦) .

(١) الأحكام .

(٢) والأولى أن يقول « عنه » .

(٣) أى أثره .

(٤) قلقه .

(٥) وفي نسخة يزجي : أى يدافع .

(٦) أى زمن وجوده .

ومن ذلك :

البواده والهجوم

البواده :

ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة^(١) ، إما موجب فرح ، وإما موجب ترح .
والهجوم :

ما يرد على القلب بقوة الوقت ، من غير تصنع منك .

ويختلف في الأنواع على حسب قوة الوارد وضعفه .

فمنهم من تغيره البواده ، وتصرفه الهواجم .

ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالاً وقوة . أولئك سادات الوقت كما قيل :

لا تهتدى نوب^(٢) الزمان إليهم
ولهم على الخطب الجليل لجام

(١) البغلة .

(٢) أصدائه . لجام : قوة ونبات .

ومن ذلك :

التلوين والتمكين

التلوين : صفة أرباب الأحوال .

التمكين : صفة أهل الحقائق .

فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقى من حال إلى حال ، ويتنقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل^(١) ويحصل في مربع^(٢) ، فإذا وصل تمكن .
وأنشدوا :

مازلت أنزل في وداك منزلاً تتحير الألباب دون نزوله
وصاحب التلوين أبدأ في الزيادة وصاحب ، التمكين وصل ثم أتصل .
وأما أنه أتصل : أنه بالكلية عن كليته بطل .

وقال بعض المشايخ :

انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم ، فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا .
قال الأستاذ رحمه الله :

يريد انخناص أحكام البشرية ، واستيلاء سلطان الحقيقة ، فإذا دام للعبد هذه الحالة فهو صاحب تمكين .

كان الشيخ أبو عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

كان موسى عليه السلام صاحب تلوين ، فرجع من سماع الكلام واحتاج إلى ستر وجهه ،
لأنه أثير فيه الحال ، ونبينا ﷺ ، كان صاحب تمكين ، فرجع كما ذهب ، لأنه لم يؤثر فيه
ما شاهده تلك الليلة .

وكان يستشهد على هذا بقصة يوسف عليه السلام : أن النسوة اللاتي رأين يوسف عليه
السلام قطعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليها السلام على وجه الفجأة . وامرأة

(١) مكان الرحيل .

(٢) محل الربيع .

العزیز كانت أتم في بلاء^(١) يوسف منهن ، ثم لم تتغير عليها شعرة ذلك اليوم ، لأنها كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف عليه السلام .

قال الأستاذ :

واعلم ان التغير بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين :

إمّا لقوة الوارد ، أو لضعف صاحبه .

والسكون من صاحبه لأحد أمرين :

إمّا لقوته ، أو لضعف الوارد عليه .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

أصول القوم في جواز دوام التمكين تتخرج على وجهين :

أحدهما : مالا سبيل إليه ، لأنه قال ﷺ : « لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى لصافحتكم الملائكة »^(٢) ولأنه ﷺ قال : « لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى عز وجل » أخبر عن وقت مخصوص .

والوجه الثانى : أنه يصح دوام الأحوال ، لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثير بالطوارق ، والذي في الخبر أنه قال : « لصافحتكم الملائكة » فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل ، ومصافحة الملائكة دون ما أثبت لأهل البداية من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع »^(٣) .

(١) حب .

(٢) الحديث بأكمله : عن أبى ربيع : حنظلة بن الربيع الأسيدى : الكاتب أحد كتاب رسول الله ﷺ ، قال : « لقينى أبو بكر ، رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافع حنظلة ! قال سبحانه الله ! ما تقول ؟ فقلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنها رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسبنا كثيراً ، قال أبو بكر رضى الله عنه ، « فوالله إننا لنلقى مثل هذا » فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، نافع حنظلة ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟ قال : نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنها رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات : نسبنا كثيراً فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسى بيده ، أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ثلاث مرات « رواه مسلم . عافسنا : داعبنا : الضيعات : المعاش .

(٣) الحديث بتمامه فيها رواه أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد : كفضل القمر على سائر الكواكب . وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

وما قال : « لى وقت .. » فإنما قال على حسب فهم السامع . وفى جميع أحواله كان قائماً بالحقيقة .

والأولى أن يقال : إن العبد ما دام فى الترقى فصاحب تلوين يصح فى نعتة الزيادة فى الأحوال ، والنقصان منها ، فإذا وصل إلى الحق بانحناس أحكام البشرية مكنته الحق سبحانه ، بأن لا يرده إلى معلولات النفس ، فهو متمكن فى حاله ، على حسب محله واستحقاقه . ثم يُتَحَفَّه - الحق سبحانه ، فى كل نفس ، فلا حدَّ لمقدوراته ، فهو فى الزيادات متلون ، بل ملون . وفى أصل حاله متمكن ؛ فأبداً يتمكن فى حالة أعلى مما كان فيها قبله ، ثم يرتقى عنها إلى ما فوق ذلك إذ لا غاية لمقدورات الحق سبحانه فى كل جنس .

فأما المصطلم^(١) عن شاهده ، المستوفى إحساسه بالكلية ، فللبشرية لا محالة حد وإذا بطل عن جلته ونفسه وحسه ، وكذلك عن المكونات بأسرها ، ثم دامت به هذه الغيبة ، فهو محو ، فلا تمكن له إذاً ، ولا تلوين ، ولا مقام ، ولا حال .

وما دام بهذا الوصف : فلا تشريف ، ولا تكليف اللهم إلا أن يردَّ بما يجرى عليه من غير شئ منه ، فذلك^(٢) متصرف فى ظنون الخلق ، مصرفٌ فى التحقيق .

قال الله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ﴾^(٣) وبالله التوفيق .

(١) الغائب .

(٢) أى العبد .

(٣) آية ١٨ من سورة الكهف .

ومن ذلك :

القرب والبعد

أول رتبة في القرب : القرب من طاعته ، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته .
وأما البعد ، فهو التدنس بمخالفته ، والتجافي عن طاعته .

فأول البعد بعد عن التوفيق ، ثم بعد عن التحقيق ، بل البعد عن التوفيق هو البعد عن التحقيق ، قال ﷺ ، مخبراً عن الحق سبحانه : « ما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل . حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته ، كنت له سمعاً وبصراً ، فبى يبصر ، وبى يسمع .. الخبر^(١) ... » .

فقرّب العبد أولاً قرب بإيمانه وتصديقه ، ثم قرب بإحسانه وتحقيقه .

وقرب الحق سبحانه ، ما يخصه اليوم به من العرفان ، وفي الآخرة ما يكرّمه به من الشهود والعيان ، وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان .

ولا يكون تقرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق ، وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون .

وقرب الحق سبحانه ، بالعلم ، والقدرة عام للكافة . وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ، ثم بخصائص التائيس^(٢) مختص بالأولياء . قال الله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^(٣) ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ^(٤) ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ^(٥) ﴾ وقال الله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ^(٦) ﴾ .

ومن تحقق بقرب الحق ، سبحانه وتعالى ، فأدّونه^(٧) دوام مراقبته إيّاه ، لأنّ عليه رقيب التقوى ، ثم رقيب الحفظ والوفاء ثم رقيب الحياء .

(١) الحديث بتمامه : قال تعالى في الحديث القدسي الصحيح الذي رواه البخارى « من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب . وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى مما افترضته عليه . ولا يزال يتقرب إلى عبدي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به . ويده التى يبطئ بها ، ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ولنن استعاذنى لأعيدنه » .
(٢) أى الأنس باقه .

(٣) آية ١٩ من سورة : ق .

(٤) آية ٨٥ من سورة الواقعة .

(٥) آية ٤ من سورة الحديد .

(٦) آية ٧ من سورة المجادلة .

(٧) فاقله .

وأنشدوا :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخرَ يرعى ناظري ولساني
فما رمقت عيناي بعدك منظرًا يسووك إلا قلت قد رفعاني
ولا بدرت من في دونك لفظة لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت في السر بعدك خطرة لغيرك إلا عرجاً بعناني
وإخوان صدق قد سئمت حديثهم وأمست عنهم ناظري ولساني
وما الزهد أسلى عنهم غير أنتى وجدتك مشهوداً بكل مكان
وكان بعض المشايخ يخص واحداً من تلامذته بإقباله عليه ، فقال أصحابه له في ذلك ، فدفع
إلى كل واحد منهم طيراً ، وقال اذبحوه بحيث لا يراه أحد .

فمضى كل واحد وذبح الطير بمكان خال .. وجاء هذا الإنسان والطير معه غير مذبح ؛
فسأله الشيخ ، فقال : أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ، ولم يكن موضع إلا والحق سبحانه
يراه ، فقال الشيخ ، لهذا أقدم هذا عليكم ؛ إذ الغالب عليكم حديثُ الخلق ، وهذا غير غافل
عن الحق .

ورؤية القرب حجاب عن القرب ، فمن شاهد لنفسه محلاً ، أو نفساً ، فهو ممكور به^(١) .
ولهذا قالوا : أوحشك الله من قربه : أى من شهودك لقربه ، فإن الاستئناس بقربه من
سمات العزة به ، إذ الحق سبحانه وراء^(٢) كل أنس .
وإن مواضع الحقيقة توجب الدهش والمحو^(٣) .

وفي قريب من هذا قالوا :

محنتى فيك أننى ما أبالى بمحنتى
قربكم مثلُ بعدكم فمتى وقت راحتى
وكان الأستاذ أبو عليّ الدقاق ، رحمه الله ، كثيراً ما ينشد :
ودادكم هجر ، وحبكم قلى^(٤) وقربكم بعد وسلمكم حرب

(١) ممكور به : مغرور به :

(٢) أى أمام .

(٣) وفي نسخة و « المحق » .

(٤) بقض .

ورأى أبو الحسين النورى بعض أصحاب أبي حمزة ، فقال :
 أنت من أصحاب أبي حمزة الذى يشير إلى القرب ؟ إذا لقيته ، فقل له : إن أبا الحسين
 النورى يقرئك السلام ، ويقول لك : قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد .
 فأما القرب بالذات ، فتعالى الله الملك الحق عنه ، فإنه متقدس عن الحدود ؛ والأقطار ،
 والنهاية ، والمقدار ، وما اتصل به مخلوق ، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به ، جلت صمديته
 عن قبول الوصل والفصل .

فقرب هو فى نعتة محال : وهو تدانى الذوات .
 وقرب هو واجب فى نعتة : وهو قرب بالعلم والرؤية .
 وقرب هو جائز فى وصفه ، يخص به من يشاء من عباده ، هو قرب الفضل^(١) باللفظ .

(١) وفى نسخة أخرى « الفعل » .

ومن ذلك :

الشرعة والحقيقة

الشرعة : أمر بالتزام العبودية .

والحقيقة : مشاهدة الربوبية .

فكل شرعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول .

وكل حقيقة غير مقيدة بالشرعة فغير مقبول .

فالشرعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريح الحق .

فالشرعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده .

والشرعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

قوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ حفظ للشرعة ﴿ وإياك نستعين ﴾ إقرار بالحقيقة .

واعلم أن الشرعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره .

والحقيقة - أيضاً - شرعة ، من حيث إن المعارف به ، سبحانه ، أيضاً ، وجبت بأمره .

ومن ذلك :

النفس^(١)

النفس : ترويح القلوب بلطائف الغيوب ، وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال ، فكان الوقت مبتدئاً ، وصاحب الأنفاس منتهياً ، وصاحب الأحوال بينها . فالأحوال وسائط ، والأنفاس نهاية الترقى .

فالأوقات لأصحاب القلوب ، والأحوال لأرباب الأرواح ، والأنفاس لأهل السرائر : وقالوا : أفضل العبادات عد الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى .

وقالوا : خلق الله القلوب وجعلها معادن المعرفة ، وخلق الأسرار وراءها^(٢) . وجعلها محلاً للتوحيد فكل نفس حصل من غير دلالة المعرفة وإشارة التوحيد على بساط الاضطراب فهو ميت ، وصاحبه مسئول عنه .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

العارف لا يسلم له النفس ، لأنه لا مسامحة تجرى معه ، والمحجب لا بدله من نفس ، إذ لولا أن يكون له نفس لتلاشى ، لعدم طاقته .

(١) بفتح الفاء .

(٢) أى بعدها .

ومن ذلك :

الخواطر

والخواطر خطاب يرد على الضمائر ، وهو قد يكون بإلقاء ملك ، وقد يكون بإلقاء شيطان ، ويكون أحاديث النفس ، ويكون من قبل الحق سبحانه .

فإذا كان من الملك فهو الإلهام .

وإذا كان من قبل النفس ، قيل له : الهواجس .

وإذا كان من قبل الشيطان فهو : الوسواس .

وإذا كان من قبل الله سبحانه ، وإلقائه في القلب ، فهو : خاطر حق .

وجملة ذلك من قبيل الكلام^(١) .

فإذا كان من قبل الملك ، فإنما يعلم صدقه بموافقة العلم^(٢) ، ولهذا قالوا : كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل .

وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي .

وإذا كان من قبل النفس فأكثره ، يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار كبر ، أو ما هو من خصائص أوصاف النفس .

واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس^(٣) .

وسمعت الشيخ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

من كان قوته معلوماً^(٤) لم يفرق بين الإلهام والوسواس ، وأن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق ببيان^(٥) قلبه بحكم مكابذته .

وأجمع الشيوخ على أن النفس لا تصدق ، وأن القلب لا يكذب .

(١) أي جميع ما تقدم في معنى الخاطر هو من قبيل الكلام النفسى الملقى في الضمائر .

(٢) بالكتاب والسنة .

(٣) لأن التمييز بينها إنما يقع بدقيق النظر في الأحكام وكمال العلم بالحلال والحرام .

(٤) أي معينا من جهه ما إذا اطمأن له واعتمد عليه .

(٥) وفي نسخة : بيان .

وقال بعض المشايخ : إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب ، ولو اجتهدت كل الجهد أن تخاطبك روحك لم تخاطبك .

وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت .. فلا تزال تعاودك ، ولو بعد حين ، حتى تصل إلى مرادها ، وتحصل مقصودها ، اللهم إلا أن يدوم المجاهدة ، ثم إنها تعاودك وتعاودك .

وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة ، فخالفته بترك ذلك ، يوسوس بزلة أخرى ، لأن جميع المخالفات له سواء ، وإنما يريد أن يكون داعياً أبداً إلى زلة ما ، ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد .

وقد قيل : كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه ، وربما يخالفه .
فأما خاطر يكون من الحق سبحانه ، فلا يحصل خلاف من العبد له .
وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني ، إذا كان الخاطران من الحق سبحانه ، هل هو أقوى من الأول ؟ .

فقال الجنيد : الخاطر الأول أقوى ، لأنه إذا بقى رجع صاحبه إلى التأمل . وهذا بشرط العلم ، فترك الأول يضعف الثاني .

وقال ابن عطاء الله : الثاني أقوى ، لأنه ازداد قوة بالأول .

وقال أبو عبد الله بن خفيف ، من المتأخرين :

هما سواء ، لأن كليهما من الحق ، فلا مزية لأحدهما على الآخر .

والأول لا يبقى في حال وجود الثاني ، لأن الآثار لا يجوز عليها البقاء .

ومن ذلك :

علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين

هذه عبارات عن علوم جليلة .

فاليقين : هو العلم الذى لا يتداخل^(١) صاحبه ريب على مطلق العرف .

ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه ؛ لعدم التوقيف .

فعلم اليقين : هو اليقين ، وكذلك عين اليقين : نفس اليقين ، وحق اليقين : نفس اليقين^(٢) .

فعلم اليقين ، على موجب اصطلاحهم^(٣) ما كان بشرط البرهان .

وعين اليقين ما كان بحكم البيان^(٤) .

وحق اليقين ما كان بنعت العيان^(٥) .

فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم^(٦) . وحق اليقين لأصحاب المعارف^(٧) .

والكلام فى الإفصاح عن هذا بحال تحقيقه^(٨) يعود إلى ما ذكرناه .

فاقتصرنا على هذا القدر ، على جهة التنبيه .

(١) فى نسخة : يداخل ، وهى الأظهر .

(٢) فالثلاثة فى اللفظ بمعنى واحد واختلاف العبارات بينها إشارة إلى تفاوت القوة فيها .

(٣) أى الصوفية .

(٤) أى بطريق الكشف .

(٥) أى بطريق المشاهدة .

(٦) أى الذين ثبتت علومهم وتوالت على قلوبهم حتى استغنوا عن البرهان .

(٧) الذين غلب على قلوبهم ما شغلهم عن ذكر غير الله .

(٨) وفى نسخة أخرى « وللکلام فى الإفصاح عن هذا مجال وتحقيقه .. » .

ومن ذلك :

الوارد

ويجربى فى كلامهم ذكر الواردات كثيراً .

والوارد :

ما يرد على القلوب من الخواطر المحموده ، مما لا يكون بتعمد العبد ، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر ، فهو أيضاً : وارد .

ثم قد يكون وارد من الحق ، ووارد من العلم .

فالواردات أعم من الخواطر ؛ لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب ، أو ما يتضمن معناه .

والواردات تكون : وارد سرور ، ووارد حزن ، ووارد قبض ؛ ووارد بسط ، إلى غير ذلك

من المعاني^(١) .

(١) يقول الشيخ العروسى : ذلك باعتبار حال السالك أما العارف : فهو دائماً فى حال جمع الحقيقة لا إحساس له بشىء من سرور أو حزن فحينئذ يكون وارد السرور وضده من واردات العلم لا من وارد الحق .

ومن ذلك لفظ :

الشاهد

كثيراً ما يجرى في كلامهم لفظ : الشاهد :

فلان بشاهد^(١) العلم ، وفلان بشاهد الوجد ، وفلان بشاهد الحال .

ويريدون بلفظ الشاهد : ما يكون حاضر قلب الإنسان ، وهو ما كان الغالب عليه ذكره ، حتى كأنه يراه ويصره ، وإن كان غائباً عنه . فكل ما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو شاهده فإن كان الغالب عليه العلم ، فهو بشاهد العلم .

وإن كان الغالب عليه الوجد ، فهو بشاهد الوجد .

ومعنى الشاهد : الحاضر ، فكل ما هو حاضر قلبك فهو شاهدك . وسئل الشبلي عن المشاهدة ، فقال :

ومن أين لنا مشاهدة الحق ؟ الحق لنا شاهد^(٢) .

أشار بشاهد الحق إلى المستولى على قلبه : والغالب عليه من ذكر الحق والحاضر في قلبه دائماً من ذكر الحق .

ومن حصل له مع مخلوق تعلق بالقلب ، يقال : إنه شاهده ، يعنى : أنه حاضر قلبه ، فإن المحبة توجب دوام ذكر المحبوب ، واستيلائه عليه .

وبعضهم تكلف في مراعاة هذا الاشتقاق فقال :

إنما سمي الشاهد من الشهادة^(٣) ، فكأنه إذا طالع شخصاً بوصف الجمال : فإن كانت بشريته ساقطة عنه ، ولم يشغله شهود ذلك الشخص عما هو به من الحال ، ولا أثرت فيه صحبته بوجه ، فهو شاهد له على فناء نفسه .

ومن أثر فيه ذلك ، فهو شاهد عليه في بقاء نفسه .

(١) أى متلبس .

(٢) وفى نسخة « لنا شاهد الحق » .

(٣) بمعنى المعاينة .

وقيامه بأحكام بشريته إما شاهد له ، أو شاهد عليه .

وعلى هذا حمل قوله ﷺ : « رأيت ربى ليلة المعراج فى أحسن صورة » أى أحسن صورة رأيتها تلك الليلة لم تشغلنى عن رؤيته تعالى ، بل رأيت المصور فى الصورة ، والمنشئ فى الإنشاء ويريد بذلك رؤية العلم ، لا إدراك البصر^(١) :

(١) قال الأنصارى : أن صح الخبر فمحلله أن رؤيته صل الله عليه وسلم لربه كانت فى أحسن صورة هو عليها لأنه تعالى خلق له من الإدراك الذى رأى به ربه المنزه عن الأجسام والصور والهيآت مالم يخلقه له قبل ، فتلك الصورة راجعة إلى حاله ﷺ التى خضع بها ربه من الإدراك الشريف الذى يخلقه لأولياته فى الدار الآخرة ويخصهم به ، وتكون الصورة معنوية لا حسية .

ومن ذلك :

النفس^(١)

نفس الشيء في اللغة : وجوده .

وعند القوم : ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود ، ولا القلب الموضوع^(٢) . إنما أرادوا بالنفس : ما كان معلولاً^(٣) من أوصاف العبد ومذموماً من أخلاقه وأفعاله .

ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين :

أحدهما : ما يكون كسباً له : كمعاصيه ومخالفاته .

والثاني : أخلاقه الدنيئة ، فهي في أنفسها مذمومة ، فإذا عاجلها العبد ونازلها ، تنتفى عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر المادة .

والقسم الأول من أحكام النفس : ما نهى عنه نهى تحريم ، وأنهى تنزيه .

وأما القسم الثاني ، من قسمي النفس : فسفساف الأخلاق ، والدنى منها .

هذا حده على الجملة . ثم تفصيلها^(٤) : فالكبر ، والغضب ، والحقد ، والحسد ، وسوء الخلق ، وقلة الاحتمال ، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة .

وأشد أحكام النفس وأصعبها : توهيها أن شيئاً منها حسن ، أو أن لها استحقاق قدر ، ولهذا عُدَّ ذلك من الشرك الخفى .

ومعالجة الأخلاق في ترك النفس ، وكسرها ، أتم^(٥) من مقاساة الجوع والعطش والسهر ، وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة ، وإن كان ذلك أيضاً من جملة ترك النفس ، ويحتمل أن تكون النفس : لطيفة مودعة في هذا القلب ، هي محل الأخلاق المعلومة^(٦) .

(١) بسكون الفاء .

(٢) أى الجسم .

(٣) أى ذا علة وصفة ذميمة .

(٤) أى الجملة .

(٥) أى : في طريق الوصول إلى المقصود حيث الخير كله في مخالفة النفس .

(٦) وفي نسخة المعلولة أى : المذمومة .

كما أن الروح : لطيفة ، مودعة في هذا القلب هي محل الأخلاق المحمودة .
وتكون الجملة مسخرًا بعضها لبعض ، والجميع إنسان واحد .

وكون الروح ، والنفس ، من الأجسام اللطيفة في الصورة ، ككون الملائكة والشياطين
بصفة اللطافة ، وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية ، والأذن محل السمع ، والأنف محل
الشم ، والفم محل الذوق ، والسميع ، والبصير والشم ، والذائق إنما هي الجملة ، التي هي
الإنسان فكذاك محل الأوصاف الحميدة : القلب والروح ، ومحل الأوصاف المذمومة :
النفس ..

والنفس جزء من هذه الجملة ، والقلب جزء من هذه الجملة ، والحكم الاسم راجع إلى
الجملة .

ومن ذلك :

الروح

الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة :

فمنهم من يقول : إنها الحياة .

ومنهم من يقول : إنها أعيان مودعة في هذه القوالب .

لطيفة :

أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ، مادامت الأرواح في الأبدان ، فالإنسان حي بالحياة ، ولكن الأرواح مودعة في القوالب ؛ ولها ترقى^(١) في حال النوم ، ومفارقة للبدن ، ثم رجوع إليه .

وأن الإنسان : هو الروح ، والجسد ؛ لأن الله سبحانه وتعالى : سخر هذه الجملة بعضها لبعض ، والحشر يكون للجملة ، والمثاب والمعاقب الجملة .

والأرواح مخلوقة ، ومن قال بقدمها فهو مخطيء خطأ عظيماً .

والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة .

ومن ذلك :

السِّرُّ

يحتمل أنها^(١) لطيفة مودعة في القلب ، كالأرواح .
وأصولهم تقتضى أنها محل المشاهدة ، كما أن الأرواح محل للمحبة ، والقلوب محل للمعارف^(٢) .

وقالوا : السر : مالك عليه إشراف ، وسر السر : ما لا اطلاع عليه لغير الحق .
وعند القوم : على موجب مواضعاتهم^(٣) ومقتضى أصولهم : السر أطف من الروح ، والروح أشرف من القلب .

ويقولون : الأسرار معتقة عن رَقِّ الأغيار من الآثار والأطلال .
ويطلق لفظ « السر » على ما يكون مصوناً مكتوماً بين العبد والحق سبحانه ، في الأحوال^(٤) . وعليه يحمل قول من قال .
أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم .
ويقولون :

صدور الأحرار قبور الأسرار .

وقالوا :

لو عرف زيرى سِرِّى لطرحته .

فهذا طرف من تفسير إطلاقاتهم ، وبيان عباراتهم فيما انفردوا به من ألفاظ ذكرناها على شروط الإيجاز .

ونذكر الآن أبواباً في شرح المقامات التي هي مدارج^(٥) أرباب السلوك ثم بعدها أبواباً^(٦) في تفضيل الأحوال على الجد الذي يسهله الله تعالى ، بفضلته إن شاء الله تعالى .

(١) وفي نسخة « أنه » .

(٢) قال العلامة علاء الدين القونى : والظاهر أنها أساء لحقيقة واحدة وهى اللطيفة الإنسانية ، لكنها تختلف باعتبارات مختلفة .. قال العروسى : وهو المتعين إذ لا دليل على هذا التقسيم .

(٣) أى الواردات على العبد .

(٤) طرق ؟

(٥) عظيم تحت القلب .

باب التوبة

قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١) .
 أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك ، رحمه الله ، قال : أخبرنا أحمد بن محمود بن خراز قال : حدثنا محمد بن فضل بن جابر ، قال حدثنا سعيد بن عبد الله قال : حدثنا أحمد بن زكريا ، سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :
 « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا أحبَّ الله عبداً لم يضره ذنب ، ثم تلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٢) ، قيل : يارسول الله ، وما علامة التوبة ؟ قال الندامة^(٣) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي ، قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبيد الصفار ، قال : أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال : أخبرنا الحكم بن موسى ، قال : حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عاتكة طريف بن سليمان ، عن أنس بن مالك . أن النبي ﷺ ، قال : « ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب^(٤) » .

فالتوبة أول منزل من منازل السالكين .

وأول مقام من مقامات الطالبين .

وحقيقة التوبة في لغة العرب : الرجوع ، يقال : تاب أى رجع .

فالتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه .

وقال النبي ﷺ : « الندم توبة » .

فأرباب الأصول من أهل السنة قالوا :

شرط التوبة ، حتى تصح ، ثلاثة أشياء :

(١) آية ٣١ من سورة النور .

(٢) آية ٢٢٢ من سورة آل عمران .

(٣) قال السيوطي : رواه أيضاً ابن التجار وحسنه وقد روى أوله ابن ماجه ،

(٤) ذكره السيوطي في جامعة من حديث طويل وقال : رواه أبو المظفر السمعاني في أماليه عن سلمان وضعفه ، وله شواهد من

الأحاديث الصحيحة .

الندم على ما عمل من المخالفات .
وترك الزَّلة في الحال .

والعزمُ على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي .
فهذه الأركان لا بد منها ، حتى تصحَّ توبته .

قال هؤلاء : وما في الخبر أن « الندم توبة »^(١) إنما نصَّ على معظمه كما قال ﷺ : « الحج عرفة » ، أى معظم أركانه عرفه ، أى الوقوف بها ، لا أنه لا ركن في الحج سوى الوقوف بعرفات ، ولكن معظم أركانه الوقوف بها .

كذلك قوله « الندم توبة » أى معظم أركانها الندم .

ومن أهل التحقيق من قال : يكفى الندم في تحقيق ذلك : لأن الندم يستتبع الركنين الآخرين فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مصر على مثله : أو عازم على الإتيان بمثله .

وهذا معنى التوبة على جهة التحديد والإجمال .

فأما على جهة الشرح والإبانة ، فإن للتوبة أسباباً وترتيباً وأقساماً .

فأول ذلك : انتباه القلب عن رقدة الغفلة ، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة .
ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق ، سبحانه ، يسمع قلبه ، فإنه جاء في الخبر « واعظ الله في قلب كل امرئ مسلم » .
وفي الخبر : « إن في البدن لمضغة إذا صلحت صلح جميع البدن وإذا فسدت فسدت جميع البدن ، ألا وهى : القلب »^(٢) .

فإذا فكر بقلبه في سوء ما يصنعه ، وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال ، سنع^(٣) في قلبه إرادة التوبة ، والإقلاع عن قبيح المعاملات فيمده الحق ، سبحانه بتصحيح العزيمة ، والأخذ في جميل الرجعى ، والتأهب لأسباب التوبة :
فأول ذلك :

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقى في الشعب .

(٢) رواه السيحان وأصحاب السنن .

(٣) خطر .

هجران إخوان السوء ؛ فإنهم هم الذين يحملونه على ردّ هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم .

ولا يتم ذلك : إلا بالمواظبة على المشاهدة^(١) التي تزيد رغبته في التوبة وتوفّر دواعيه على إتمام ما عزم عليه ، مما يقوّى خوفه ورجاءه : فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال ، فيقف عن تعاطي المحظورات ، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات فيفارق الزلّة في الحال ، ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها في الاستقبال .

فإن مضى على موجب قصده ، ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقاً .
وإن نقض التوبة مرّة أو مرات ، وتحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا أيضاً كثيراً ، فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء ، فإن لكل أجل كتاباً .

حكى عن أبي سليمان الداراني ، أنه قال :

اختلفت إلى مجلس قاض ، فأثر كلامه في قلبي ، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء . فعدت ثانياً ؛ فبقى أثر كلامه في قلبي ، حتى رجعت إلى منزلي فكسرت آلات المخالفات ولزمت الطريق .

فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال :
عصفوراً اصطاد كركياً !! .

أراد بالعصفور ، ذلك القاص ، وبالكركيّ ، أبا سليمان الداراني .

ويحكى عن أبي حفص الحدّاد أنه قال :

تركت العمل كذا ، وكذا مرة ، فعدت إليه ، ثم تركني العمل ، فلم أعد بعد إليه .
وقيل : إن أبا عمرو بن نجيد ، في ابتداء أمره ، اختلفت إلى مجلس أبي عثمان^(٢) ، فأثرت في قلبه كلامه ، فتاب .

ثم إنه وقعت له فترة ، فكان يهرب من أبي عثمان إذا رآه ، ويتأخر عن مجلسه فاستقبله أبو عثمان يوماً فحاد أبو عمرو عن طريقه ، وسلك طريقاً أخرى ، فتبعه أبو عثمان ، فمازال به يقفوا أثره ، حتى لحقه ، فقال له :

(١) وفي نسخة المشاهد .

(٢) سعيد بن سلام الحراني .

يأبئى ، لا تصحب من لا يحبك إلا معصوماً ، إنما ينفعك أبو عثمان في مثل هذه الحالة .
قال : فتأب أبو عمرو بن نجيد ، وعاد إلى الإرادة^(١) ، ونفذ فيها .

سمعت الشيخ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

تاب بعض المريدين ، ثم وقعت له فترة^(٢) ، فكان يفكر وقتاً : لو عاد إلى توبته^(٣) كيف حكمه ؟ فهتف به هاتف : يا فلان ، أطعنا فشكرناك ، ثم تركتنا فأمهلناك ، وإن عدت إلينا قبلناك .

فعاد الفتى إلى الإرادة ، ونفذ فيها .

فإذا ترك المعاصى ، وحل عن قلبه عقدة الإصرار ، وعزم أن لا يعود إلى مثله ، فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم ، فيتأسف على ما عمله ، ويأخذ في التحسر على ما صنعه^(٤) من أحواله ، وارثه من قبيح أعماله ، فتتم توبته ، وتصديق مجاهدته ، واستبدال^(٥) بمخالطته العزلة ، وبصحبه مع إخوان السوء التوحش عنهم ، والمخلوة دونهم ويصل ليله بنهاره في التلهف^(٦) ، ويعتق في عموم أحواله بصدق التأسف ، يحو بصوب عبرته آثار عثرته ، ويأسو^(٧) بحسن توبته كلوم^(٨) حوبته^(٩) ويعرف من بين أمثاله بذبوله ، ويستدل صحة حاله بنحو له .

ولن يتم له شيء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه ، والخروج عما لزمه من مظالمه ، فإن أول منزلة من^(١٠) التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه ، فإن اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم ، أو سمحت أنفسهم بإحلاله والبراءة عنه^(١١) ، وإلا فالعزم بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله سبحانه بصدق الابتهاال والدعاء لهم .
وللتائبين صفات وأحوال :

هى من خصالهم ، يعد ذلك^(١٢) من جملة التوبة ، لكونها من صفاتهم ، لا لأنها من شرط صحتها ، وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة :

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

التوبة على ثلاثة أقسام :

-
- | | |
|---|-------------------------------|
| (١) الحالة التي فتر عنها . | (٧) يداوى . |
| (٢) عودة إلى ما كان عليه قبل التوبة . | (٨) جروح . |
| (٣) وفي نسخة « التوبة » . | (٩) إثم . |
| (٤) وفي نسخة ضيعه . | (١٠) وفي نسخة في . |
| (٥) وفي نسخة « ويستبدل » . | (١١) والأولى أن يقول عنها . |
| (٦) أى الحسر . | (١٢) أى مجموعها . |

أولها التوبة ، وأوسطها الإنابة ، وآخرها الأوبة .
 فجعل التوبة بداية ، والأوبة نهاية ، والإنابة واسطتها .
 فكلُّ من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة .
 ومن تاب طمعاً في الثواب ، فهو صاحب إنابة .
 ومن تاب مراعاة للأمر^(١) لا للرغبة في الثواب أو رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة .
 ويقال أيضاً : التوبة صفة المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .

والإنابة : صفة الأولياء والمقرَّين ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾^(٣) .
 والأوبة : صفة الأنبياء والمرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٤) .
 سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمي ، يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول :
 التوبة على ثلاثة معان :

أولها : الندم ، والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه ،
 والثالث السعى في أداء المظالم .

وقال سهل بن عبدالله : التوبة : ترك التسويف .
 سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي ، يقول : سمعت أبا عبدالله القرشي يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت الحارث يقول :
 ما قلت قط ، اللهم إنا أسألك التوبة ، ولكني أقول : أسألك شهوة التوبة .
 أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي ، رحمه الله قال : سمعت أبا عبدالله بن مصلح ، بالأهواز يقول . سمعت ابن زيري يقول : سمعت الجنيد يقول :
 دخلت على السري يوماً فرأيت متغيراً ، فقلت له : مالك ؟ .

(١) أي لامتناله .

(٢) آية ٣١ من سورة النور .

(٣) آية ٣٣ من سورة ق .

(٤) آية ٣٠ من سورة ص و ٤٤ من سورة ص أيضاً .

فقال : دخل عليّ شاب فسألني عن التوبة ، فقلت له : أن لا تنسى ذنبك !! . فعارضني ، وقال : بل التوبة أن تنسى ذنبك .

فقلت : إن الأمر عندي ما قاله الشاب .

فقال : لم ؟ قلت : لأنني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء ؛ فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء . فسكت .

سمعت أبا حاتم السجستاني ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا نصر السراج الصوفي يقول سئل سهل ابن عبد الله عن التوبة ، فقال : أن لا تنسى ذنبك .

وسئل الجنيد عن التوبة فقال : أن لا تنسى ذنبك .

قال أبو نصر السراج : أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين ، تارة لهم ، وتارة عليهم ، فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ، ودوام ذكره .

قال : وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة ، فقال :

هي التوبة من التوبة .

وسئل ذو النون المصري عن التوبة فقال :

توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة .

وقال أبو الحسين النوري : التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي بن محمد التميمي

يقول : شتان ما بين تائب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات .

وقال الواسطي :

التوبة النصوح^(١) لا تبقى على صاحبها أثراً من المعصية سرا ولا جهراً ومن كانت توبته

نصوحاً لا يبالي كيف أمسى أو أصبح .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل الهاشمي

يقول : سمعت محمد بن الرومي يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول :

إلهي ، لا أقول تبت ، ولا أعود لما أعرف من خلقي ، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفي ، ثم إنني أقول : لا أعود لعل أن أموت قبل أن أعود .

وقال ذو النون : الاستغفار من غير إقلاع توبة الكاذبين .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت النصر إباذي يقول : سمعت ابن يزدانيار يقول : وقد سئل عن العبد إذا خرج إلى الله على أي أصل يخرج ؟

فقال : على أن لا يعود إلى ما منه خرج ، ولا يراعى غير^(١) من إليه خرج ، ويحفظ سرّه عن ملاحظة ماتبراً منه .

ف قيل له : هذا حكم من خرج عن وجود ، فكيف حكم من خرج عن عدم ؟ .

فقال : وجودُ الخلاوة في المستأنف^(٢) عوضاً عن المראה في السالف .

وسئل البوشنجي عن التوبة فقال :

إذا ذكرتَ الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره ، فهو التوبة .

وقال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت ، حتى لا يكون لك

قرار .. ثم تضيق عليك نفسك ، كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾^(٣) .

وقال ابن عطاء :

التوبة : توبتان : توبة الإنابة ، وتوبة الاستجابة .

فتوبة الإنابة : أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته .

وتوبة الاستجابة : أن يتوب حياءً من كرمه :

وقيل لأبي حفص : لم يبغض التائب الدنيا ؟ .

قال : لأنها دار باشر فيها الذنوب .

ف قيل له : فهي أيضاً دار أكرمه الله فيها بالتوبة ؟ .

فقال : إنه من الذنب على يقين ، ومن قبول توبته على خطر^(٤) .

(١) وفي نسخة إلا .

(٢) أي المستأنف .

(٣) آية ١١٧ من سورة التوبة .

(٤) وفي نسخة « التوبة » .

وقال الواسطي : طرب داود عليه السلام ، وما هو فيه من حلاوة الطاعة أوقعه في أنفاس متصاعدة^(١) ، وهو في الحالة الثانية^(٢) أتم منه في وقت ما ستر عليه من أمره .

وقال بعضهم : توبة الكذابين على أطراف ألسنتهم يعني قول « أستغفر الله » .

وسئل أبو حفص عن التوبة ، فقال :

ليس للعبد في التوبة شيء !! لأن التوبة إليه ، لا منه .

وقيل : أوحى الله سبحانه ، إلى آدم : يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب ، وورثتهم التوبة ، من دعاني منهم بدعوتك ليبتئته كتليبتك ، يا آدم أحشر التائبين ، من القبور مستبشرين ضاحكين ، ودعاؤهم مستجاب .

وقال رجل لرابعة : إني أكثر من الذنوب والمعاصي ، فلو تبت هل يتوب علي ؟ فقالت : لا بل لو تاب عليك لتبت .

وأعلم^(٣) أن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٤) .

ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين ، فإذا تاب ، فإنه من القبول على شك ، لا سيما إذا كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقاً لمحبة الحق وإلى^(٥) أن يبلغ العاصي محلاً يجدر في أوصافه أمانة محبة الله إياه مسافة بعيدة ، فالواجب إذن على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الإنكسار ، وملازمة التنصل والاستغفار ، كما قالوا : « استشعار الوجع إلى الأجل » ، وقال عز من قائل : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٦) . وكان من سنته ﷺ : دوام الاستغفار ، وقال : ﷺ : « إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة » .

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول : سمعت الحسين بن علي يقول : سمعت محمد بن أحمد يقول : سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت يحيى بن معاذ يقول :

زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها :

(١) أى حزن طويل .

(٢) وفي نسخة ، وهو على حالته الثانية : وهي حالة حزنه .

(٣) وفي نسخة قال الأستاذ رضى الله عنه : وأعلم .

(٤) آية ٢٢٢ من سورة البقرة .

(٥) أى والمسافة من حين التلبس بالمعصية إلى أن يبلغ المحل .

(٦) آية ٣١ سورة آل عمران .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا عبدالله الرازى يقول : سمعت أبا عثمان يقول
 فى قوله عزوجل ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾^(١) قال : رجوعهم ، وإن تمادى بهم الجولان فى
 المخالفات .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا
 عمرو الأنماطى يقول : ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون :
 من هذا ؟ من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق :
 إلى متى تقولون من هذا ؟ من هذا ؟! هذا عبد سقط من عين الله^(٢) فابتلاه الله بما ترون .
 فسمع على بن عيسى ذلك ، فرجع إلى منزله واستغنى عن الوزارة ، وذهب إلى مكة وجاور
 بها .

(١) آية ٢٥ من سورة الغاشية .

(٢) أى من حفظه .

باب المجاهدة

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) .
أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال :
أخبرنا العباس بن الفضل الإسقاطي ، قال : أخبرنا ابن كاسب قال أخبرنا ابن عيينة ، عن
علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : « سئل رسول الله ﷺ ، عن
أفضل الجهاد ، قال : « كلمة عدل عند سلطان جائر »^(٢) فدمعت عينا أبي سعيد .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا
فِينَا ، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^(٣) .

واعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول : من ظن
أن يفتح له شيء من هذه الطريقة ، أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو في
غلط .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

من لم يكن له في بدايته قومة ، لم يكن له في نهايته جلسة .
وسمعت أيضاً يقول :

قولهم الحركة بركة : حركات الظواهر توجب بركات السرائر .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت الحسين بن
علويه يقول : قال أبو يزيد البسطامي :

كنت ثنتي عشرة سنة حداداً نفسي^(٤) وخمس سنين كنت مرآة قلبي ، وسنة أنظر فيها بينها ،

(١) آية ٦٩ من سورة العنكبوت :

(٢) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد ، وأحمد والطبراني والنسائي عن غيره بلفظ كلمة حق .

(٣) آية ٦٩ من سورة العنكبوت .

(٤) يقصد أنه في بدء أمره كان يجاهد نفسه كما يجاهد الحداد في طرق الحديد وتشكيله وفق ما يريد .

فإذا في وسطى زُناراً^(١) ظاهر ، فعملت في قطعه ثنتي عشرة سنة .
ثم نظرت ، فإذا في باطنى زُناراً^(٢) فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فكشف لى ،
فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات .
سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت
جعفرًا يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول :
يا معشر الشباب ، جدوا قبل أن تبلغوا مبلغى فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت :
وكان في ذلك الوقت^(٣) لا يلحقه الشباب العبادة .
وسمعت يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت عبدالعزيز النجرانى يقول : سمعت
الحسن القزاز يقول :
بنى هذا الأمر^(٤) على ثلاثة أشياء :
أن لا تأكل إلا عند الفاقة ، ولا تنام إلا عند الغلبة ، ولا تتكلم إلا عند الضرورة .
وسمعت يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت محمد بن حامد يقول : سمعت
أحمد بن خضويه يقول : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول :
لن ينال الرجل درجة الصالحين ، حتى يجوز ست عقبات :
أولها : أن يغلق باب النعمة ، ويفتح باب الشدة .
والثانى : أن يغلق باب العز ، ويفتح باب الذل .
والثالث : أن يغلق باب الراحة ، ويفتح باب الجهد .
والرابع : أن يغلق باب النوم ، ويفتح باب السهر .
والخامس : أن يغلق باب الغنى ، ويفتح باب الفقر .
والسادس : أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت .
سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد
يقول : من كرمته عليه نفسه هان عليه دينه !! .

(١) خيط غليظ يشد به الذمى وسطه ويتمنطق به تمييزاً له من المسلم .

(٢) يقصد ما وجده في نفسه من استحسانه لأعماله وإعجابه بها فكان ذلك الإعجاب علامة الباطل كالزئار علامة الذمى .

(٣) وفي نسخة « السن » .

(٤) أى علم التصوف .

وسمعه يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت أبا على الروذباري يقول : إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع ، فألزمه السوق ، وأمره بالكسب .
واعلم أن أصل المجاهدة وملاكها^(١) : فطم النفس عن المألوفات ، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات .

وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير : انهماك في الشهوات ، وامتناع عن الطاعات فإذا جمحت عند ركوب الهوى وجب كبجها بلجام التقوى ، وإذا حرنت عند القيام بالموافقات يجب سوقها على خلاف الهوى ، وإذا ثارت عند غضبها ، فمن الواجب مراعاة حالها ، فما من منازل^(٢) أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن ، وتحمد نيرانه برفق ، فإذا استحلّت شراب الرعونة فضاحت ، إلا عن إظهار مناقبها والتزين لمن ينظر إليها ويلاحظها ، فمن الواجب كسر ذلك عليها ، وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها ، وخساسة أصلها ، وقذارة فعلها .

وجهد العوام في توفية الأعمال وقصد الخواص إلى تصفية الأحوال فإن مقاساة الجوع والسهل سهل يسير ، ومعالجة الأخلاق والتنقي^(٣) من سفافها^(٤) صعب شديد .
ومن غوامض آفات النفس : ركونها إلى استجلاء^(٥) المدح ، فإن من تحسى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفرة من أسفاره^(٦) .
وأمانة ذلك : أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب^(٧) آل حاله إلى الكسل والفشل .

وكان بعض المشايخ يصل في مسجده في الصف الأول سنين كثيرة ، فعاقه يوما عن الابتكار إلى المسجد عائق ، فصلّى في الصف الأخير ، فلم ير بعد ذلك مدة ، فسئل عن السبب ، فقال : كنت أقضي صلاة كذا ، وكذا سنة صليتها وعندى أنى مخلص فيها لله ، فداخلى يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس إياى في الصف الأخير نوع خجل ، فعلمت أن نشاطى طول عمرى إنما كان رؤيتهم فقضيت صلواتى .

(١) ملاك الأمر بالكسر : قوامه .

(٢) نزول في مرتبة .

(٣) وفي نسخة والترقى .

(٤) سفافها : أى دنيتها .

(٥) وفي نسخة استجلاء .

(٦) أى أطراف أجفانه .

(٧) أى نصيبه من المدح .

ويحكى عن أبي محمد المرتعش ، أنه قال :

حجبت كذا ، وكذا حجة على التجريد^(١) ، فبان لى أن جميع ذلك كان مشوباً بحظي ؛ وذلك : أن والدق سألتنى يوماً أن أستقى لها جرّة ماء فتقل ذلك على نفسى ، فعلمت أن مطاوعة نفسى فى الحجبات كانت لحظ ، وشوب لنفسى ، إذ لو كانت نفسى فانية^(٢) لم يصعب عليها ما هو حق فى الشرع .

وكانت امرأة قد طعنت فى السن ، فسئلت عن حالها ، فقالت :

كنت فى حال الشباب أجد من نفسى نشاطاً وأحوالاً ؛ أظهرها قوة الحال ، فلما كبرت زالت عنى ، فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب ، فتوهمتها أحوالاً .

سمعت الشيخ أبا على الدقاق يقول :

ما سمع هذه الحكاية أحد من الشيوخ إلا رقّ لهذه العجوز ، وقال : إنها كانت منصفه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول : سمعت يوسف ابن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول :

ما أعز الله عبداً يعز هو أعز له من أن يدلّه على ذل نفسه ، وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه .

وسمعت يقول : سمعت محمد بن عبدالله الرازى يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول : ما هالنى شيء إلا ركبته^(٣) .

وسمعت يقول : سمعت عبدالله الرازى يقول : سمعت محمد بن الفضل يقول ، الراحة : هو الخلاص من أمانى النفس .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة :

سقم الطبيعة ، وملازمة العادة ، وفساد الصحة .

فسألته : ما سقم الطبيعة ؟

فقال : أكل الحرام .

(١) أى لا أخذ زاداً ولا راحلة مقياساً فيها الجوع والتعب .

(٢) أى عن حظها .

(٣) أى ما أفزعنى شيء يجوز الشرع من سهر أو جوع أو نحو ذلك من ألوان المجاهدة إلا فعلته ومارسته .

فقلت : ما ملازمة العادة ؟

فقال : النظر ، والاستمتاع بالحرام ، والغيبة .

قلت : فما فساد الصحبة ؟

قال : كلما هاجت في النفس الشهوة تبتعتها .

وسمعه يقول : سمعت النُّصْرَابَاذِي يقول :

سجنك نفسك . فإذا خرجت منها وقعت في راحة أبدية^(١) .

وسمعه يقول : سمعت محمد الفراء يقول : سمعت أبا الحسين الورَّاق يقول :

كان أجل أحكامنا في مبادئ أمرنا في مسجد أبي عثمان الحيري الإيثَارُ بما يفتح علينا ، وأن لا نبیت على معلوم ، ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لأنفسنا ، بل نعتذر إليه ، ونتواضع له ، وإذا وقع في قلوبنا حقارة لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول .

وقال أبو حفص : النفس ظُلْمَةٌ كلها ، وسراجها سرها ، ونور سراجها التوفيقُ ، فمن لم يصحبه في سرِّه^(٢) توفيق من ربه كان ظلمة كله .

قال الأستاذ الإمام القشيري :

معنى قوله « سراجها سرها » يريد : سرُّ العبد الذي بينه وبين الله تعالى ، وهو محل إخلاصه ، وبه يعترف العبد أن الحادثات بالله لا بنفسه ولا من نفسه ؛ ليكون متبرئاً من حوله وقوته على استدامة أوقاته ، ثم بالتوفيق يعتصم من شرور نفسه ، فإن من لم يدركه التوفيق لم ينفعه علمه بنفسه ، ولا بره ، ولهذا قال الشيوخ : من لم يكن له سر فهو مُصْرًا^(٣) .

وقال أبو عثمان : لا يرى أحد عيب نفسه وهو مستحسن من نفسه شيئاً ، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال .

وقال أبو حفص : ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه ، فإن المعاصي يريد^(٤) الكفر .

وقال أبو سليمان : ما استحسن من نفسي عملاً فاحتسبت^(٥) به .

وقال السري : إياكم وجيران الأغنياء ، وقرءاء الأسواق ، وعلماء الأمراء :

وقال ذو النون المصري : إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء :

(١) وفي نسخة إلى الابد .

(٤) طريق .

(٢) أى معاملته لربه .

(٥) فاعتدلت .

(٣) أى على المخالفات .

- الأول : ضعف النية بعمل الآخرة .
- والثاني : صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم .
- والثالث : غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل .
- والرابع : آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق .
- والخامس : اتبعوا أهواءهم ونبدوا سنة نبيهم ﷺ ، وراء ظهورهم .
- والسادس : جعلوا قليل زلّات السلف حجة لأنفسهم ، ودفنوا كثير مناقبهم .

باب الخلوة والعزلة

أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصرى ، قال : حدثنا عبدالعزيز بن معاوية قال : حدثنا القعنبي قال : حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه ، عن بعة بن عبدالله بن بدر الجهني ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من خير معاش الناس كلهم رجلاً آخذاً بعنان فرسه في سبيل الله ، إن سمع فزعة أو هيعة كان على متن^(١) فرسه يبتغي الموت أو القتل في مظانه ، أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة^(٢) من هذه الشعاف ، أو في بطن واد من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربّه حتى يأتيه اليقين^(٣) ، ليس من الناس إلا في خير^(٤) .

قال الأستاذ :

الخلوة : صفة أهل الصفوة والعزلة : من أمارات الوصلة .

ولابد للمريد - في ابتداء حاله - من العزلة عن أبناء جنسه ، ثم في نهايته - من الخلوة ؛ لتحقيقه بأنسه .

ومن حقّ العبد - إذا أثر العزلة - أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق ، فإن الأول من القسمين : نتيجة استصغار نفسه ، والثاني . شهود مزيته على الخلق ، ومن استصغر نفسه فهو متواضع ، ومن رأى لنفسه مزية على أحد ، فهو متكبر .

ورؤى بعض الرهبان ، فقليل له : إنك راهب .

فقال . لا ، بل أنا حارس كلب^(٥) : إن نفسى كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ، ليسلموا منها .

ومرّ إنسان ببعض الصالحين ؛ فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه ، فقال له الرجل :

لم تجمع عنى ثيابك ، ليست ثيابي نجسة ؟

(٤) رواه مسلم بنحوه .

(٥) يقصد نفسه .

(١) ظهر .

(٢) رأس الجبل .

(٣) الموت .

فقال الشيخ : وهبت في ظنك ، ثيابي هي النجسة . جمعتها عنك ؛ لئلا تنجس ثيابك ، لا لكي لا تنجس ثيابي .
ومن آداب العزلة :

أن يحصل من العلوم ما يصحح به عقد توحيده ، لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه ، ثم يحصل من علوم الشرع ما يؤدي به فرضه ، ليكون بناء أمره على أساس محكم ، والعزلة في الحقيقة : اعتزال الخصال المذمومة فالتأثير^(١) لتبديل الصفات ، لا للتثاني عن الأوطان ، ولهذا قيل : من العارف ؟ قالوا : كائن بائن ، يعني : كائن مع الخلق ، بائن عنهم بالسر . سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

البس مع الناس ما يلبسون ، وتناول مما يأكلون ، وانفرد عنهم بالسر^(٢) .
وسمعت يقول : جاءني إنسان ، وقال : جئتكم من مسافة بعيدة فقلت : ليس هذا الحديث^(٣) من حيث قطع المسافة^(٤) ومقاساة الأسفار فارق نفسك ولو بخطوة ، فقد حصل مقصودك . ويحكى عن أبي يزيد قال : رأيت ربي عزوجل في المنام ، فقلت : كيف أجذك ؟ فقال : فارق نفسك وتعال .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول : من اختار الخلوة على الصحة ينبغي أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، وخالياً من جميع الإرادات إلا رضا ربه ، وخالياً من مطالبة النفس من جميع الأسباب ، فإن لم يكن بهذه الصفة ، فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية .

وقيل : الانفراد في الخلوة أجمع لدواعي السلوة .

وقال يحيى بن معاذ : انظر : أنسك بالخلوة ، أو أنسك معه في الخلوة ، فإن كان أنسك بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها ، وإن كان أنسك به في الخلوة استوت لك الأماكن في الصحارى والبرارى .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت محمد بن حامد يقول : جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق ، فلما أراد أن يرجع ، قال له : أوصني ، فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ، وشرهما في الكثرة والاختلاط .

(٣) أى حصول علم الصوفية .

(٤) وفي نسخة المسافات .

(١) أى تأثير العزلة .

(٢) أى فيها بينك وبين الله .

وسمعه يقول : سمعت منصور بن عبدالله يقول : سمعت الجريري وقد سئل عن العزلة ، فقال : هي الدخول بين الزحام وتمتع^(١) شرك أن لا يزاحموك ، وتعزل نفسك عن الآثام ، ويكون شرك مربوطا بالحق .

وقيل : من أثر العزلة^(٢) حصل العزلة^(٣) .

وقال سهل : لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله .

وقال ذو النون المصري : لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة .

وقال أبو عبدالله الرملي :

ليكن خدتك^(٤) الخلوة ، وطعامك الجوع ، وحديثك المناجاة فيما أن تموت ؛ وإما أن تتصل بالله سبحانه .

وقال ذو النون : ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة ، كمن احتجب عنهم بالله .

سمعت أبا عبدالرحمن السلمي يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت جعفر بن

نصير يقول : سمعت الجنيد يقول :

مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة .

وقال مكحول : إن كان في مخالطة الناس خير فإن في العزلة السلامة .

وقال يحيى بن معاذ : الوحدة جليس الصديقين .

سمعت الشيخ أبا علي الدقاق^(٥) يقول : سمعت الشبلي يقول :

الإفلاس .. الإفلاس يا ناس .

فقليل له : يا أبا بكر ، ما علامة الإفلاس ؟

قال : من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس .

وقال يحيى بن أبي كثير : من خالط الناس داراهم ، ومن داراهم راياهم^(٦) .

(١) وفي نسخة « وتمتظ » .

(٢) أى فراغ القلب عن الشواغل ولو مع الاختلاط .

(٣) أى فراغ القلب من الناس لامتلائه بآفه .

(٤) أى رفيقك .

(٥) في نسخة سمعت أبا عبدالرحمن يقول : سمع أبو بكر الشبلي يقول :

(٦) من المراءاة وهي المداهة .

وقال شعيب بن حرب . دخلت على مالك بن مسعود بالكوفة ، وهو في داره وحده ، فقلت له : أما تستوحش وحدك ؟

فقال : ما كنت أرى^(١) أن أحداً يستوحش مع الله .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عمرو الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول :

من أراد أن يسلم له دينه ، ويستريح بدنه وقلبه ، فليعتزل الناس ، فإن هذا زمان وحشة ، والعاقل من اختار فيه الوحدة .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : قال أبو يعقوب السوسى : الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء ، ولأمثالنا : الاجتماع أوفر وأنفع ، يعمل بعضهم على رؤية بعض^(٢) .

وسمعته يقول : سمعت أبا عثمان سعيد بن أبى سعيد يقول : سمعت أبا العباس الدامغانى يقول : أوصانى الشبلى ، فقال :

الزم الوحدة ، وامح اسمك عن القوم ، واستقبل الجدار^(٣) حتى تموت .
وجاء رجل إلى شعيب بن حرب ، فقال له : ما جاء بك ؟
فقال أكون معك .

قال : يا أخى ، إن العبادة لا تكون بالشركة ، ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشيء ، حكى أن بعضهم قيل له : ما أعجب ما لقيت في سياحتك ؟

فقال لهم : لقيت الخضر ، فطلب منى الصحبة : فخشيت أن يفسد على توكلى .
وقيل لبعضهم : هل هنا أحد تستأنس به ؟

فقال : نعم ومد يده إلى مصحفه ووضعه في حجره ، وقال : هذا .
وفى معناه أنشدوا :

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى
وفيها شفاء للذى أنا كاتم

(١) أى أظن .

(٢) فتدفعهم الرؤية للعمل .

(٣) القيلة .

وقال رجل لذي النون المصرى .

متى تصح لى العزلة ؟

فقال : إذا قويت على عزلة نفسك^(١) .

وقيل لابن المبارك : ما دواء القلب ؟

فقال : قلة الملاقاة للناس .

وقيل : إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه

بالقناعة وبصره بعيوب نفسه ، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة .

(١) وعزلتها بفارقة أخلاقها الذميمة .

باب التقوى

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(١) .

وأخبرنا أبو الحسين على بن أحمد بن عبدان ، قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال :
أخبرنا محمد بن الفضل بن جابر قال : حدثنا ابن عبد الأعلى القرشي ، قال : حدثنا يعقوب
العمى ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد الخدري قال :
جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال :

يا نبي الله ، أوصني .

فقال : عليك بتقوى الله ؛ فإنه جماع^(٢) كل خير ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية^(٣) المسلم ،
وعليك بذكر الله ، فإنه نور لك^(٤) .

وأخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، قال أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال : أخبرنا عباس بن
المفضل الإسقاطي ؛ قال : حدثنا أحمد بن يونس قال :

حدثنا أبو هرمز نافع بن هرمز ، قال : سمعت أنسا رضى الله عنه ؛ يقول : « قيل يا نبي
الله من آل محمد ؟ قال : كل تقى^(٥) » .

فالتقوى جماع الخيرات .

وحقيقة الاتقاء^(٦) التحرز بطاعة الله عن عقوبته ؛ يقال : اتقى فلان بترسه .

وأصل التقوى : اتقاء الشرك ؛ ثم بعده : اتقاء المعاصي والسيئات ، ثم اتقاء الشبهات ؛
ثم يدع بعده الفضلات^(٧) .

كذلك سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ؛ يقول ، سمعته يقول :

(١) آية ١٣ من سورة الحجرات .

(٢) أى يجمع خيري الدنيا والآخرة .

(٣) أى شعاره وانقطاعه للعبادة .

(٤) رواه أبو يعلى فى مسنده بسند ضعيف .

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف .

(٦) وفى نسخة التقوى .

(٧) أى : الفضول ؛ وفى نسخة تدع .

ولكل قسم من ذلك باب ، وجاء في تفسير قوله عز وجل : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ ^(١) إن معناه : أن يطاع فلا يعصى ؛ ويُذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمى يقول : سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول : سمعت أحمد بن عاصم يقول : سمعت سهل بن عبدالله يقول : لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليه ^(٢) .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الكتانى يقول : قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الآخرة على التقوى ؛ وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الجريرى يقول : من لم يُحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة . وقال النصراباذى :

التقوى : أن يتقى العبد ما سوى الله عز وجل .
وقال سهل :
من أراد أن تصح ^(٣) له التقوى فليترك الذنوب كلها .

وقال النصراباذى :

من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا ، لأن الله سبحانه يقول : ﴿ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفْلاً تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) .

وقال بعضهم : من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا .

وقال أبو عبدالله الروذبارى :

التقوى : مجانبة ما يبعدك عن الله .

(١) آية ١٠٢ من سورة آل عمران .

(٢) أى على العمل .

(٣) وفى نسخة يفتح .

(٤) آية ٣٢ من سورة الأنعام .

وقال ذو النون المصري :

التقى : من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ، ولا باطنه بالعلالات^(١) ويكون واقفاً مع الله موقف الاتفاق .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي يقول : سمعت ابن عطاء يقول :

للتقوى ظاهر وباطن ، فظاهره : محافظة الحدود . وباطنه النية والإخلاص .

وقال ذو النون :

ولا عيش^(٢) إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبه كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وقيل : يستدل على تقوى الرجل بثلاث :

حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر على ما قد فات .

وقال طلق بن حبيب :

التقوى : عمل بطاعة الله على نور من الله ، مخافة عقاب الله .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، يقول : سمعت محمداً الفراء يحكى عن أبي حفص^(٣) : أنه قال : التقوى بالحلال المحض ، لا غير .

وسمعه يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت أبا الحسين الزنجاني يقول : من كان رأس ماله التقوى كلَّت الألسنُ عن وصف ربحه .

وقال الواسطي :

التقوى : أن يتقى من تقواه ، يعنى : من رؤية تقواه . والمتقى مثل ابن سيرين ؛ اشترى أربعين حباً^(٤) سمنا ، فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله : من أى حب أخرجتها ؟ فقال لا أدري !! فصبها كلها على الأرض .

ومثل ابن يزيد^(٥) :

اشترى همدان حب القرطم ، ففضل منه شيء ، فلما رجع إلى « بسطام » رأى فيه غمليتين ، فرجع إلى همدان فوضع النملتين .

(٤) بضم أوله : أى خابية .

(٥) البسطامي .

(١) وهى ما تعللت به .

(٢) المراد بالعيش الهنيء .

(٣) وفى نسخة جعفر .

ويحكى أن أبا حنيفة كان لا يجلس في ظل شجرة غريمة . ويقول : قد جاء في الخبر : « كلُّ قرض جر نفعا فهو ربا » .

وقيل : إن أبا يزيد غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له .

فقال له صاحبه : تعلق الثوب في جدار^(١) الكرم .

فقال لا ، لا تغرز التود في جدار الناس .

فقال : نعلقه في الشجر .

فقال : لا ، إنه يكسر الأغصان .

فقال : نبسطه على الأذخر^(٢) .

فقال : لا ؛ إنه علف الدواب ، لا نستره عنها .

فولى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره ، حتى جف جانب ، ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر .

وقيل : إن أبا يزيد دخل يوما الجامع ، فغرز عصاه في الأرض فسقطت ، ووقعت على عصا شيخ بجنبه ركز عصاه في الأرض ، فألقته ، فأنحنى الشيخ وأخذ عصاه ، فمضى أبو يزيد إلى بيت الشيخ واستحل^(٣)ه ، وقال :

كان السبب في انحنائك تفريطي في غرز عصاي ، حيث احتجت إلى أن تنحنى . وروى عتبة الغلام بكان يتصبب عرقا في الشتاء ، فقيل له في ذلك .

فقال : إنه مكان عصيت فيه ربي !! .

فسئل عنه فقال :

كشطت من هذا الجدار قطعة طين ، غسل بها ضيف لى يده ، ولم أستحل من صاحبه . وقال إبراهيم بن أدهم :

بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس ؛ فلما كان بعض الليل نزل ملكان ، فقال أحدهما لصاحبه : من ها هنا ؟

(١) وفي نسخة جدران .

(٢) نبت تأكله السائمة .

(٣) رجاه أن يسامحه .

فقال الآخر : إبراهيم بن أدهم .

فقال : ذاك الذى حط الله سبحانه درجة من درجاته .

فقال : لم ؟

قال : لأنه اشترى بالبصرة تمرًا ، فوَقعت تمرًا على تمر من تمر البقال ، فلم يردها على صاحبها .

قال إبراهيم : فمضيت إلى البصرة ، واشتريت التمر من ذلك الرجل ، وأوَقعت تمرًا على تمر ، ورجعت إلى بيت المقدس ، وبِت في الصخرة .

فلما كان بعض الليل ، إذ أنا بملكين^(١) نزلا من السماء .

فقال أحدهما لصاحبه : من ها هنا ؟

فقال الآخر : إبراهيم بن أدهم : فقال : ذلك الذى رد الله مكانه ، ورفُعت درجته .

وقيل : التقوى على وجوه :

للعامة : تقوى الشرك ، وللخاصة^(٢) : تقوى المعاصى ، وللأولياء : تقوى التوسل بالأفعال ، وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال ؛ إذ تقواهم منه إليه .

وعن أمير المؤمنين على ، رضى الله عنه ، قال

سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء .

أخبرنا على بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أبو الحسن البصرى قال : أخبرنا بشر بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن عبدالله بن المبارك ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبيدالله بن رحو ، عن على بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ عن النبي ﷺ أنه قال : « من نظر إلى محاسن امرأة ففُض بصره في أول مرة ، أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه »^(٣) .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس محمد بن الحسين ، يقول : سمعت محمد ابن عبدالله الفرغانى يقول : كان الجنيد جالسًا مع رويم ، والجريرى ، وابن عطاء ، فقال الجنيد :

(١) وفي نسخة : بالملكين .

(٢) وفي نسخة للخواص .

(٣) رواه أحمد .

ما نجا من نجا إلا لصدق اللجا^(١) ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾^(٢) .. الآية .

وقال رويم ، رحمه الله : ما نجا من نجا إلا بصدق التقى ، قال تعالى : ﴿ وَنُجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ .. ﴾^(٣) .

وقال الجريري : ما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء^(٤) ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾^(٥) .

وقال ابن عطاء : ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء من الله قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾^(٦) .

وقال الأستاذ الإمام^(٧) : ما نجا من نجا إلا بالحكم والقضاء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ﴾^(٨) الآية .

وقال أيضاً : ما نجا من نجا إلا بما سبق له من الاجتباء ، قال الله تعالى : ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٩) .

(٦) آية ١٤ من سورة العلق .

(٧) أبو القاسم القشيري .

(٨) آية ١٠١ من سورة الأنبياء .

(٩) آية ٨٧ من سورة الأنعام .

(١) أى الالتجاء .

(٢) آية ١١٨ من سورة التوبة .

(٣) آية ٦١ سورة الزمر .

(٤) أى بالعهود .

(٥) آية ٢٠ من سورة الرعد .

باب الورع

أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى ، قال : حدثنا محمد ابن داود بن سليمان الزاهد قال أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة ، قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر الخراساني . قال : حدثنا يحيى بن العيزار قال : حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، عن سفيان ، عن الأجلح ، عن عبد الله بن بريده ، عن أبي الأسود اللؤلؤي ، عن أبي ذرٍّ قال : قال رسول الله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »^(١) .

قال الأستاذ الإمام رضى الله عنه : أما الورع ، فإنه : ترك الشبهات . كذلك قال إبراهيم بن أدهم : الورع ترك كل شبهة ، وترك ما لا يعينك^(٢) هو ترك الفضلات .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام » . وقال ﷺ لأبي هريرة : « كن ورعاً تكن أعبد الناس »^(٣) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى يقول : كان أهل الورع في أوقاتهم أربعة :

حذيفة المرتضى^(٤) ، ويوسف بن أسباط ، وإبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخواص ، فنظروا في الورع ، فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل^(٥) .

وسمعت يقول : سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول : سمعت الشبلبي يقول : الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى .

(١) رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما بسند صحيح .
(٢) أى والمراد بترك ما لا يعنى في الحديث السابق لرسول الله ﷺ هو ترك الفضلات أى ما لاتدعو إليه حاجة دينية وترك المحرم والمكروه ما فيه شبهة .

(٣) البيهقى في الشعب بسند ضعيف .

(٤) في نسخة . المرعى .

(٥) أى فلما بالغوا في تقصى الحلال من كسبهم ، ولم يقدروا على صفاته لجئوا حسب إمكانهم إلى القليل الصافى من ذلك الكسب .

وسمعه يقول : أخبرنا أبو جعفر الرازي قال : حدثنا العباس بن حمزة قال : حدثنا أحمد ابن أبي الخوارى قال : حدثنا إسحق بن خلف ؛ قال :

الورع ، المنطق : أشد منه في الذهب والفضة ، والزهد في الرياسة : أشد منه في الذهب والفضة ، لأنك تبدلها في طلب الرئاسة .

وقال أبو سليمان الداراني : الورع : أول الزهد ، كما أن القناعة : طرف من الرضا . وقال أبو عثمان : ثواب الورع خفة الحساب .

وقال يحيى بن معاذ : الورع : الوقوف على حد العلم من غير تأويل .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت محمد بن داود الدينوري يقول . سمعت عبد الله بن الجلاء يقول :

أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته^(١) ، ورشائه^(٢) ، ولم يتناول من طعام جلب من مصر^(٣) .

وسمعه يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت علي بن موسى التاهري يقول : وقع من عبد الله بن مروان فلس في بئر قنرة ، فاكثرى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه ، ف قيل له في ذلك ، فقال : كان عليه اسم الله تعالى .

وسمعه يقول : سمعت أبا الحسن الفارسي يقول : سمعت بن علوية يقول : سمعت يحيى ابن معاذ يقول : الورع على وجهين :

ورع في الظاهر ؛ وهو : أن لا يتحرك إلا لله تعالى .

وورع في الباطن ، وهو : أن لا يدخل قلبك سوى الله تعالى .

وقال يحيى بن معاذ :

من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء .

وقيل : من دق في الدين نظره جل في القيامة خطره^(٤) .

وقال ابن الجلاء : من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام النص^(٥) .

(٤) قدره ومكانته .

(٥) الصرف .

(١) بدلوه .

(٢) حبله .

(٣) أى من المدن .

وقال يونس بن عبيد : الورع : الخروج عن كل شبهة ، ومحاسبة النفس في كل طرفة^(١) .
وقال سفيان الثوري : ما رأيت أسهل من الورع : ما حاك^(٢) في نفسك^(٣) تركته ، وقال
معروف الكرخي : احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم .

وقال بشر بن الحارث : أشد الأعمال ثلاثة :
الجود في القلة ، والورع في الخلوة ، وكلمة الحق عند من يخاف منه ويرجى .
وقيل : جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل وقالت :
إنا نغزل على سطوحنا ، فتمر بنا مشاعل الظاهرية ، ويقع الشعاع علينا ، أفيجوز لنا
الغزل في شعاعها ؟ .

فقال أحمد : من أنت ؟ عافاك الله تعالى .
فقالت : أخت بشر الحافي .
فبكى أحمد وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق ، لا تغزلي في شعاعها .
وقال على العطار : مررت بالبصرة في بعض الشوارع ، فإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون ،
فقلت : أما تستحون من هؤلاء المشايخ ؟ !

فقال صبي من بينهم : هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم .
وقيل : إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ، فلم يصح له أن يأكل شيئاً من تمر
البصرة ، ولا من رطبها ، حتى مات ولم يذقه ، وكان إذا انقضى وقت الرطب قال :
يا أهل البصرة ، هذا بطلى ما نقص منه شيء ولا زاد فيكم .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : ألا تشرب من ماء زمزم ؟
فقال : لو كان لي دلو لشربت منه .
سمعت الأستاذ أبا الدقاق يقول :
كان الحارث المحاسبي إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة ضربَ على رأس إصبعه عرق فيعلم
أنه غير حلال .

(١) لحظة .

(٢) تحرك .

(٣) ما تكره أن يطلع عليه الناس .

وقال : إن بشرًا الحافئ دعى إلى دعوة ، فوضع بين يديه طعام ، فجهد أن يمد يده إليه ، فلم تمتد ، ففعل ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل يعرف ذلك منه :
إن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الشيخ ؟!

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى الصوفى ، قال : سمعت عبد الله بن على بن يحيى التميمى قال سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول : سئل سهل بن عبد الله عن الحلال الصافى ، فقال : هو الذى لا يعصى الله تعالى فيه .

وقال سهل : الحلال الصافى : الذى لا ينسى الله تعالى فيه .
ودخل الحسن البصرى مكة ، فرأى غلامًا من أولاد على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس ، فوثب عليه الحسن وقال له :
ما ملاك الدين ؟ فقال : الورع . فقال له : فما آفة الدين ؟ فقال : الطمع ! فتعجب الحسن منه .

وقال الحسن : مثقال ذرة من الورع السالم^(١) خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة .
وأوحى الله سبحانه ، إلى موسى ، عليه الصلاة والسلام : لم يتقرب إلى المتقربون بمثل الورع والزهد .

وقال : أبو هريرة : جلساء الله تعالى غداً : أهل الورع والزهد .
وقال : سهل بن عبد الله : من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع !!
وقيل : حمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم ، فقبض على مشامه^(٢) .
وقال : إنما ينتفع من هذا بربحه ، وأنا أكره أن أجدر بريحه دون المسلمين .
وسئل أبو عثمان الحيرى عن الورع ، فقال :

كان أبو صالح حمدون عند صديق له ، وهو فى النزح ، فمات الرجل ، فنفت أبو صالح فى السراج ، فقبل له فى ذلك ، فقال :
إلى الآن كان الدهن له فى المرسجة ، ومن الآن صار للورثة . اطلبوا دهنا غيره .

(١) أى الخالص من الرياء والكبر .

(٢) أنفه .

وقال كهمس :

أذنبتُ ذنباً أبكى عليه منذ أربعين سنة ؛ وذلك : أنه زارني أخ لي ؛ فاشتريت لأجله بدائق سمكة مشوية ، فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار^(١) جار لي حتى غسل بها يده ولم أستحله .

وقيل : كان رجل يكتب رقعة ، وهو في بيت بكراء ، فأراد أن يُترب الكتاب من جدار البيت ، فخطر بباله أن البيت بالكراء .. ثم إنه خطر بباله أنه لا خطر لهذا ، فترب الكتاب ، فسمع هاتفاً يقول : سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غداً من طول الحساب !!

ورهن أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ، سطلا له عند يقال بمكة .
حرسها الله تعالى ، فلما أراد فكاهه أخرج البقال إليه سطلين ، وقال : خذ أيهما هو لك .
فقال أحمد أشكل عليّ سطلي ، فهو لك ، والدراهم لك .

فقال البقال : سطلك هذا ، وأنا أردت أن أجربك .
فقال : لا آخذه . ومضى . وترك السطل عنده .

وقيل : سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة ، وصلى صلاة الظهر ، فرتعت الدابة في زرع قرية سلطانية^(٢) ، فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها .
وقيل : رجع ابن المبارك من « مرو » إلى « الشام » في قلم^(٣) استعاره فلم يرده على صاحبه .

واستأجر النخعي دابة ، فسقط سوطه من يده ، فنزل ، وربط الدابة ، ورجع فأخذ السوط ، فقيل له : لو حولت الدابة إلى الموضع الذي سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك فقال : إنما استأجرتها لأمضي هكذا .. لا هكذا !.

وقال أبو بكر الدقاق :

تهت في تيه بني إسرائيل خمسة عشر يوماً .. فلما وافيت الطريق ، استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء ، فعادت قسوتها على قلبي وتأملت ثلاثين سنة .

وقيل : خاطت رابعة العدوية شقا في قميصها في ضوء مشعلة سلطان ، ففقدت قلبها^(٤) زماناً ، حتى تذكرت ، فشقت قميصها ، فوجدت قلبها .

(٣) أي بسبب .

(٤) أي حضوره .

(١) وفي نسخة من دار .

(٢) أي زرعت بأموال السلطان .

ورؤى سفيان الثوري في المنام ، وله جناحان يطير بهما في الجنة من شجرة إلى شجرة .
فقال له : يم نلت هذا ؟ : فقال : بالورع .

ووقف حسان بن أبي سنان على أصحاب الحسن ، فقال : أى شيء أشد عليكم ؟
فقالوا : الورع .

فقال : ولا شيء أخف على منه .

فقالوا : فكيف ؟

فقال : لم أرو من نهركم منذ أربعين سنة .

وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعا ، ولا يأكل سمينا ، ولا يشرب ماء باردًا ستين سنة ، فرؤى في المنام بعد موته ، فقال له : ما فعل الله بك ؟. فقال : خيرًا ، إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها .

وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين ، وتعبّد أربعين سنة : وكان في ابتداء أمره كيالًا ، فلما مات رؤى في المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟.

فقال : خيرًا ، غير أنى محبوس عن الجنة ، وقد أخرج^(١) على من غبار القفيز الذى اكلته أربعين قفيزًا^(٢) .

ومر عيسى ابن مريم : عليهما السلام بمقبرة ، فنادى رجلاً منها ، فأحياه الله تعالى :
فقال : من أنت ؟

فقال كنت حملاً أنقل للناس ، فنقلت لإنسان يوماً خطباً ، فكسرت منه خلالاً تخللت به فأنا مطالب به منذ مت .

وتكلم أبو سعيد الخراز في الورع .. فمر به عباس بن المهتدى ، فقال :

يا أبا سعيد ، أما تستحي ، تجلس تحت سقف أبى الدوانيق ، وتشرب من بركة زبيدة ،
وتتعامل بالدرهم المزيفة ، وتتكلم في الورع !؟

(١) أى أظهر الله .

(٢) القفيز : مكيال وذلك لأن الكيال إذا اكنال ما فيه تراب حصل التراب في أسفل الكيل ، فإن لم ينفذه في الحال واكنال به مرة أخرى تزايد التراب وحصل بواسطته في المدة الطويلة نقص كثير فيها يكال فحبس عنه الجنة بسبب ذلك .

باب الزهد

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني ، قال : أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ ببغداد ، قال : حدثنا جعفر بن مجاشع قال : حدثنا زيد بن إسماعيل قال : حدثنا كثير بن هشام قال : حدثنا الحكم بن هشام ، عن يحيى بن سعيد ، عن أفروة ، عن أبي خلاد - وكانت له صحبة - قال : قال النبي ﷺ :

« إذا رأيتم الرجل قد أوقى زهدًا في الدنيا ، ومنطقًا ، فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة »^(١) .

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم ، رحمه الله :

اختلف الناس في الزهد^(٢) ، فمنهم من قال .

الزهد في الحرام ، لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى ، فإذا أنعم الله على عبده بمال من حلال ، وتعبده بالشكر عليه ، فتركه له باختياره . لا يقدم^(٣) على إمساكه له بحق إذنه^(٤) .

ومنهم من قال : الزهد في الحرام واجب ، وفي الحلال فضيلة ، فإن إقلال المال - والعبد صابر في حاله ، راض بما قسم الله تعالى له ، قانع بما يعطيه - أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا فإن الله تعالى زهد الخلق في الدنيا بقوله : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾^(٥) وغير ذلك من الآيات الواردة في ذم الدنيا والتزهيد فيها .

ومنهم من قال : إذا أنفق العبد ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر ، وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه في حال العسر ، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم .

ومنهم من قال : ينبغي للعبد أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ، ولا طلب الفضول عما لا يحتاج إليه ويراعى القسمة ، فإن رزقه الله ، سبحانه وتعالى مالاً من حلال شكره ، وإن وقفه الله

(١) رواه ابن ماجه بنحوه وفيه ضعف .

(٢) لا من حيث معناه ، بل من متعلق حكمه .

(٣) أى فالأمر إلى سواء لا أولوية لأحدهما على الآخر فتركه مثل إمساكه في الفضيلة (العروسي) .

(٤) فلا يكون تركه زهدًا .

(٥) آية ٧٧ من سورة النساء .

تعالى ، على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال ، فالصبر أحسن بصاحب الفقر ، والشكر أليق بصاحب المال الحلال .

وتكلموا في معنى الزهد :

فكل نطق عن وقته ، وأشار إلى حده .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : حدثنا أحمد بن إسماعيل الأزدي قال : حدثنا عمران بن موسى الإسفنجي قال : حدثنا الدروقي قال : حدثنا وكيع قال : قال سفیان الثوري :

الزهد في الدنيا : قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ، ولا بلبس العباء .

وسمعت يقول : سمعت سعيد بن أحمد يقول : سمعت عباس بن عصام يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السري السقطي يقول :

إن الله سبحانه ، سلب الدنيا عن أوليائه ، وحماها^(١) عن أصفياه ، وأخرجها من قلوب أهل وداده ، لأنه لم يرضها لهم .

وقيل : الزهد من قوله^(٢) سبحانه وتعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾^(٣) .

فالزاهد لا يفرح بوجود من الدنيا ، ولا يتأسف على مفقود منها .

وقال أبو عثمان : الزهد : أن تترك الدنيا ثم لا تبالى بمن أخذها^(٤) .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول :

الزهد : أن تترك الدنيا كما هي ، لا تقول أبنى بها رباطاً أو أعمر مسجداً .

وقال يحيى بن معاذ : الزهد : يورث السخاء بالملك ، والحب يورث السخاء بالروح ، وقال

ابن الجلاء : الزهد : هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال ، لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها .

وقال ابن خفيف : علامة الزهد : وجود الراحة في الخروج عن الملك .

(١) أسكها .

(٢) أى مأخوذ

(٣) آية ٢٣ من سورة الحديد .

(٤) وفي نسخة : الزاهد : الذى يترك الدنيا ثم لا يبالى من أخذها .

وقال أيضًا : الزهد : سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدي من الأملاك .
وقيل الزهد : عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت النصر أباضى يقول :
الزاهد : غريب فى الدنيا ، والعارف غريب فى الآخرة .
وقيل : من صدق فى زهده أتمته الدنيا راغمة .
ولهذا قيل : لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت إلا على رأس من لا يريدتها .
وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد .
وقال أبو سليمان الدارنى : الصوف علم من أعلام الزهد ، فلا ينبغي للزاهد أن يلبس
صوفًا بثلاثة دراهم ، وفى قلبه رغبة خمسة دراهم .
وقد اختلف السلف فى الزهد^(١) :
فقال سفيان الثورى ، وأحمد بن حنبل ، وعيسى بن يونس ، وغيرهم : الزهد فى الدنيا :
إنما هو قصر الأمل .
وهذا الذى قالوه يحمل^(٢) على أنه من أمارات الزهد ، والأسباب الباعثة عليه والمعانى
الموجبة له .
وقال عبد الله بن المبارك : الزهد : هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر .
وبه قال شقيق البلخى ، ويوسف بن أسباط وهذا أيضًا من أمارات الزهد ، فإنه لا يقوى
العبد على الزهد ، إلا بالثقة بالله تعالى .
وقال عبد الواحد بن زيد : الزهد : ترك الدينار والدرهم^(٣) .
وقال أبو سليمان الدارنى : الزهد : ترك ما يشغل عن الله سبحانه وتعالى .
سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن على يقول : سمعت إبراهيم
ابن فاتك يقول : سمعت الجنيد يقول ، وقد سأله رويم عن الزهد ، فقال :
هو استصغار الدنيا ، ومحو آثارها من القلب .

(١) أى : فى حقيقته وأسبابه .

(٢) أى فى العرف .

(٣) وفى نسخة « ونحوها بقلبه » .

وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه^(١) ، ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه^(٢) .

وسئل الجنيد عن الزهد ، فقال : خلّو اليد من الملك ، والقلب من التبع .

وسئل الشبلي عن الزهد فقال : أن تزهد فيما سوى الله تعالى .

وقال يحيى بن معاذ :

لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال :

عمل بلا علاقة^(٣) ، وقول بلا طمع ، وعز بلا رياسة .

وقال أبو حفص : الزهد لا يكون إلا في الحلال ، ولا حلال في الدنيا ، فلا زهد .

وقال أبو عثمان : إن الله تعالى يعطي الزاهد فوق ما يريد ، ويعطي الراغب دون ما يريد ، ويعطي المستقيم موافقة ما يريد .

وقال يحيى بن معاذ : الزاهد يسعك^(٤) الخل والخردل ، والعارف يشمك المسك والعنبر .

وقال الحسن البصري : الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها .

وقيل لبعضهم : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : ترك ما فيها على من فيها .

وقال رجل لذي النون المصري : متى أزهد في الدنيا ؟

فقال : إذا زهدت في نفسك .

وقال محمد بن الفضل : إثبات الزهاد عند الاستغناء ، وإثبات الفتيان عند الحاجة ، قال الله

تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾^(٥) .

وقال الكتاني : الشيء الذي لم يخالف فيه كوفي ولا مدني ولا عراقي ، ولا شامي : الزهد في

الدنيا ، وسخاوة النفس ، والنصيحة للمخلق ، يعني أن هذه الأشياء لا يقول أحد إنها غير محمودة .

وقال رجل ليحيى بن معاذ : متى أدخل حانوت التوكل ، وألبس رداء الزاهدين ؟

(٤) أى : أدخل في أنفك .

(٥) آية ٩ من سورة الحشر .

(١) أى بغيرها من شهوات الدنيا .

(٢) أى عن موله .

(٣) أى خالصاً لله تعالى لا لعلّة دنيوية .

فقال : إذا صرت من رياضتك في السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك .

فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ، ثم لا آمن عليك أن تفتضح بينهم !!

وقال بشر الحافي : الزهد : ملك لا يسكن إلا في قلب مخلى^(١) .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت بن محمد بن الأشعث البكندی يقول :

من تكلم في الزهد ، ووعظ الناس ، ثم رغب في ما لهم ، رفع الله تعالى حب الآخرة من قلبه .

وقيل : إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله تعالى به ملكا يفرس الحكمة في قلبه .
وقيل : لبعضهم : لم زهدت في الدنيا ؟ فقال : لزهدا في .

وقال أحمد بن حنبل : الزهد على ثلاثة أوجه :

ترك الحرام ، وهو : زهد العوام :

والثاني : ترك الفضول من الحلال ، وهو : زهد الخواص .

والثالث : ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى ، وهو : زهد العارفين .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، يقول :

قيل لبعضهم : لم زهدت في الدنيا ؟

قال : لما زهدت في أكثرها أنفت من الرغبة في أقلها .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا كالعروس المجلوة ، ومن يطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسخم وجهها ، وينتف شعرها ، ويحرق^(٢) ثوبها ، والعارف مشغل بالله تعالى ، لا يلتفت إليها .

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول : سمعت : أبا الطيب السامري يقول : سمعت الجنيد

يقول : سمعت السري يقول :

(١) أى ألا يتحقق إلا في قلب انقطع طمعه عن الدنيا وتخل عنها .

(٢) وفي نسخة : ويحرق .

مارست كل شيء من أمر الزهد ، فنلت منه ما أريد ، إلا الزهد في الناس ، فإني لم أبلغه ، ولم أطلقه .

وقيل . ما خرج الزاهدون إلا إلى أنفسهم ، لأنهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي . وقال النصراباذي : الزاهد حقن دماء الزاهدين ، وسفك دماء العارفين .

وقال حاتم الأصم . الزاهد يذيب كيسه قبل نفسه ، والمتزاهد يذيب نفسه قبل كيسه .

سمعت محمد بن عبد الله يقول : حدثنا علي بن الحسين الموصلي قال : حدثنا أحمد بن الحسين قال : حدثنا محمد بن الحسن قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول :

جعل الله الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد .

باب الصمت

أخبرنا عبد الله بن يوسف الاصبهاني قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان قال : حدثنا أحمد بن يوسف السلمى قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »^(١) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا بشر بن موسى الأسدي قال : حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، عن ابن المبارك ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن عقبة بن عامر قال : قلت :

« يا رسول الله ، ما النجاة ؟ »

قال : احفظ عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »^(٢)

قال الأستاذ رحمه الله : الصمت سلامة ، وهو^(٣) الأصل . وعليه ندامة إذا ورد عنه الزجر^(٤) فالواجب : أن يعتبر فيه الشرع ، والأمر والنهي .

والسكوت في وقته : صفة الرجال ، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس .

والصمت : من آداب الحضرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٥) .

وقال تعالى - خبراً عن الجن بحضرة الرسول ﷺ - : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا .. ﴾^(٦) .

(١) رواه أحمد والشيخان وغيرهما .

(٢) رواه الترمذي وقال حسن .

(٣) وفي نسخة (وهي) أى السلامة .

(٤) لكون النطق مطلوباً .

(٥) آية ٢٠٤ من سورة الأعراف .

(٦) آية ٢٩ من سورة الأحقاف .

وقال تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾^(١) .

وكم بين عبد يسكت تصاوناً عن الكذب والغيبة ، وبين عبد يسكت لاستيلاء سلطان الهيبة عليه ، وفي معناه أنشدوا :

أفكر ما أقول إذا افترقنا وأحكم^(٢) دائماً حجج المقال
فأنساها إذا نحن التقينا فأنطق ، حين أنطق ، بالمحال^(٣)

وأنشدوا :

فياليل^(٤) كم من حاجة لي مهمة إذا جئتم لم أدر ياليل ما هيا
وأنشدوا :

وكم حديث لك حتى إذا مكنت من لقياك أنسيته
وأنشدوا :

رأيت الكلام يزين الفتى والصمت خير لمن قد صمت
فكم من حروف تجر الخوف ومن ناطق ود أن لو سكت
والسكوت على قسمين : سكوت بالظاهر ، وسكوت بالقلب والضائر .

فالتوكل : يسكت قلبه عن تقاضى الأرزاق .

والعارف : يسكت قلبه مقابلة للحكم بنعت الوفاق .

فهذا بجميل صنعه واثق ، وهذا بجميع حكمه قانع .

وفي معناه قالوا :

تجربى عليك صروفه وهموم سرك مطرقه^(٥)

وربما يكون سبب السكوت حيرة البديهة ، فإنه إذا ورد كشف عن وصف البغته خرس
العبارات عند ذلك ، فلا بيان ، ولا نطق . وطمست الشواهد هنالك ، فلا علم ، ولا حس .

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾^(٦) .

(٤) اسم محبوبته « ليلي » .

(٥) راضية .

(٦) آية ١٠٩ من سورة المائدة .

(١) آية ١٠٨ من سورة طه .

(٢) أنقن .

(٣) ما لا يفيد الغرض .

فأما إثارة أرباب المجاهدة السكوت : فلما علموا ما في الكلام من الآفات ، ثم ما فيه من حظ النفس ، وإظهار صفات المدح ، والميل إلى أن يتميز بين أشكاله^(١) بحسن النطق ، وغير هذا من آفات في الخلق ، وذلك نعت أرباب الرياضات ، وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق .

وقيل : إن داود الطائي ، لما أراد أن يعقد في بيته اعتقد^(٢) أن يحضر مجالس أبي حنيفة ، رحمه الله ، إذ كان تلميذاً له ، ويقعد بين أقرانه من العلماء ، ولا يتكلم في مسألة ، فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة ، قعد في بيته عند ذلك وآثر العزلة .

وكان عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، إذا كتب كتاباً واستحسن لفظه مزق الكتاب وغيره .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : أخبرنا عبد الله بن محمد الرازى ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال : سمعت أحمد بن الفتح يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول :

إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا أعجبك الصمت فتكلم .

وقال سهل بن عبد الله : لا يصح لأحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت .

وقال أبو بكر الفارسى : من لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول وإن كان صامتاً ، والصمت ليس بمخصوص على اللسان ، لكنه على القلب والجوارح كلها .

وقال بعضهم : من لم يستغنم^(٣) السكوت فإذا نطق نطق بلفو .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت ممشاد الدينورى يقول : الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر .

وسئل أبو بكر الفارسى عن صمت السر فقال : ترك الاشتغال بالماضى والمستقبل .

وقال أبو بكر الفارسى : إذا كان العبد ناطقاً فيما يعنيه ، وفيما لا يد منه ، فهو في حد الصمت .

(٣) أى يعرف فضيلته ويعدّه غنيمة .

(١) أقرانه .

(٢) عزم .

روى عن معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، أنه قال :
 كلم الناس قليلاً ، وكلم ربك كثيراً ، لعل قلبك يرى الله تعالى .
 وقيل لذى النون المصرى : من أصون الناس لقلبه^(١) ؟ . قال : أملكهم للسانه .
 وقال ابن مسعود : ما من شيء بطول السجن أحق من اللسان .
 وقال على بن بكار : جعل الله تعالى لكل شيء بايّن ، وجعل للسان أربعة أبواب :
 فالشفتان مصراعان ، الأسنان مصراعان .
 وقيل : إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، كان يمسك في فيه حجراً كذا كذا سنة ، ليفل
 كلامه .

وقيل : إن أبا حمزة البغدادى ، رحمة الله ، كان حسن الكلام ، فهتف به هاتف ، فقال له :
 تكلمت فأحسنست ، بقى أن تسكت فتحسن ؟ فما تكلم بعد ذلك حتى مات قريباً من هذه الحالة
 على رأس أسبوع ، أو أقل أو أكثر .

وربما يكون السكوت يقع على المتكلم^(٢) تأديباً له ، لأنه أساء أديه في شيء .
 كان الشبلى إذا قعد في حلقة ، ولا يسألونه . يقول : ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ
 لَا يَنْطِقُونَ﴾^(٣) .

وربما يقع السكوت على المتكلم ، لأن في القوم من هو أولى منه بالكلام .
 سمعت ابن السماك يقول : كان بين شاه الكرمانى ، ويحيى بن معاذ صداقة ، فجمعهمها
 بلد ، فكان شاه لا يحضر مجلسه ، فقيل له في ذلك : فقال : الصواب هذا . فمازالوا به حتى
 حضر يوماً مجلسه ، وقعد ناحية لا يشعر به يحيى بن معاذ ، فلما أخذ يحيى في الكلام سكت ، ثم
 قال : هاهنا من هو أولى بالكلام منى ، وأرتج^(٤) عليه . فقال شاه : قلت لكم الصواب أن لا
 أحضر مجلسه .

وربما يقع السكوت على المتكلم لمعنى في الحاضرين ، وهو أنه يكون هناك من ليس بأهل
 لسماع ذلك الكلام فيصون الله تعالى لسان المتكلم غيرة وصيانة لذلك الكلام عن غير أهله .
 وربما كان سبب السكوت الذى يقع على المتكلم : أن بعض الحاضرين كان معلوماً الله تعالى

(٣) آية ٨٥ من سورة النمل .

(٤) تعذر عليه الكلام .

(١) في نسخة لنفسه .

(٢) أى يطلب منه .

من حاله أنه يسمع ذلك الكلام ، فيكون فتنه له ، إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون^(١) ، أو لأنه يحمل نفسه ما لا يطيق فيرحمه الله ، عز وجل ، بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام ، إما صيانة له ، أو عصمة عن غلظه .

وقال مشايخ هذه الطريقة .

ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن ، إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

اعتلت مرة « بمر » فاشتقت أن أرجع إلى « نيسابور » .. فرأيت في المنام . كأن قائلاً يقول لى : لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد ، فإن جماعة من الجن قد استحلوا^(٢) كلامك ، ويحضرون مجلسك ، فلاجلهم تجلس هاهنا .

وقال بعض الحكماء : إنما خلق للإنسان لسان واحد ، وعينان . وأذنان ، ليسمع ويبصر أكثر مما يقول :

ودعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة ، فلما جلس أخذوا في الغيبة ، فقال : عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز ، وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم ؟ أشار إلى قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ، فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾^(٣) .

وقال بعضهم : الصمت ، لسان الحلم .

وقال بعضهم : تعلم الصمت ، كما تتعلم الكلام ، فإن كان الكلام يهديك فإن الصمت يقيك .

وقيل : عفة اللسان صمته .

وقيل : مثل اللسان مثل السبع إن لم تُوثقه عدا عليك :

وسئل أبو حفص : أى الحالين للولئ أفضل ؟ الصمت ، أو النطق ؟

فقال : لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح .

ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى ، ضعفى عمر نوح حتى ينطق^(٤) .

(١) يتوهم أن هذا الكلام حاله أى المطلوب له ولا يكون الأمر كذلك .

(٢) انشغوا به .

(٣) آية ١٢ من سورة الحجرات .

وقيل : صمت العوام بالستهم ، وصمت العارفين بقلوبهم ، وصمت المحبين بالتحفظ من خواطر أسرارهم .

وقيل لبعضهم : تكلم فقال : ليس لى لسان فأتكلم .

ف قيل له : اسمع ، فقال : ليس فى مكان فأسمع .

وقال بعضهم : مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لسانى إلا من قلبى ، ثم مكثت ثلاثين سنة لا يسمع قلبى إلا من لسانى .

وقال بعضهم : لو أسكت لسانك لم تنج من كلام قلبك ، ولو صرت رميا لم تتخلص من حديث نفسك ، ولو جهدت كل الجهد لم تكلمك روحك ، لأنها كاتمة للسر .
وقيل : لسان الجاهل مفتاح حتفه .

وقيل : المحب : إذا سكت هلك ، والعارف إذا سكت ملك .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول :
سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول : سمعت مردوية الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول :

من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه .

باب الخوف

قال الله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾^(١) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد عبدوس الحيرى العدل ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلوية الدقاق قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : حدثنا عامر بن أبي الفرات قال : حدثنا المسعودى ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن عيسى بن طلحة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى ، حتى يلج^(٢) اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرى عبْدٍ أبداً » .

حدثنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن الشرفى ، قال : حدثنا عبد الله بن هاشم قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال : حدثنا شعبة قال : حدثنا قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا »^(٣) . .

قلت الخوف : معنى متعلقه في المستقبل ، لأنه إنما يخاف أن يحلَّ به مكروه أو يفوته محبوب . ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل في المستقبل .
فأما ما يكون في الحال موجودا ، فالخوف لا يتعلق به .

والخوف من الله تعالى ، هو : أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما في الدنيا ، وإما في الآخرة . وقد فرض الله ، سبحانه ، على العباد أن يخافوه ، فقال تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) .

(١) آية ١٦ من سورة السجدة .

(٢) يدخل والحديث رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٣) رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٤) آية ١٧٥ من سورة آل عمران .

وقال : ﴿ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴾^(١) ، ومدح المؤمنين بالخوف ، فقال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾^(٢) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

الخوف على مراتب : الخوف ، والخشية ، والهيبة .

فالخوف من شرط الإيمان وقضيته . قال الله تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) .

والخشية من شرط العلم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٤) والهيبة من شرط المعرفة ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾^(٥) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن علي الحيري يقول : سمعت محفوظاً يقول : سمعت أبا حفص يقول : الخوف سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه .

وقال أبو القاسم الحكيم : الخوف على ضربين : رهبة ، وخشية .

فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف ، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب .

قال رحمه الله : ورهب ، وهرب ، يصح أن يقال : أنها واحد معنى ، مثل :^(٦) جذب وجذب .

فإذا هرب انجذب في مقتضى هواه ، كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فإذا كبّهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع ، فهو الخشية .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول : سمعت

أبا عثمان يقول : سمعت أبا حفص يقول :

الخوف ، سراج القلب ، به يبصر ما فيه من الخير والشر .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

الخوف ألاّ تعلق نفسك بعسى وسوف .

سمعت محمد بن الحسين . يقول : سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول : سمعت أبا عمر

الدمشقي يقول : الخائف ، من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان .

(١) آية ٥١ من سورة النحل .

(٢) آية ٥٠ من سورة النحل .

(٣) آية ١٧٥ من سورة آل عمران .

(٤) آية ٢٨ من سورة فاطر .

(٥) آية ٢٨ من سورة آل عمران .

(٦) في نسخة : هما واحد أى معناها واحد وهو الرجوع إلى الطاعة .

وقال ابن الجلاء : الخائف ، من تؤمنه المخوفات^(١) .
وقيل : ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه ، إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه .

وقيل للفضيل^(٢) ، ما لنا لا نرى خائفًا ؟ .
فقال : لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين ، إن الخائف لا يراه إلا الخائفون ، وإن الثكلى^(٣) ،
هى التى تحب أن ترى الثكلى .

وقال يحيى بن معاذ : مسكين ابن آدم ، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة
وقال شاه الكرمانى : علامة الخوف : الحزن الدائم .
وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف من شيء هرب منه ، ومن خاف من الله عز وجل هرب
إليه .

وسئل ذو النون المصرى ، رحمه الله ، متى يتيسر على العبد سبيل الخوف ؟ .
فقال : إذا أنزل نفسه منزلة السقيم ، يحتذى من كل شيء ، بخافة طول السقام .
وقال معاذ بن جبل ، رضى الله عنه : إن المؤمن لا يطمئن قلبه ، ولا تسكن روعته حتى
يخلف^(٤) جسر جهنم وراءه .

وقال بشر الحافى : الخوف من الله ملك لا يسكن إلا فى قلب متق .
وقال أبو عثمان الحيرى : عيب الخائف فى خوفه السكون إلى خوفه لأنه أمر خفى .
وقال الواسطى : الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد .
وهذا اللفظ فيه إشكال^(٥) ومعناه : أن الخائف متطلع لوقت ثان . وأبناء الوقت^(٦) لا تطلع لهم
فى المستقبل ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن النهاوندى يقول : سمعت
ابن فاتك يقول : سمعت الثورى يقول : « الخائف يهرب من ربه إلى ربه » .
وقال بعضهم : علامة الخوف ، التحير^(٧) والوقوف على باب الغيب :

(١) أى نجعله فى أمان . بأن يأمن منها فى حال طروقها عليه فلا تؤثر فيه لغيبته عنها بخوف الله .

(٢) هو ابن عياض .

(٣) التى فقدت ولدها .

(٤) يجاوز ويترك .

(٥) لأن الخوف مطلوب . فكيف يكون حجابًا بين الخائف وربه ؟

(٦) وهم الصوفية .

(٧) أى القلق فى أسباب النجاة والخلاص مما يوجب العقاب .

سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول : سمعت علي بن إبراهيم العكبري يقول : سمعت الجنيد وقد سئل عن الخوف ، فقال :

هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت الحسين بن أحمد الصفار يقول : سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت هاشم بن خالد يقول : سمعت أبا سليمان الداراني يقول :

ما فارق الخوف قلباً إلا خرب .

وسمعت يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عثمان يقول :

صدق الخوف ، هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً .

وقال ذو النون : الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق .

وقال حاتم الأصم : لكل شيء زينة ، وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخوف قصر الأمل .

وقال رجل لبشر الحافي : أراك تخاف الموت !!

فقال : القدوم على الله ، عز وجل شديداً .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، يقول : دخلت على الإمام أبي بكر بن فورك عائداً ، فلما رآني دمت عيناه ، فقلت له : إن شاء^(١) الله تعالى يعافيك ويشفيك .

فقال لى : ترانى أخاف من الموت ؟ إنما أخاف مما وراء الموت !!

أخبرنا على بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا محمد بن عثمان قال : حدثنا القاسم بن محمد قال : حدثنا يحيى بن يمان ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن موهب ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قلت : يا رسول الله : الذين يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة ، أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر ؟ .

قال : لا : ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه^(٢) .

(١) وفي نسخة إن الله سبحانه .

(٢) رواه أحمد والترمذى .

وقال ابن المبارك : رحمه الله : الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت أبا القاسم بن أبي موسى يقول : سمعت محمد بن أحمد : قال : حدثنا علي الرازي قال سمعت ابن المبارك : رحمه الله يقول ذلك .

وسمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول :

إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه ، وطرد رغبة الدنيا عنه .
وقيل ، الخوف ، قوة العلم بمجاري الأحكام .
وقيل ، الخوف ، حركة القلب من جلال الرب .

وقال أبو سليمان الداراني ، ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف ، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب .

ثم قال : يا أحمد ، بالخوف ارتفعوا ، فإن ضيعوه نزلوا .

وقال الواسطي : الخوف ، والرجاء ، زمامان على النفوس ، لئلا ، تخرج إلى رعوناتها .
وقال الواسطي : إذا ظهر^(١) الحق على السرائر ، لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف .

قال الأستاذ أبو القاسم : وهذا فيه إشكال . ومعناه : إذا اصطلمت^(٢) شواهد الحق ، تعالى ، الأسرار ملكتها ، فلا يبقى فيها مساع لذكر حدثان^(٣) ، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية .

وقال الحسين بن منصور : من خاف من شيء سوى الله عز وجل أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شيء ، وسلط عليه المخافة ، وحجبه^(٤) بسبعين حجاً أيسرها الشك ، وإن مما أوجب شدة خوفهم ، فكرهم في العواقب ، وخشية تغير أحوالهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَالٌ يَّكُونُوا بِحَسْبِئِهِمْ ﴾^(٥) وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾^(٦) .

(١) غلب .

(٤) وفي نسخة « وحجب قلبه » .

(٢) استأصلت .

(٥) آية ٤٧ من سورة الزمر .

(٣) أي حديث أو حادثة .

(٦) آية ١٠٣ وآية ١٠٤ من سورة الكهف .

فكم من مغبوط^(١) في أحواله انعكست عليه الحال ، ومنى بمقارنة^(٢) قبيح الأفعال ، فبدل بالأنس وحشة ، وبالحضور غيبة .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمة الله ، ينشد كثيراً :

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتكَ الليالي فاعتزرت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

سمعت منصور بن خلف المغربي يقول :

كان رجلان اصطحبا في الإرادة^(٣) برهة من الزمان .. ثم إن أحدهما سافر ، وفارق صاحبه .. وأتى عليه مدة من الزمان ولم يسمع منه^(٤) خبراً .. فبينما هذا الآخر كان في غزاة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح ، يطلب المبارزة .. فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد ، فقتله الرومي .. ثم خرج آخر فقتله .. ثم ثالث فقتله ، فخرج إليه هذا الصوفي .. وتطاردا^(٥) ، فحسر الرومي عن وجهه ، فإذا هو صاحبه الذي صاحبه في الإرادة والعبادة سنين .

فقال هذا له : إيش الخبر ؟ .

فقال : إنه أرتد .. وخالط القوم .. وولد له أولاد .. واجتمع له مال فقال له : كنت تقرأ القرآن بقراءات كثيرة ؟!

فقال : لا أذكر منه حرفاً .

فقال له هذا الصوفي : لا تفعل ، وارجع ، فقال : لا أفعل ، فلي فيهم جاه ومال ، فانصرف أنت عني ، وإلا لأفعلن بكل ما فعلت بأولئك .

فقال له الصوفي : أعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين ، وليس عليك أنفة في الانصراف ، فانصرف أنت وأنا أمهلك .

فرجع الرجل مولياً : فتيبه هذا الصوفي ، وطعنه ، فقتله .

فبعد تلك المجاهدات ، ومقاساة تلك الرياضات ، قتل على النصرانية

(١) المغبوط . هو من يمتنى غيره مثل ما ثبت له من الخير مع عدم ميل ذلك الغير إلى زوال نعمته عنه .

(٢) مخالطة .

(٣) إرادة العبادة والخير .

(٤) أى عنه .

(٥) تضارياً .

وقيل : لما ظهر على إبليس ما ظهر ، طفق جبريل وميكائيل ، عليهما السلام يبيكان زماناً طويلاً ، فأوحى الله ، تعالى ، إليهما : مالكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : ياربنا ، لا نأمن منك .

فقال الله تعالى : هكذا كونا ، لا تأمنا مكرى .

ويحكى عن السرى السقطى أنه قال :

إني لأنظر إلى أنفى فى اليوم كذا مرة ، مخافة أن يكون قد اسود ، لما أخافه من العقوبة !!
وقال أبو حفص : منذ أربعين سنة اعتقادى فى نفسى ، أن الله ، تعالى ، ينظر إلى نظرى السخط ، وأعمالى تدل على ذلك .

وقال حاتم الأصم : لا تغتر بموضع صالح ، فلا مكان أصلح من الجنة ، فلقى آدم ، عليه السلام فيها ما لقى !! ولا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس بعد طول تبعده لقى ما لقى !! ولا تغتر بكثرة العلم ، فإن « بلعام » كان يحسن اسم الله الأعظم ، فانظر ماذا لقى !! ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدراً من المصطفى ، ﷺ ولم ينتفع ببلقائه أقاربه وأعداؤه .
وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال :

إنى قد اجترأت البارحة على الله عز وجل : سألته الجنة .

وقيل : خرج عيسى عليه السلام ، ومعه صالح من صالحى بنى إسرائيل فتبعها رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم ، فقعده منتبذاً عنها منكسراً ، فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لى .

ودعا هذا الصالح وقال : اللهم لا تجمع غدا بينى وبين ذلك العاصى .

فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : أنى قد استجبت دعاءها جميعاً ، رددت ذلك الصالح ، وغفرت لذلك المجرم .

وقال ذو النون المصرى : قلت لعليم . لم سميت مجنوناً ؟ .

قال : لما طال حبسى عنه صرت مجنوناً لخوف فراقه فى الآخرة .

وفى معناه أنشدوا :

لو أن مابى على صخر لأنحله فكيف يحمله خلق من الطين ؟

(١) ويقال له : « بلعم بن باعورا » من علماء « بنى إسرائيل » .

وقال بعضهم ، ما رأيت رجلاً أعظم رجاء لهذه الأمة ، ولا أشد خوفاً على نفسه ، من « ابن سيرين » .

وقيل ، مرض سفيان الثوري ، فعرض عليه^(١) على الطبيب ، فقال : هذا رجل قطع الخوف كبده .

ثم جاء وجسَّ عرقه^(٢) ، ثم قال : ما علمت أن في الحنيفة مثله .
وسئل الشبلي : لم تصفر الشمس عند الغروب ؟ .

فقال : لأنها عُزلت عن مكان التمام : فاصفرت لخوف المقام .

وكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه ، لأنه يخاف المقام ، فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة : كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجه يشرق .

ويحكى عن أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى ، أنه قال :

سألت ربي ، عز وجل أن يفتح علي باباً من الخوف ، ففتح ، فخفت على عقلي ، فقلت ، يارب ، أعطني على قدر ما أطيق ، فسكن ذلك عني .

(١) أي ما يستدل به على مرضه .

(٢) نبضه .

باب الرجاء

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ، فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ ﴾ .
 أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال :
 حدثنا عمرو بن مسلم الثقفي قال : حدثنا الحسن بن خالد قال : حدثنا العلاء بن زيد ، قال :
 دخلت على مالك بن دينار ، فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده ، قلت
 لشهر : يرحمك الله تعالى ، زودني ، زدك الله تعالى .
 فقال : نعم ، حدثني عمي أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن نبي الله ، ﷺ ، عن جبريل
 عليه السلام ، قال : « قال ربكم عز وجل : عبدى ، ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بى شيئاً
 غفرت لك على ما كان منك ، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوبا ، استقبلتك بمنزلها »
 مغفرة ، فأغفر لك ولا أبالي »^(١) .

أخبرنا علي بن أحمد قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا بشر بن موسى ، قال :
 حدثنا خلف بن الوليد ، قال : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال : حدثنا أبو سفيان
 طريف ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله
 تعالى ، يوم القيامة : أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من إيمان ثم يقول :
 أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ثم يقول : وعزقي وجلالى
 لا أجعل من آمن بى ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بى »^(٢) .

الرجاء : تعلق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل .

وكما أن الخوف يقع فى مستقبل الزمان ، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل فى الاستقبال
 وبالرجاء عيش القلوب بمحبوب واستقلالها^(٣) .

(١) آية ٥ من سورة العنكبوت .

(٢) وفى رواية بمنزلة .

(٣) رواه الطبراني عن أبي الدرداء بسند حسن والترمذى بنحوه وقال حسن .

(٤) أوله فى الصحيحين .

(٥) أى : بالأجر الأخرى .

والفرق بين الرجاء ، وبين التمنى ، أن التمنى : يورث صاحبه الكسل^(١) ، ولا يسلك طريق الجهد والجد ، وبعبكسه صاحب الرجاء ، فالرجاء محمود ، والتمنى معلول^(٢) .

وتكلموا في الرجاء ، فقال شاه الكرمانى : علامة الرجاء : حسن الطاعة .

وقال ابن خبيق : الرجاء ثلاثة :

رجل عمل حسنة : فهو يرجو قبولها .

ورجل عمل سيئة : ثم تاب : فهو يرجو المغفرة .

والثالث الرجل الكاذب : يتمادى في الذنوب : ويقول أرجو المغفرة .

ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه .

وقيل الرجاء : ثقة الجود من الكريم الودود .

وقيل : الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال .

وقيل : هو قرب القلب من ملاطفة الرب .

وقيل : سرور الفؤاد بحسن المعاد .

وقيل : هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى : رحمه الله : يقول : سمعت منصور بن عبد الله

يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : الخوف ، والرجاء ، هما كجناحي الطائر ، إذا

استويا استوى الطير وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص : وإذا ذهب صار الطائر

في حد الموت .

وسمعت يقول : سمعت النصر اباذى يقول : سمعت ابن أبى حاتم يقول : سمعت على بن

شهمر ذان يقول : قال أحمد بن عاصم الأنطاكى ، وسئل ما علامة الرجاء في العبد ؟ قال :

أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر ، راجياً لتمام النعمة من الله تعالى في الدنيا ،

وتقام عفوه في الآخرة .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : الرجاء : استبشار بوجود فضله .

وقال ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب .

(١) وفي نسخة « يصاحبه الكسل » .

(٢) منوم .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا عثمان المغربي يقول : من حمل نفسه على الرجاء تعطل ، ومن حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه مرة ، ومن هذه مرة .

وسمعت يقول : حدثنا أبو العباس البغدادى قال : حدثنا الحسن بن صفوان قال : حدثنا ابن أبي الدنيا ، قال : حدثت عن بكر بن سليم الصواف ، قال : دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها ، فقلنا ، يا أبا عبد الله ، كيف تجدك ؟ .

فقال : ما أدرى ما أقول لكم ، غير أنكم ستعاينون من عفو الله تعالى ، ما لم يكن لكم فى حساب ، ثم ما يرحنا حتى أغمضناه .

وقال يحيى بن معاذ : يكاد رجائى لك مع الذنوب ، يغلب رجائى لك مع الأعمال ، لأنى أجدنى أعتد فى الأعمال على الاخلاص ، وكيف أحرزها^(١) وأنا بالآفة معروف !! وأجدنى فى الذنوب أعتد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالوجود موصوف .

وكلموا ذا النون المصرى ، وهو فى النزع ، فقال لا تشغلونى ؟ فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى .

وقال يحيى بن معاذ : إلهى ، أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك ، وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك ، وأحب الساعات إلى ساعة يكون فيها لقاءك .

وفى بعض التفاسير « أن رسول الله ﷺ دخل على أصحابه ، من باب بنى شيبه ، فرأهم يضحكون فقال : أنضحكون ؟ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » ثم مر ، ثم رجع القهقرى ، وقال : نزل على جبريل ، عليه السلام ، وأتى بقوله تعالى : ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٢) .

أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد الأهوازي قال : حدثنا أبو الحسن الصفار قال : حدثنا عباس بن تميم قال : حدثنا يحيى بن أيوب قال : حدثنا مسلم بن سالم قال : حدثنا خارقة بن مصعب ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عائشة ، قالت :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم ، فقلت : بأبى وأمى يارسول الله ، أويضحك ربنا عز وجل ؟ .

(١) أى أحفظها من الآفة .

(٢) آية ٤٩ من سورة الحجر والحديث رواه ابن أبي حاتم وابن جرير بنحوه .

فقال : والذي نفسى بيده ، إنه ليضحك ، فقالت : لا يعدمنا خيراً إذا ضحك .
وأعلم أن الضحك فى وصفه من صفات فعله ، وهو إظهار فضله ، كما يقال : ضحكت
الأرض بالنبات^(١) وضحكه من قنوطهم إظهار تحقيق فضله الذى هو ضعف انتظارهم له .
وقيل : إن مجوسيا استضاف^(٢) إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، فقال له : إن أسلمت
أضفتك فقال المجوسى : إذا أسلمت فأى مئة تكون لك على ؟ فمرَّ المجوسى ، فأوحى الله
تعالى إلى إبراهيم ، عليه السلام : يا إبراهيم ، لم تطعمه إلا بتغييره دينه ؟! ونحن منذ سبعين
سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفته ليلة ماذا عليك ؟ .

فمرَّ إبراهيم ، عليه السلام ، خلف المجوسى ، وأضافه ، فقال له المجوسى : أى شىء كان
السبب فى الذى بدا لك ؟ فذكر له ذلك ، فقال له المجوسى : أهكذا يعاملنى ؟ ثم قال :
أعرض على الإسلام فأسلم :

سمعت الشيخ أبا على الدقاق ، رحمه الله ، يقول : رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكى ،
رحمه الله ، أبا سهل الرُّجَاج فى النوم^(٣) ، وكان يقول بوعيد الأبد^(٤) ، فقال له : كيف
حالك ؟ .

فقال وجدنا الأمر أسهل مما توهمنا .

سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول : رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكى فى المنام على هيئة
حسنة لا توصف ، فقلت له . يا أستاذ ، بم نلت هذا ؟ ، فقال : بحسن ظنى برى .
وروى مالك بن دينار فى المنام ، ف قيل له : ما فعل الله بك .

قال : قدمت على ربي ، عزَّ وجلَّ ، بذنوب كثيرة محأها عنى حسن ظنى به تعالى :
وروى عن النبى ﷺ ، أنه قال : « يقول الله عز وجل ، أنا عند ظنِّ عبدى بى ، وأنا معه
إذا ذكرنى ، إن ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء ، ذكرته فى ملاء هو خير
منه ، وإن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه ذراعاً ، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، وإن
أتانى يمشى أتيته هرولة »^(٥) .

(١) أى أخرجه منها .

(٢) طلب منه أن يضيفه .

(٣) وفى نسخة : فى « المنام » .

(٤) أى أن الله اذا توعد على معصية يعقاب « فلا بد من وقوعه » .

(٥) رواه الشيخان بنحوه وابن ماجه كما هنا .

أخبرنا بذلك أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني قال : أخبرنا يعقوب بن إسحق قال : حدثنا علي بن حرب قال : حدثنا أبو معاوية ومحمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ ، يقول ذلك .
وقيل : كان ابن المبارك يقاتل « علجاً »^(١) مرة فدخل وقت صلاة العليج ، فاستمهل ، فأهمله .

فلما سجد للشمس : أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه ، فسمع من الهواء قائلاً يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾^(٢) فأمسك . فلما سلم المجوسى ، قال له : لم أمسكت عما هممت به ؟ فذكر له ما سمع ، فقال له المجوسى :
نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوه . فأسلم . وحسن إسلامه .
وقيل : إنما أوقعهم في الذنب حين سمى نفسه عفواً .

وقيل : لو قال لا أغفر الذنوب ، لم يذنب مسلم قط ، - كما أنه لما قال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به »^(٣) لم يُشرك مسلم قط ، ولكن لما قال : ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ طمعوا في مغفرته .

ويحكى عن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قال : كنت أنتظر مدة من الزمن أن يخلو المطاف لى ، فكانت ليلة ظلماء ، فيها مطر شديد ، فخلا المطاف ، فدخلت الطواف ، وكنت أقول فيه : اللهم اعصمنى . اللهم اعصمنى ، فسمعت هاتفا يقول لى :
يا ابن أدهم ، أنت تسألنى العصمة ، وكل الناس يسألونى العصمة ، فإذا عصمتكم فمن أرحم .

وقيل : رأى أبو العباس بن شريح ، في منامه في مرض موته ، كأن القيامة قد قامت ، وإذا الجبار ، سبحانه ، يقول : أين العلماء ؟ . قال : فجاءوا . ثم قال : ماذا عملتم فيما علمتم ؟ قال فقلنا : يارب ، قصرنا ، وأسأنا .

قال : فأعاد السؤال ، كأنه لم يرض به ، وأراد جواباً آخر .
فقلت : أما أنا ، فليس في صحيفتى الشرك ، وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال : اذهبوا فقد غفرت لكم ، ومات بعد ذلك بثلاث ليال .

(٣) آية ٤٨ من سورة النساء .

(١) الكافر الشديد .

(٢) آية ٣٤ من سورة الإسراء .

وقيل : كان رجل شريفاً^(١) ، جمع قوماً من ندمائه ، ودفع إلى غلام له أربعة دراهم ، وأمره أن يشتري بها شيئاً من الفواكه للمجلس ، فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقيه شيئاً ، ويقول : من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات .

قال : فدفع له الغلام الدراهم ، فقال منصور : ما الذى تريد أن أدعو لك به ؟ . فقال : لى سيد أريد أن أتخلص منه ! .

فدعا لى منصور بذلك ، وقال : ما الأخرى ، فقال : أن يخلف الله ، تعالى ، على دراهمى . فدعا لى بذلك . ثم قال : وما الأخرى ؟ فقال : أن يتوب الله على سيدى فدعا قال : وما الأخرى ؟ فقال : أن يغفر الله لى ولسيدى ، ولك ، وللقوم . فدعا ، منصور بذلك . فرجع الغلام إلى سيده ، فقال له : لم أبطأت ؟ فقضى عليه القصة فقال له . وبم دعا ؟ فقال : سألت لنفسى العتق فقال : اذهب ، فأنت حر وما الثانى ؟ فقال : أن يخلف الله على الدراهم ، فقال : لك أربعة آلاف درهم . فقال : وما الثالث ؟ فقال : أن يتوب الله عليك ، فقال : نبت إلى الله تعالى ، فقال : وما الرابع ؟ فقال : أن يغفر الله تعالى لك ولى وللقوم وللمذكر ، فقال : هذا الواحد ليس لى ، فلما بات ، رأى فى المنام كأن قائلاً يقول له : أنت فعلت ما كان إليك^(٢) ترانى لا أفعل ما إلى !! قد غفرت لك ، وللغلام ، ولنصور بن عمار ، وللقوم الحاضرين .

وقيل : حج رباح القيسى حجات كثيرة ، فقال يوماً - وقد وقف تحت الميزاب . إلهى وهبت من حجاتى كذا وكذا للرسول ﷺ وعشرة منها لأصحابه العشرة ، وثنيتين لوالدى ، والباقى للمسلمين .

ولم يحبس منها شيئاً لنفسه : فسمع هاتفاً يقول :

هو ذا يتسخى علينا ، لأغفرن لك ، ولأبويك ، ولن شهد شهادة الحق .

وروى عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى أنه قال :

رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة . قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة . فصلينا عليها ، ودفناها ، فقلت للمرأة ، ومن كان هذا منك ؟ فقالت : ابنى قلت : أو لم يكن لك جيران ؟ قالت : نعم ، ولكنهم صغروا أمره .

(١) كبير الشرب للخمر .

(٢) ما كان فى وسعك أن تفعله .

فقلت : وإيش كان هذا ؟ فقلت : مخنتا ! قال : فرحتها : وذهبت بها إلى منزلى ، وأعطيتها دراهم ، وحنطة ، وثيابا .

ونمت تلك الليلة ، فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر ، وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لى ، فقلت من أنت ؟ فقال : المخنت ، الذى دفتمونى اليوم ، رحمنى ربى باحتقار الناس إياى .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق ، رحمة الله ، يقول :

مر أبو عمر البيكندى يوماً بسكة ، فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة ، لفساده ، وامرأة تبكى ، قيل إنها أمه ، فرحمها أبو عمرو فتشفع له إليهم وقال : هبوه منى هذه المرة ، فإن عاد إلى فساد فشانكم فوهبوه منه ، فمضى أبو عمرو ، فلما كان بعد أيام ، اجتاز بتلك السكة ، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب ، فقال فى نفسه : لعل الشاب عاد إلى فساد ، فنفى من المحلة .

فدق عليها الباب ، وسألها عن حال الشاب ، فخرجت العجوز وقالت له : إنه مات . فسألها عن حاله ، فقلت : لما قرب أجله ، قال : لا تخبرى الجيران بموتى ، فلقد آذيتهم ، وإنهم يشتمون بى ، ولا يحضرون جنازتى ، وإذا دفتننى ، فهذا خاتم لى مكتوب عليه « بسم الله » فادفنيه . معى ، فإذا فرغت من دفنى فتشفعى لى إلى ربى عز وجل .

قالت : ففعلت وصيته . فلما انصرفت عن رأس قبره ، سمعت صوته يقول : انصرفى يا أماه ، قدمت على رب كريم .

وقيل : أوحى الله ، تعالى ، إلى داود ، عليه السلام :

قل لهم : إنى لم أخلقهم لأربح عليهم ، وإنما خلقتهم ، ليربحوا على .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت أبا بكر الحربى يقول : سمعت إبراهيم الأطروش يقول :

كنا قعوداً ببغداد ، مع معروف الكرخى ، على الدجلة ، إذ مر بنا قوم أحداث فى زورق ، يضربون بالدف ويشربون ، ويلعبون ، فقلنا لمعروف :

أما تراهم كيف يعصون الله تعالى مجاهرين ؟ ادع الله عليهم :

فرفع يده وقال : إلهى كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة .

فقالوا : إنما سألناك أن تدعو عليهم !!

فقال : إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم .

سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المزكى ، قال : حدثنا أبو زكريا يحيى ابن محمد^(١) الأديب ، قال : حدثنا الفضل بن صدقة قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد ، قال :

كان يحيى بن أكرم القاضي صديقا لى ، وكان يودنى وأوده ، فمات يحيى ، فكنت أشتهى أن أراه في المنام ، فأقول له : ما فعل الله تعالى بك ، فرأيت ليلة في المنام فقلت ما فعل الله تعالى بك ؟ .

قال : غفر لى ، إلا أنه وبخنى ، ثم قال لى : يا يحيى ، خلطت على فى دار الدنيا . فقلت : أى ربى ، اتكلت على حديث حدثنيه أبو معاوية الضير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ، « إنك قلت ، « إنى لأستحيى أن أعذب ذا شبيهة بالنار » فقال : قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبى ، إلا أنك خلطت على فى دار الدنيا .

باب الحزن

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾^(١) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد ، قال : أخبرنا علي بن حبيش قال : حدثنا أحمد بن عيسى قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنا أسامة بن زيد الليثي ، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سمعت عطاء بن يسار قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من شيء يصيب العبد المؤمن ، من وصب^(٢) ، أو نصب^(٣) ، أو حزن ، أو ألم يمه^(٤) إلا كفر الله تعالى عنه من سيئاته »^(٥) .

الحزن : حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة .

والحزن من أوصاف أهل السلوك .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله تعالى ، يقول :

صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر مالا يقطعه من فقد حزنه سنين ، وفي الخبر : « إن الله يحب كل قلب حزين » .

وفي التوراة :

« إذا أحب الله عبداً جعل في قلبه نائحة ، وإذا بغض عبداً جعل في قلبه مزمارا » .

وروى أن رسول الله ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكر .

وقال بشر بن الحارث .

الحزن ملك ، فإذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد .

وقيل :

القلب إذا لم يكن فيه حُزن خرب ، كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب .

(٤) يقلقه .

(٥) رواه الترمذی .

(١) آية ٣٤ من سورة فاطر .

(٢) مرض .

(٣) تعب .

وقال أبو سعيد القرشي :

بكاء الحزن يعمى ، وبكاء الشوق يغشى البصر ولا يعمى : قال الله تعالى : ﴿ وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ .

وقال ابن خفيف :

الحزن : حصر النفس عن النهوض في الطرب

وسمعت رابعة العدوية رجلاً يقول : واحزنناه ! فقالت : قل : واقلة حزنناه ، لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس .

وقال سفيان بن عيينه : لو أن محزوناً بكى في أمة لرحم الله تعالى تلك الأمة ببيكائه . وكان داود الطائى الغالب عليه الحزن ، وكان يقول بالليل : إلهى ، هبك عطل على الهموم ، وحال بينى وبين الرقاد .

وكان يقول : « كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت ؟ » .

وقيل : الحزن : يمنع من الطعام ، والخوف : يمنع من الذنوب .

وسئل بعضهم : بم يستدل على حزن الرجل ؟ فقال : بكثرة أنينه .

وقال سرى السقطى : وددت أن حزن كل الناس ألقى على .

وتكلم الناس في الحزن ، فكلهم قالوا : إنما يحمد حزن الآخرة ، وأما حزن الدنيا فغير محمود ، إلا أبا عثمان الخيري ، فإنه قال :

الحزن بكل وجه فضيلة ، وزيادة للمؤمن ، مالم يكن بسبب معصية ، لأنه إن لم يوجب تخصيصاً فإنه يوجب تمحيصاً .

وعن بعض المشايخ أنه كان إذا سافر واحد من أصحابه يقول له :

إن رأيت محزوناً ، فأقرئه منى السلام .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها ، هل طلعت اليوم على محزون ؟ .

وكان الحسن البصرى لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة .

وقال وكيع لما مات الفضيل ، ذهب الحزن اليوم من الأرض .
 وقال بعض السلف ، أكثر ما يجده المؤمن في صحيفته من الحسنات الهمة ، والحزن .
 سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول : سمعت علي بن بكران يقول : سمعت محمد بن علي
 المروزي يقول ، سمعت أحمد بن أبي روح يقول : سمعت أبي يقول : سمعت الفضيل بن
 عياض يقول : كان السلف يقولون : إن على كل شيء زكاة وزكاة العقل^(١) طول الحزن .
 سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن أحمد الفراء
 يقول : سمعت أبا الحسين الوراق يقول ، سألت أبا عثمان الحيرى يوماً عن الحزن فقال :
 الحزين لا يتفرغ إلى سؤال الحزن ، فاجتهد في طلب الحزن ، ثم سل .

باب الجوع وترك الشهوة

قال الله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾^(١)
ثم قال في آخر الآية : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على
مقاساة الجوع .

وقال تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢)
أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال : حدثنا عبد الله
ابن أيوب قال : حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال : حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال :
حدثنا محمد بن عبد الله عن أنس بن مالك أنه حدثه قال « جاءت فاطمة ، رضى الله عنها ،
بكسرة خبز لرسول الله ﷺ فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ » .

قالت : قرص خبزته ، ولم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة .
فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .

وفي بعض الروايات : جاءت فاطمة ، رضى الله عنها ، بقرص شعير .
ولهذا كان الجوع من صفات القوم^(٣) ، وهو أحد أركان المجاهدة ، فإن أرباب السلوك
تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع ، وكثرت
الحكايات عنهم في ذلك .

سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول :
سمعت ابن سالم يقول : أدب الجوع أن لا ينقص^(٤) من عادته إلا مثل أذن السنور .
وقيل : كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة عشر يوماً ، فإذا دخل شهر
رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال ، وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح^(٥) .
وقال يحيى بن معاذ : لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا
السوق أن يشتروا غيره .

(٤) أى الصوفية .

(٥) أى العيد .

(٦) الخالص .

(١) أية ١٥٥ من سورة البقرة .

(٢) خصاصة : فقر وحاجة .

(٣) أية ٩ من سورة الحشر .

أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله قال : حدثنا علي بن الحسين الأرجاني قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الأصطخري بمكة - حرسها الله تعالى - قال : قال سهل بن عبد الله :

لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع : المعصية والجهل ، وجعل في الجوع : العلم والحكمة .

وقال يحيى بن معاذ :

الجوع للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

دخل بعضهم على بعض الشيوخ ، فرآه يبكي ، فقال له : مالك تبكي ؟

فقال : إني جائع .

فقال : ومثلك يبكي من الجوع ؟!

فقال : اسكت ، أما علمت أن مراده من جوعى أن أبكى .

سمعت أبا عبد الله الشيرازي ، رحمه الله ، يقول : حدثنا محمد بن بشر قال : حدثنا الحسين بن منصور قال : حدثنا داود بن معاذ قال : سمعت مَخْلَدًا^(١) يقول :

كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام ، فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ، ولا يشبع من شيء يأكله .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الغزالي يقول : سمعت محمد بن علي يقول : سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء يقول : دخل أبو تراب النخشي من بادية البصرة مكة - حرسها الله تعالى - فسألناه عن أكله ، فقال : خرجت من البصرة .. وأكلت بنباج^(٢) . ثم بذات عرق .. ومن ذات عرق إليكم . فقطع البادية بأكلتين .

وسمعته يقول : حدثنا علي بن النحاس المصري قال : حدثنا هارون بن محمد الدقاق قال : حدثنا أبو عبد الرحمن بن الدرقش قال : حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت عبد العزيز بن عمير يقول : تجوّع صنف من الطير أربعين صباحا ، ثم طاروا في الهواء ، فرجعوا بعد أيام ، فكان يفوح منهم رائحة المسك .

(١) وفي نسخة مجالدا .

(٢) قرية بالبادية .

وكان سهل بن عبد الله إذا جاع قوى ، وإذا أكل شيئاً ضعف .
وقال أبو عثمان المغربي : الرباني لا يأكل في أربعين يوماً ، والصمداني في ثمانين يوماً .

وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله يقول : سمعت محمد بن العلوي يقول :

سمعت علي بن إبراهيم القاضي بدمشق ، يقول سمعت محمد بن علي بن خلف يقول :
سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : مفتاح الدنيا الشبع ،
ومفتاح الآخرة الجوع .

سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول : سمعت علي بن الحسين الأرجاني يقول :
سمعت أبا محمد الإصطخري يقول : سمعت سهل بن عبد الله ، وقيل له : الرجل يأكل في
اليوم أكلة ، فقال أكل الصديقين . قال : فأكلتين قال : أكل المؤمنين . قال : فتلاثة قال : قل
لأهلك يبنون لك معلفاً .

وسمعت يقول : حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدثنا أبو بكر السائح قال : سمعت
يحيى بن معاذ يقول : الجوع نور ، والشبع نار ، والشهوة مثل الخطب يتولد منه الاحتراق ،
ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول : دخل يوماً
رجل من الصوفية على شيخ ، فقدم إليه طعاماً .. ثم قال له : منذ كم يوم لم تأكل ؟ .
فقال : منذ خمسة أيام . فقال جوعك جوع بخل !! عليك ثياب وأنت تجوع ؟ ! ليس هذا
جوع فقر ! .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول : سمعت
العباس بن حمزة يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : قال أبو سليمان الداراني :
لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلى من أن أقوم الليل إلى آخره .

وسمعت يقول سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازي يقول :
اشتهد أبو الخير العسقلاني السمك سنين ، ثم ظهر له ذلك من موضع حلال ، فلما مد يده
إليه ليأكل أخذت شوكة من عظامه أصبعه ، فذهبت في ذلك يده ، فقال : يارب ، هذا لمن مد
يده بشهوة إلى حلال ، فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام ؟ .

سمعت الأستاذ أبو بكر بن فورك يقول :

شغل العيال^(١) نتيجة متابعة الشهوة بالحلال ، فما ظنك بقضية شهوة الحرام ؟ .

سمعت رستم الشيرازي الصوفي يقول : كان أبو عبد الله بن خفيف في دعوة فمدَّ واحد من أصحابه يده إلى الطعام قبل الشيخ ، لما كان به من الفاقة ، فأراد بعض أصحاب الشيخ أن ينكروا عليه لسوء أدبه ، حيث مدَّ يده إلى الطعام قبل الشيخ ، فوضع شيئاً بين يدي هذا الفقير ، فعلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه ، فاعتقد^(٢) أن لا يأكل خمسة عشر يوماً ، عقوبة لنفسه ، وتأديباً لها ، وإظهاراً لتوبته من سوء أدبه ، وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : حدثنا أبو الفرج الورثاني قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث ، قال : حدثنا سليمان بن داود قال : حدثنا جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول :
من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق^(٣) الشيطان من ظله .

وسمعت يقول : سمعت منصور بن عبد الله الاصبهاني يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول :

إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ، وأمروه بالكسب .
سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، حاكياً عن بعض المشايخ أنه قال : إن أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم ، فلذلك افتضحوا .

وسمعت يقول : قيل لبعضهم : ألا تشتهي ؟ فقال : أشتهى ولكن أحتمى .
قال : وقيل لبعضهم : ألا تشتهي ؟ فقال : اشتهى أن لا أشتهى وهذا أتم .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : أخبرنا أحمد بن منصور قال : أخبرنا ابن مخلد قال : حدثنا أبو الحسين الحسن بن عمرو بن الجهم قال : سمعت أبا نصر التمار ، يقول :

أتاني بشر ليلة ، فقلت : الحمد لله الذي جاء بك ، جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت ، وباعته ، واشترت لنا لحماً ، فتفطر عندنا .

(١) أي الاشتغال بهم .

(٢) عزم .

(٣) يفرق : يخاف ، وفي نسخه « يفر » .

فقال : لو أكلت عند أحد أكلت عندكم ثم قال : إني لأشتهي الباذنجان منذ سنين ، ولم يتفق لى أكله !! فقلت : إن فيها الباذنجان من الحلال . فقال : حتى يصفو لى حب الباذنجان . سمعت عبد الله بن باكويه الصوفى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا أحمد الصغير يقول : أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب ، لإفطاره ، فليلة أسفقت عليه ، فحملت إليه خمس عشرة حبة ، فنظر إلى وقال : من أمرك بهذا ؟ وأكل عشر حبات ، وترك الباقي .

سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الفرغانى يقول : سمعت أبا الحسين الرازى يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت أبا تراب النخشبى يقول :

ما تمتت نفسى من الشهوات ، إلا مرة واحدة ، تمتت خبزاً وبيضاً وأنا فى سفر ، فعدلتُ إلى قرية ، فقام واحد وتعلق بى وقال : هذا كان مع اللصوص . فضربونى سبعين درة . ثم عرفنى رجل منهم ، فقال : هذا أبو تراب النخشبى !! فاعتذروا إلى ، فحملنى رجل إلى منزله ، إكراماً لى ، وشفقة على .. وقدم لى خبزاً وبيضاً ، فقلت لنفسى : كلى عد سبعين درة !.

باب الخشوع والتواضع

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾^(١) .
 أخبرنا أبو الحسن عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى ، قال : أخبرنا
 أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري ، قال حدثنا علي بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن حماد
 قال : حدثنا شعبة ، عن أبان بن ثعلب ، عن فضل الفقيمي ، عن إبراهيم النخعي ، عن
 علقمة بن قيس ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة من في
 قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فقال رجل :
 يا رسول الله ، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا . فقال : إن الله تعالى جميل يحب الجمال ،
 الكبر من بطن الحق^(٢) ، وغمص^(٣) الناس » .

وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا محمد
 ابن الفضل بن جابر قال حدثنا أبو إبراهيم قال : حدثنا علي ابن مسهر ، عن مسلم الأعور ،
 عن أنس بن مالك ، قال : « كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويشيع الجنائز ، ويركب
 الحمار ، ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بجبل من ليف ، عليه
 إكاف^(٤) من ليف » .

الخشوع : الانقياد للحق .

والتواضع : هو الاستسلام للحق ، وترك الاعتراض على الحكم .

وقال حذيفة : أول ما تفقدون من دينكم : الخشوع

وسئل بعضهم عن الخشوع ، فقال :

الخشوع : قيام القلب بين يدي الحق ، سبحانه ، بهم^(٥) مجموع .

(٤) برذعة .

(٥) أى همة عظيمة .

(١) آية ١ ، ٢ من سورة المؤمنون .

(٢) أى : رده وإبطاله .

(٣) غمص احتقار والحديث رواه مسلم .

وقال : من علامات الخشوع للعبد : أنه إذا أغضب أو خولف ، أورد عليه أن يستقبل ذلك بالقبول .

وقال بعضهم : خشوع القلب : قيد العيون عن النظر .

وقال محمد بن علي الترمذی : الخاشع : من خمدت نيران شهوته ، وسكن دخان صدره ، وأسرق نور التعظيم في قلبه ، فماتت شهوته ، وحيى قلبه ، فخشعت جوارحه .

وقال الحسن البصري : الخشوع : الخوف الدائم اللازم للقلب .

وسئل الجنيد عن الخشوع ، فقال : تذلل القلوب لعلام الغيوب .

قال الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾^(١) .

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول ما معناه : متواضعين ، متخاشعين .

وسمعته يقول : هم الذين لا يستحسنون شسع نعالهم إذا مشوا .

واتفقوا على أن الخشوع محله القلب .

ورأى بعضهم رجلاً منقبض الظاهر ، منكسر الشاهد^(٢) ، قد زوى^(٣) منكبيه ، فقال له :

يا فلان ، الخشوع هاهنا ، وأشار إلى صدره لاهاهنا وأشار إلى منكبيه .

وروى أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يعيث في صلاته بلحيته ، فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »^(٤) .

وقيل ، شرط الخشوع ، في الصلاة أن لا يعرف من على يمينه ومن على شماله .

قال الاستاذ الإمام : ويحتمل أن يقال :

الخشوع ، إطراق السريرة بشرط الأدب بمشهد الحق سبحانه وتعالى .

ويقال : الخشوع ، ذبول يرد على القلب عند اطلاع الرب .

ويقال : الخشوع ، ذوبان القلب وانخاسه عند سلطان الحقيقة .

ويقال : الخشوع ، مقدمات غلبات الهيبة .

ويقال : الخشوع : قشعريرة ترد على القلب بفتة عند مفاجأة كشف الحقيقة .

(١) آية ٦٣ من سورة الفرقان .

(٢) أى غاض البصر .

(٣) جمع .

(٤) رواه الحكيم عن أبي هريرة بسند ضعيف .

وقال الفضيل بن عياض : كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه .
وقال أبو سليمان الداراني : لو اجتمع الناس على أن يضعوني كاتضاعى عند نفسي لما
قدروا عليه .

وقيل : من لم يتضع عند نفسه لم يتضع عند غيره .
وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلا على التراب .
أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا إبراهيم
ابن عبد الله ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن يزيد الفرائضي ، قال : حدثنا محمد بن كثير ،
وهو المصيصي ، عن هارون بن حيان ، عن حصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ،
رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من
خردل من كبر^(١) » .

وقال مجاهد ، رحمه الله : لما أغرق الله سبحانه ، قوم نوح شمخت الجبال ، وتواضع
الجدوى^(٢) ، فجعله الله سبحانه ، قرارا لسفينة نوح عليه السلام .
وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يسرع في المشي ، ويقول : إنه أسرع للحاجة ،
وأبعد من الزهو .

وكان عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، يكتب ليلة شيئا ، وعنده ضيف ، فكاد
السراج . ينطفئ ، فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه ، فقال :
لا : ليس من الكرم استخدام^(٣) الضيف .
قال : فأنبه الغلام .

قال : لا ، هي أول نومه نامها .
فقام إلى البطة^(٤) ، وجعل الدهن في المصباح ، فقال الضيف :
قمت بنفسك يا أمير المؤمنين !! .

فقال له عمر : ذهبت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر .
وروى أبو سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ : كان يعلف البعير ، ويقم^(٥)

(٤) التي فيها الدهن .

(٥) يكنسه .

(١) رواه مسلم .

(٢) جبل .

(٣) وفي نسخة « استعمال » .

البيت ، ويخفف^(١) النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معه إذا أعيأ^(٢) ، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصفح الغنى والفقر ، ويسلم مبتدئاً ، ولا يحتقر ما دعى إليه ، ولو إلى حشف^(٣) التمر ، وكان هين المؤنة^(٤) ، لين الخلق ، كريم الطبيعة^(٥) جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، بساماً من غير ضحك ، محزوناً من غير عبوسة ، متواضعاً من غير مذلة ، جواداً من غير سرف ، رقيق القلب ، رحباً بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شبع ، ولم يمد يده إلى طمع .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول : سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول : سمعت مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : قراء الرحمن ، عز وجل ، أصحاب خشوع وتواضع ، وقراء القضاة^(٦) أصحاب عجب وتكبر .

وقال الفضيل بن عياض : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب . وسئل الفضيل عن التواضع ، فقال : تخضع للحق ، وتنقاد له وتقبله ممن قاله . وقال الفضيل : أوحى الله ، سبحانه وتعالى ، إلى الجبال : أنى مكلم على واحد منكم نبيا . فتطاولت الجبال ، وتواضع « طور سينا » ، فكلم الله سبحانه عليه موسى ، عليه السلام ، لتواضعه .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن على بن جعفر ، يقول : سمعت ابراهيم بن فاتك ، يقول : سئل الجنيد عن التواضع ، فقال : خفض الجناح للخلق ، ولين الجانب لهم .

وقال وهب : مكتوب فى بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب : « إني أخرجت الذر^(٧) من صلب آدم ، فلم أجد قلباً أشد تواضعاً من قلب موسى ، عليه السلام ، فلذلك اصطفتيه وكلمته » .

(١) يحز .

(٢) تعب .

(٣) أردأ التمر : وهو الذى يجف من غير نضج ولا إدراك .

(٤) أى يرضى بما تيسر منها ولا يتكلف الزيادة .

(٥) أى كرمًا جبليًا بدون تكلف .

(٦) الولاة .

(٧) أى بنى آدم .

وقال ابن المبارك : التكبر على الأغنياء ، والتواضع للفقراء من التواضع .
 وقيل لأبي يزيد : متى يكون الرجل متواضعا ؟ .
 فقال : إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً ، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه .
 وقيل : التواضع نعمة لا يحسد عليها ، والكبر محنة لا يرحم عليها . والعز في التواضع فمن
 . طلبه في الكبر لم يجده .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول :
 سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : للشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والحرية في
 القناعة .

وسمعه أيضاً يقول : سمعت الحسن السائى يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول :
 بلغنى أن سفيان الثوري قال : أعز الخلق خمسة أنفس :
 عالم زاهد ، وفقه صوفي ، وغني متواضع ، وفقير شاكِر ، وشريف سني .
 وقال يحيى بن معاذ : التواضع حسن في كل أحد لكنه في الأغنياء أحسن ، والتكبر سمج في
 كل أحد لكنه في الفقراء أسمع !! .

وقال ابن عطاء : التواضع : قبول الحق ممن كان .
 وقيل : ركب زيد بن ثابت ، فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه ، فقال له :
 مه^(١) يا ابن عم رسول الله . فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .
 فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس فقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل رسول الله
 . ﷺ

وقال عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وعلى عاتقه قرية ماء ،
 فقلت :

يا أمير المؤمنين ، لا ينبغي لك هذا !! .

فقال : لما أتاني الوفود سامعين مطيعين ، دخلت في نفسي نخوة^(٢) فأحببت أن أكسرها ..
 ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إنائها .

(١) اكفف وامتنع .

(٢) كبر وعظمة .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول :
رؤى أبو هريرة ، وهو أمير المدينة ، وعلى ظهره حزمة حطب ، وهو يقول : طرقتوا^(١)
للأمير .

وقال عبد الله الرازي : التواضع ترك التمييز في الخدمة .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن أحمد بن هارون يقول :
سمعت محمد بن العباس الدمشقي يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت
أبا سليمان الداراني يقول :

من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة .

وقال يحيى بن معاذ : التكبر^(٢) على من تكبر عليك بماله تواضع .

وقال الشبلي رحمه الله : ذلى عطل ذل اليهود^(٣) .

وجاءه رجل ، فقال له الشبلي : ما أنت ؟ .

فقال : ياسيدي النقطة التي تحت الباء^(٤) .

فقال له : أنت شاهدي^(٥) ، ما لم نجعل لنفسك مقاماً .

وقال ابن عباس ، رضى الله عنها ، من التواضع أن يشرب الرجل من سؤره^(٦) أخيه .

وقال بشر : سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم .

وقال شعيب بن حرب : بينا أنا في الطواف إذ لكزني إنسان بمرافقه ، فالتفت إليه ، فإذا هو
الفضيل بن عياض ، فقال : يا أبا صالح ، إن كنت تظن أنه شهد الموسم شر مني ومنك فبئس
ما ظننت !! .

وقال بعضهم رأيت في الطواف إنساناً بين يديه « شاكرية^(٧) » يمنعون الناس لأجله عن
الطواف .. ثم رأيت بعد ذلك بئدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئاً ..

(١) أوسعوا الطريق .

(٢) المقصود به الإعراض .

(٣) ذل اليهود المذكور في قوله تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا ﴾ .
والمعنى : أن ذلى في نفس أعظم من ذل اليهود في أنفسهم ، لأن ذلهم قهري ، وذلى عن علم بما عليه نفسى من النقص .

(٤) فتميز الباء عن غيرها من الحروف كذلك حاله متميزاً عن غيره من المخلوقات .

(٥) حاضري يعنى : حالك مستقيم .

(٦) بقية مشروب .

(٧) أى : يشكرونه ويمدحونه .

فتعجبت منه ، فقال لى :

أنا تكبرت فى موضع يتواضع الناس هناك ، فابتلانى الله ، سبحانه ، بالتذلل فى موضع يترفع فيه الناس .

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم ، فكتب إليه عمر : « بلغنى أنك اشتريت فصاً بألف درهم ، فإذا أتاك كتابى هذا فبع الخاتم ، وأشبع ألف بطن واتخذ خاتماً من درهمن ، واجعل فصه حديداً صينياً ، واكتب عليه « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

وقيل : عرض على بعض الأمراء مملوك بألف درهم ، فلما أحضر الثمن استكثره فبدا له فى شرائه ، فردَّ الثمن إلى الخزانة ! فقال العبد :

يا مولاي ، اشتري ، فإن فى بكل درهم من هذه الدراهم خصلة تساوى أكثر من ألف درهم ، فقال : وما هى ؟ فقال : أقلها وأدناها مالو اشتريتنى وقدمتنى على جمع ممالكك لا أغلظ فى نفسى ، وأعلم أنى أنا عبدك فاشتره .

وحكى عن رجاء بن حيوة أنه قال : قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب بائى عشر درهماً ، وكانت : قباء ، وعمامة ، وقميصاً ، وسراويل ، وخفين ، وقلنسوة .

وقيل : مشى عبد الله بن محمد بن واسع مشياً لا يحمداً^(١) فقال له أبوه : وتدرى بكم اشتريت أمك . بثلاثمائة درهم ، وأبوك لا أكثر الله فى المسلمين مثله أباً ، وأنت تمشى هذه المشية !!

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أحمد بن الفراء يقول : سمعت عبد الله بن منازل يقول : سمعت حمدون القصار يقول :

التواضع : أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة ، لا فى الدين ، ولا فى الدنيا . وقال إبراهيم بن أدهم : ما سررت فى إسلامى إلا ثلاث مرات :

مرة كنت فى سفينة ، وفيها رجل مضحك^(٢) كان يقول : كنا نأخذ العليج^(٣) فى بلاد الترك هكذا (وكان يأخذ بشعر رأسى ، وهزنى) ، فيسرنى ذلك ، لأنه لم يكن فى السفينة أحد أحقر فى عينه منى .

(٣) الرجل من الكفار .

(١) متبخراً .

(٢) كبير الضحك .

والأخرى : كنت علياً في مسجد ، فدخل المؤذن ، وقال اخرج ، فلم أطق ، فأخذ برجلي وجرتني إلى خارج المسجد .

والثالثة : كنت بالشام ، وعلى فرو ، فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل ، لكثرة ، فسرنى ذلك .

وفى حكاية أخرى عنه قال : ما سررت بشيء كسرورى أنى كنت يوماً جالساً فجاء إنسان وبال على .

وقيل : تشاجر أبو ذر وبلال ، رضى الله عنها ، فعير أبو ذر بلالاً بالسواد . فشكاه إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا أبا ذر ، إنه بقى فى قلبك من كبر الجاهلية شيء . فالتقى أبو ذر نفسه .. وحلف أن لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه .. فلم يرفع حتى فعل بلال ذلك .

ومر الحسن بن على ، رضى الله عنها ، بصبيان معهم كسر خبز ، فاستضافوه ، فنزل ، وأكل معهم ، ثم حملهم إلى منزله ، وأطعمهم ، وكساهم ، وقال : اليد^(١) لهم ، لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ، ونحن نجد أكثر منه .

وقيل : قسم عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، الحلل بين الصحابة من غنيمة ، فبعث إلى معاذ حلة يمانية ، فباعها واشترى ستة أعبد ، وأعتقهم . فبلغ عمر ذلك ، فكان يقسم الحلل بعده ، فبعث إليه حلة دون تلك ، فعاتبه معاذ ، فقال له عمر : لا معاتبة ، لأنك بعت الأولى .

فقال معاذ : وما عليك ، ادفع إلى نصيبى ، وقد حلفت لأضربن بها رأسك^(٢) . فقال عمر : هذا رأسى بين يديك ، وقد يرفق الشيخ بالشيخ .

(١) النعمة .

(٢) أى لأضربن رأسك بهذه الحلة .

باب مخالفة النفس وذكر عيوبها

قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١) .

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد قال : أخبرنا تمام قال : حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري قال : حدثنا علي بن أبي علي بن عتبة بن أبي لهب ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أخوف ما أخاف على أمتي : اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة »^(٢) .

ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة ، وقد سئل المشايخ عن الإسلام ، فقالوا : ذبح النفس بسيف المخالفة .

واعلم أن من نجمت طوارق نفسه^(٣) أفلت^(٤) شوارق أنسه .

وقال ذو النون المصري : مفتاح العبادة : الفكرة ، وعلامة الإصابة : مخالفة النفس والهوى ، ومخالفتها ترك شهواتها .

وقال ابن عطاء : النفس مجبولة على سوء الأدب ، والعبد مأمور ببلازمة الأدب ، فالنفس تجرى بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يردها بجهد من سوء المطالبة ، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عمر الأنماطى يقول : سمعت الجنيد يقول : النفس الأمانة بالسوء : هى الداعية إلى المهالك ، المعينة للأعداء المتبعة للهوى ، المتهممة بأصناف الأسواء .

وقال أبو حفص : من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها في جميع الأحوال ، ولم

(١) آية ٤٠ من سورة النازعات .

(٢) رواه ابن عدى عن جابر بسند ضعيف .

(٣) ظلمت آثار خاطره .

(٤) غربت من قلبه .

يجرها إلى مكروهاها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكتها .

وكيف يصح لعاقِل : الرضا عن نفسه ، والكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل ، يقول : ﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^(١) .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول : سمعت ابن عطاء يقول : قال الجنيد : أرقت ليلة ، فقممت إلى وردى^(٢) ، فلم أجد ما كنت أجد من الخلوة والتلذذ بمناجاتي لربي ، فتحيرت ، فأردت أن أنام ، فلم أقدر عليه ، فقعدت ، فلم أطق القعود ، ففتحت الباب ، وخرجت ، فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بي ، رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم ، إلى الساعة^(٣) فقلت : ياسيدي من غير موعد ؟ فقال : بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك^(٤) .

فقلت : فقد فعل فما حاجتك ؟

فقال : متى يصير داء النفس دواؤها .

فقلت : إذا خالفت النفس هواها صار دواؤها دواؤها .

فأقبل على نفسه ، وقال : اسمعي ، قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ، فقد سمعت ، وانصرف عني ولم أعرفه . ولم أقف عليه بعد .

وقال أبو بكر الطمستاني : النعمة العظمى الخروج من النفس ، لأنه أعظم حجاب ببنك وبين الله عز وجل .

وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى .

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عمر الأنطاقي يقول : سمعت ابن عطاء ، وقد سئل عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى ، فقال :

(١) آية ٥٣ من سورة يوسف .

(٢) من الصلاة .

(٣) أي تأخرت عني .

(٤) أي قالوت الذي طلبت فيه منه هو أول ما حركك ، فهو الداء .

رؤية النفس وأحوالها ، وأشدُّ من ذلك مطالعة الأعراض على أفعالها^(١) .

وسمعته يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول كنت في جبل « اللكام^(٢) » فرأيت رماناً فاشتهيته .. فدنوت منه ، فأخذت منه واحدة ، فشققتها ، فوجدتها حامضة ، فمضيت ، وتركت الرمان ، فرأيت رجلاً مطروحاً ، قد اجتمع عليه الزناير ، فقلت : السلام عليك . فقال : وعليك السلام يا إبراهيم ، فقلت له : وكيف عرفتنى ؟ فقال : من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء . فقلت : أرى لك حالاً مع الله تعالى ، فلو سألته أن يحميك ويقيك الأذى من هذه الزناير ؟ فقال : وأنا أرى لك حالاً مع الله تعالى ، فلو سألته أن يقيك شهوة الرمان !! فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ، ولدغ الزناير يجد ألمه في الدنيا . فتركته ومضيت .

وحكى عن إبراهيم بين شيبان أنه قال : مايت تحت سقف ، ولا في موضع عليه غلق أربعين سنة ، وكنت أشتهى في أوقات أن أتناول شبة عدس ، فلم ، يتفق .. فكنت وقتاً بالشام ، فحمل إلى غضارة^(٣) فيها عدس ، فتناولت منه ، وخرجت .. فرأيت قوارير^(٤) معلقة فيها شيء شبه « نمودجات^(٥) » .. فظننته خلا .. فقال لى بعض الناس : إيش تنظر هذه نمودجات الخمر ، وهذه الدنان خمر .

فقلت في نفسى : لزمنى فرض .. فدخلت حانوت الخمار ، ولم أزل أصب تلك الدنان وهو يتوهم أنى أصبها بأمر السلطان .. فلما علم ، حملنى إلى ابن طولون .. فأمر بضربى مائتى خشبة .. وطرحنى فى السجن .. فبقيت فيه مدة ، حتى دخل أبو عبد الله المغربى استاذى ذلك البلد ، فشفع لى ، فلما وقع بصره على ، قال :

إيش فعلت ؟ فقلت : شبة عدس ومائتى خشبة فقال لى : نجوت مجاناً^(٦) .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السرى السقطى يقول :

(١) أى تطلع العيد إلى الجزاء على أعماله وفى نسخة : ومطالعة الأعراض .

(٢) بلدة بالشام .

(٣) آنية من طين .

(٤) آنية من زجاج .

(٥) قطرات من مانع .

(٦) أى بلا عقوبة فى الآخرة بعد هذه العقوبة الدنيوية .

إن نفسى تطالبني ، منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة ، أن أغمس جزرة في دبس^(١) فما أطعتها^(٢) .

وسمعتة يقول : سمعت جدى يقول : آفة العبد : رضاه من نفسه بما هو فيه .
وسمعتة يقول : سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سمعت الحسين بن على
القرمسينى يقول : وجه عصام بن يوسف البلخى شيئاً إلى حاتم الأصم ، فقبله منه .
فقليل له : لم قبلته ؟ .

فقال : وجدت فى أخذه ذلٌّ وعزه ، وفى رده عزى وذله ، فاخترت عزه على عزى وذلى على
ذله .

وقيل لبعضهم : إني أريد أن أحج على التجريد .
فقال له : جرد أولاً قلبك عن السهو ، ونفسك عن اللهو ، ولسانك عن اللغو ، ثم اسلك
حيث شئت .

وقال أبو سليمان الداراني :
من أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ، ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله ، ومن صدق فى ترك
شهوة كفى مؤنتها ، والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة لأجله .
وأوحى الله سبحانه إلى داود عليه السلام .
يا داود ، حذر ، وأنذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها
عنى محجوبة .

وروى رجل جالساً^(٣) فى الهواء ، فقليل له : بم تلت هذا ؟
فقال : تركت الهوى فسخر لى الهواء .
وقيل : لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف ، ولو عرض للفاجر شهوة واحدة
لأخرجته من الخوف .

وقيل : لا تضع زمامك فى يد الهوى ، فإنه يقودك إلى الظلمة .

(١) الدبس : غسل النمر وغسل النحل .

(٢) وفى نسخة « فما أطعتها » .

(٣) وفى نسخة « جالس » .

وقال يوسف بن أسباط : لا يحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج^(١) أو شوق مقلق^(٢) .

وقال الخواص : من ترك شهوة ، فلم يجد عوضها في قلبه ، فهو كاذب في تركها .
وقال جعفر بن نصير : دفع إلى الجنيد درهماً ، وقال : اشتر لي به التين الوزيري ،
فاشتريته له ، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه ، ثم ألقاها ، وبكى ، وقال : احمله .
فقلت له في ذلك ، فقال : هتف في قلبي أما تستحي ؟ شهوة تركتها من أجل^(٣) ثم تعود إليها .

وأنشدوا :

نون الهوان من الهوى مسروقة وصرع كل هوى صريع هوان
وأعلم أن للنفس أخلاقاً ذميمة ، فمن ذلك : الحسد

(١) كامل .

(٢) قوى .

(٣) في نسخة من أجله .

باب الحسد

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾
ثم قال : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾
فختم السورة التي جعلها عوذة^(١) بذكر الحسد .

أخبرنا أبو الحسين الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال : حدثنا إسماعيل ابن الفضل قال : حدثنا يحيى بن مخلد ، قال : حدثنا معا في ابن عمران ، عن الحارث بن شهاب ، عن معبد ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود قال : إن النبي ﷺ قال : ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن :

إياكم والكبر ، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم .
وإياكم والحرص ، فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة .
وإياكم والحسد ، فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً^(٢) .
وقال بعضهم : الحاسد جاحد ، لأنه لا يرضى بقضاء الواحد .
وقيل : الحسود لا يسود .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾^(٣) ، قيل ما بطن : الحسد ، وفي بعض الكتب : الحاسد عدو نعتى .
وقيل : أثر الحسد يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك .
وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً أتى عليه مائة وعشرون سنة ، فقلت له : ما أطول عمرك . فقال : تركت الحسد فقيت .
وقال ابن المبارك : الحمد لله الذي لم يجعل في قلب أميرى ما جعله في قلب حاسدى .

(١) عوذة بفتح العين وضمتها : أى : تعويذاً .

(٢) رواه ابن عساكر عن ابن مسعود .

(٣) آية ٣٣ سورة الأعراف .

وفي بعض الآثار^(١) إن في السماء الخامسة ملكاً يمر به عمل عبد ، له ضوء كضوء الشمس ، فيقول له الملك : قف فأنا ملك الحسد ، اضرب به وجه صاحبه ، فإنه حاسد .
وقال معاوية : كل إنسان أقدر على أن أرضيه ، إلا الحاسد ، فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة .

ويقال : الحاسد ظالم غشوم ، لا يبقى ولا ينز .
وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد : غم دائم ونفس متتابع .

وقيل : من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ، ويفتأب إذا غاب ، ويشمت بالمصيبة إذا نزلت .

وقال معاوية : ليس في خلال^(٢) الشر خلة أعدل من الحسد ، تقتل الحاسد قبل المسحود^(٣) .

وقيل : أوحى الله ، سبحانه ، إلى سليمان بن داود ، عليهما السلام : أوصيك بسبعة أشياء : لا تغتابن صالح عبادي ، ولا تحسبن أحداً من عبادي .
فقال سليمان :

يارب ، حسبى .

وقيل : رأى موسى عليه السلام ، رجلاً عند العرش فغبطه^(٤) ، فقال : ما صفته ؟ فقيل :

كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله .

وقيل : الحاسد إذا رأى نعمة بهت ، وإذا رأى عثرة شمت .

وقيل : إذا أردت أن تسلم من الحاسد ، فلبس عليه أمر^(٥) .

وقيل : الحاسد مغتاز على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه .

وقيل : إياك أن تتعنى^(٦) في مودة من يحسبك ، فإنه لا يقبل إحسانك .

(١) وفي نسخة « الأخبار » .

(٢) خصال .

(٣) وفي « نسخة يقتل الحاسد » أى : هماً وغماً ، « كما قتل المسحود » أى : يزوال نعمه أن زالت .

(٤) أى تمنى أن ينال مثل ما ناله .

(٥) أى استر نعم الله عليك .

(٦) تعب نفسك .

وقيل : إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده :
وأنشدوا :

وحسبك من حادث بامرئٍ ترى حاسديه له راحمينا
وأنشدوا :

كلُّ العداوة قد ترجى إمامتها^(١) إلا عداوة من عاداك من حسد
وقال ابن المعتز :

قل للحسود إذا تنفس : طعنة^(٢) يا ظالماً وكأنه مظلوم
وأنشدوا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
ومن الأخلاق المذمومة للنفس : اعتياد الغيبة .

(١) وفي نسخة « مودتها » .

(٢) أى : رزقك الله بطعنه .

باب الغيبة

قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ، أُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾^(١) الآية .

أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل ، قال : حدثنا علي بن الحسن قال : حدثنا إسحق بن عيسى ابن بنت داود ابن أبي هند ، قال حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة : أن رجلاً قام ، وهو مع رسول الله ﷺ قبل ذلك جالس ، فقال بعض القوم : ما أعجز فلاناً ، فقال ﷺ :

أكلتم أخاكم واغتبتموه^(٢)

وأوحى الله ، سبحانه إلى موسى عليه السلام :

« من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار » .

وقال عوف : دخلت على ابن سيرين ، فتناولت الحجاج^(٣) ، فقال ابن سيرين : إن الله تعالى ، حكم عدل ، فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج ، وإنك إذا لقيت الله عز وجل غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

وقيل : دعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة ، فحضر ، فذكروا رجلاً لم يأتهم ، فقالوا : إنه ثقیل ! فقال إبراهيم : إنما فعل بي هذا نفسي ، حيث حضرت موضعاً يفتاب فيه الناس ، فخرج ، ولم يأكل ثلاثة أيام .

وقيل : مثل الذي يفتاب الناس ، كمثل من نصب « منجنيقاً » يرمى به حسناته شرقاً وغرباً ، يفتاب واحداً خراسانياً ، وآخر تركياً ، فيفرق حسناته ، ويقوم لا شيء معه .

(١) آية ١٢ من سورة الحجرات .

(٢) رواه أبو يعلى والطبرانی .

(٣) اغتته .

وقيل : يؤتى العبد يوم القيامة كتابه ، فلا يرى فيه حسنة ، فيقول : أين صلاتي ، وصيامي ، وطاعتي ؟؟؟ فيقال : ذهب عملك كله .

وقيل : من اغتیب بغیبة غفر الله له نصف ذنوبه .
وقال سفیان بن الحسین : كنت جالسا عند إياس بن معاوية ، فقلت من إنسان .
فقال لي : هل غزوت في هذا العام الترك والروم ؟ . فقلت : لا .
فقال : سلم منك الترك والروم ، وما سلم منك أخوك المسلم ؟ .
وقيل : يعطى الرجل كتابه . فيرى فيه حسنات لم يعملها . فيقال له :
هذا بما اغتابك الناس وأنت لم تشعر .
وسئل سفیان الثوري عن قوله ﷺ : « إن الله يبغض أهل البيت اللحميين » . فقال : هم
الذين يغتابون الناس : يأكلون لحومهم .

وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك ، فقال :
لو كنت مغتاباً أحداً لاغتابت والدي ، لأنها أحق بحسناتي :
وقال يحيى بن معاذ : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال :
إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تسره فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تدمه :
وقيل للحسن البصري : إن فلانا اغتابك : فبعث إليه طبق حلواء وقال : بلغني أنك
أهديت إلى حسناتك ، فكافأتك :

أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال : أخبرنا أحمد بن
عمرو القطواني قال : حدثنا سهل بن عثمان العسكري قال : حدثنا الربيع بن بدر ، عن
أبان ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« من ألقى جلاباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له »^(١) .

سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول ، سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد الرقي يقول ،
سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول ، قال الجنيد :
كنت جالسا في مسجد « الشونزية » أنتظر جنازة أصلي عليها ، وأهل بغداد ، على

(١) رواه البيهقي عن أنس بسند ضعيف .

طبقاتهم^(١) ، جلوس ينتظرون الجنائز ، فرأيت فقيراً عليه أثر النسك^(٢) يسأل الناس ، فقلت في نفسي ، لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به .

فلما انصرفت إلى منزلي ، وكان لي شيء من الورد بالليل ، حتى البكاء والصلاة وغير ذلك ، فثقل على جميع أورادي ، فسهرت وأنا قاعد ، فغلبتني عيناي .. فرأيت ذلك الفقير .. جاءوا به على خوان ممدود . وقالوا لي : كل لحمه ، فقد اغتبه ! . وكشف لي عن الحال ، فقلت :

ما اغتبه ! إنما قلت في نفسي شيئاً ، ففعل لي :

ما أنت ممن يرضى منك بمثله ، اذهب فاستحله ،

فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء ، عند تزايد^(٣) الماء ، أوراهاً من البقل مما تساقط من غسل البقل ، فسلمت عليه ، فقال يا أبا القاسم ، تعود ؟ فقلت : لا .

فقال : غفر الله لنا ولك .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا طاهر الإسفراييني يقول : سمعت أبا جعفر البلخي يقول : كان عندنا شاب من أهل بلخ ، وكان يجتهد ، ويتعب ، إلا أنه كان أبداً يفتاب الناس ويقول : فلان كذا ، وفلان كذا ، وفلان كذا ، .. فرأيت يوماً عند المختئين^(٤) الغسالين ، خرج من عندهم . فقلت : يا فلان ، ما حالك ؟ .

فقال : تلك الوقعة في الناس^(٥) أوقعتني إلى هذا ، ابتليتُ بمخنث من هؤلاء ، وأنا هوذا أخدمهم من أجله ، وتلك الأحوال كلها قد ذهبت ، فادع الله أن يرحمني .

(١) مراتبهم .

(٢) العبادة .

(٣) وفي نسخة تراء .

(٤) المنشبهين بالنساء في أفعالهم .

(٥) أى : اغتياي لهم .

باب القناعة

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ .
 أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، قال : حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر ،
 قال : حدثنا محمد بن موسى الحلوانى ، قال : حدثنا عبد الله بن ابراهيم الغفارى ، عن
 المنكدر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « القناعة كنز
 لا يفنى »^(١) .

أخبرنا أبو الحسن الأهوازى ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصرى ، قال : حدثنا عبد الله
 ابن أيوب المقرئ قال : حدثنا أبو الربيع الزهرانى ، قال : حدثنا اسماعيل بن زكريا ، عن
 أبي رجاء ، عن برد بن سنان ، عن مكحول ، عن وائلة بن الأسقع ، عن أبي هريرة ، رضى
 الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعًا تكن أشكر
 الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا ، وأقل
 الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب »^(٢) .

وقيل : الفقراء أموات ، إلا من أحياء الله تعالى بعز القناعة .

وقال بشر الحافى : القناعة : ملك لا يسكن إلا فى قلب مؤمن .

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبدا لله بن محمد الشمرانى يقول : سمعت إسحق بن
 ابراهيم بن أبي حسان الأنطاقي يقول : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت
 أبا سليمان الداراني يقول : القناعة^(٣) من الرضا بمنزلة الورع من الزهد ، هذا^(٤) أول الرضا
 وهذا^(٥) أول الزهد .

وقيل القناعة : السكون عند عدم المألوفات .

وقال أبو بكر المرازى : العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويق وأمر الآخرة
 بالحرص والتعجيل ، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد .

(٤) أى منزلة القناعة .

(٥) أى القناعة .

(٦) أى الورع .

(١) آية ٩٧ من سورة النحل .

(٢) القضاء عن أنس بنحوه بسند ضعيف .

(٣) رواه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : القناعة : ترك التشوف إلى المفقود ، والاستغناء بالموجود .
وقيل في معنى قوله تعالى : ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾^(١) يعنى : القناعة .
وقال محمد بن علي الترمذى : القنَاعَةُ : رضا النفس بما قسم لها من الرزق .
ويقال : القناعة : الاكتفاء بالموجود ، وزوال الطمع فيها ليس بحاصل .
وقال وهب : إن العزَّ والغنى خرجا يجولان ، يطلبان رفيقا ، فلقيا القناعة ، فاستقرا .
وقيل : من كانت قناعته سميعة^(٢) طابت له كل مرقه^(٣) ومن رجع إلى الله تعالى على كل حال
رزقه الله القناعة^(٤) .
وقيل : مر أبو حازم بقصاب معه لحم سمين ، فقال : خذ يا أبا حازم فإنه سمين . فقال :
ليس معى درهم .
فقال : أنا أنظرك . فقال : نفسى أحسن نظرة^(٥) لى منك .
وقيل لبعضهم : من أقنع الناس ؟ .
فقال : أكثرهم للناس معونة ، وأقلهم عليهم مؤونة .
وفى الزبور : القانع غنى وإن كان جائعا .
وقيل : وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع :
العز فى الطاعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل ، والحكمة فى البطن الخالى ،
والغنى فى القناعة .
سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت نصر بن محمد يقول :
سمعت سليمان بن أبى سليمان يقول : سمعت أبا القاسم بن أبى نزار يقول : سمعت إبراهيم
المارستانى يقول :
انتقم من حرصك بالقناعة ، كما تنتقم من عدوك بالقصاص .
وقال ذو النون المصرى : من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه .

(١) آية ٥٨ من سورة الحج .

(٢) أى غزيرة كثيرة .

(٣) أى رضى بالقليل المتيسر .

(٤) وهذه العبارة من قوله : ومن رجع . ساقطة فى بعض النسخ .

(٥) أى تأخيرا وصبرا .

وقيل : من قنع استراح من الشغل ، واستطال على الكل .
وقال الكثافي : من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروعة .
وقيل : من تبعت عيناه ما في أيدي الناس طال حزنه .
وأنشدوا :

وأحسنُ بالفتى من يوم عار ينال به الغنى كرم وجوع
وقيل : رأى رجل حكيمًا يأكل ما تساقط من البقل على رأس ماء فقال :
لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا .
فقال الحكيم : وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان .
وقيل : « العقاب^(١) عزيز في مطاره ، لا يسمو إليه طرف^(٢) صياد . ولا طعمه ، فإذا طمع في
جيفة علقت على حباله^(٣) ، نزل من مطاره ، فتعلق في حباله^(٤) .
وقيل : لما نطق موسى عليه السلام ، بذكر الطمع ، فقال : ﴿ لو شئت لتخذت عليه
أجرًا ﴾^(٥) .

قال الخضر له : ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ .
وقيل : لما قال ذلك موسى عليه السلام وقف بين يدي موسى والخضر ، عليهما السلام ظبي
وكانا جائعين ، الجانب الذي يلي موسى عليه السلام غير مشوى ، والجانب الذي يلي الخضر
مشوى .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾^(٦) هو القناعة في الدنيا ، ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ
لَفِي جَحِيمٍ ﴾^(٧) هو : الحرص في الدنيا .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ فَكَ رَقِبةٌ ﴾^(٨) أى : فكها من ذل الطمع .
وقيل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾^(٩) يعنى :
البخل ، والطمع . ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ يعنى : بالسخاء والإيثار .

(٦) آية ١٣ من سورة الانقطار .

(٧) آية ١٤ من سورة الانقطار .

(٨) آية ١٣ من سورة البلد .

(٩) آية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(١) النسر .

(٢) نظر .

(٣) شبكة يصاد بها .

(٤) سبابة .

(٥) آية ٧٧ من سورة الكهف .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾^(١) أى : مقامًا في القناعة أنفرد به من أشكالى ، وأكون راضيًا فيه بقضائك .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ لَا عَذْبُنَّ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾^(٢) معنى : لأسلبه القناعة ، ولأبتليه بالطمع ، معنى : أسأل الله تعالى ، أن يفعل به ذلك .
وقيل لأبى يزيد : بم وصلت إلى ما وصلت ؟ .

فقال : جمعت أسباب الدنيا ، فربطتها بحبل القناعة ، ووضعتها في « منجنيق » الصديق ، ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول : سمعت محمد بن فرحان « بسامرة » يقول : سمعت خالى عبد الوهاب يقول : كنت جالسًا عند الجنيد ، أيام الموسم ، وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين .

فجاءه إنسان بخمسائة دينار ، ووضعها بين يديه ، وقال : تفرّقها على هؤلاء الفقراء .

فقال : ألك غيرها ؟ فقال نعم ، لى دنائير كثيرة ، فقال : أتريد غير ما تملك ؟ فقال : نعم : فقال له الجنيد ، خذها ، فإنك أحوج إليها منّا ولم يقبلها .

(١) آية ٣٥ من سورة ص .

(٢) آية ٢٦ من سورة النمل .

باب التوكل

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ^(١) .

وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) .

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال : حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال : حدثنا أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« أريت الأمم بالموسم ^(٤) ، فرأيت أمتي قد ملثوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم وهينتهم ، فقبل لي : أرضيت ؟ فقلت : نعم . قال : ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، لا يكتوون ، ولا يتطيرون ، ولا يسترقون ، وعلى رءسهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن الأسدي ، فقال :

يا رسول الله ، ادع أن يجعلني منهم .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم اجعله منهم .

فقام آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : « سبقك بها عكاشة » ^(٥) .

سمعت عبداً لله بن يوسف الأصبهاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت أبا بكر الوجيهي يقول : قال أبو علي الروذباري قلت : لعمر بن سنان : احك لي عن سهل بن عبد الله حكاية ، فقال إنه قال : علامة المتوكل ثلاث لا يسأل ، ولا يرد ، ولا يحبس .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول : سمعت أبا موسى الديلمي يقول : قيل لأبي يزيد ، ما التوكل ؟ .

(١) أى موسم الحج .

(٥) متفق عليه .

(١) آية ٣ من سورة الطلاق .

(٢) آية ١١ من سورة إبراهيم .

(٣) آية ٢٣ من سورة المائدة .

فقال لى : ما تقول أنت ؟ فقلت : إن أصحابنا يقولون :

لو أن السباع والأفاعى عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك .

فقال أبو يزيد : نعم ، هذا قريب ، ولكن لو أن أهل الجنة فى الجنة يتمتعون وأهل النار فى النار يعذبون : ثم وقع لك تمييز عليهما^(١) خرجت من جملة التوكل .

وقال سهل بن عبد الله : أول مقام فى التوكل : أن يكون العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل ، يقلبه كيف شاء ، لا يكون له حركة ولا تدبير .

وقال حمدون : التوكل : هو الاعتصام^(٢) بالله تعالى .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البلخى يقول : سمعت محمد ابن حامد يقول : سمعت أحمد خضرويه يقول : قال رجل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : ﴿ وَفِي خَزَائِنِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^(٣) .

واعلم أن التوكل محله القلب ، والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب ، بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى ، فإن تعسر شيء فبتقديره ، وإن اتفق شيء فبتيسيره .

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال : حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال : حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال : حدثنا إسماعيل بن مسعود الجحدري قال : حدثنا خالد بن يحيى قال : حدثني عمى المفيرة بن أبى قره ، عن أنس بن مالك قال : « جاء رجل على ناقة له ، فقال : يارسول الله ، أدعها^(٤) وأتوكل ؟ . فقال : اعقلها وتوكل » .

وقال إبراهيم الخواص : من صَحَّ توكله فى نفسه ، صَحَّ توكله فى غيره .

وقال بشر الحافى : يقول أحدهم : توكلت على الله ، ويكذب على الله تعالى ، لو توكل على الله لرضى بما يفعله الله به .

وسئل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلاً ؟

فقال : إذا رضى بالله تعالى وكلاً .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن على بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن الصامت يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول :

(٣) آية ٧ من سورة المنافقون .

(٤) اتركها .

(١) أى ميزت أحدهما على الآخر .

(٢) الاعتماد عليه .

بينما أنا أسير في البادية ، وإذا بهاتف يهتف ، فالتفت إليه ، فإذا أعرابي يسير فقال لى : يا إبراهيم : التوكل عندنا : أقم عندنا حتى يصح توكلك ، ألم تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة يملكك؟^(١) ، اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل .

وسمعتة يقول سمعت محمد بن أحمد الفلاسى يقول : سمعت ابن عطاء ، وقد سئل عن حقيقة التوكل ، فقال : أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فافتك إليها ، ولا نزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشي ، وهو : طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمانينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر وإن منع صبر .

وكما قال ذو النون : التوكل : ترك تدبير النفس ، والانخلاع^(٢) من الحول والقوة ، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الله سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا الفرج الورثاني يقول : سمعت أحمد بن محمد القرمسينى يقول : سمعت الكتاني يقول : سمعت أبا جعفر بن أبي الفرج يقول : رأيت رجلاً يعرف بـ « جمل عائشة » مع الشطار يضرب بالسياط ، فقلت له :

أى وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل ؟ فقال :

إذا كان من ضربنا لأجله يرانا .

وسمعتة يقول : سمعت عبد الله بن محمد يقول : قال الحسين بن منصور لإبراهيم الخواص : ماذا صنعت في هذه الاسفار ، وقطع هذه المفاوز ؟

قال بقيت في التوكل أصح نفسي عليه .

فقال الحسين : أفيت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد .

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : التوكل : ما قاله أبو بكر الدقاق ، وهو : رد العيش^(٣) إلى يوم واحد ، واسقاط هم غد .

قال : وهو ، كما قال سهل بن عبد الله ، التوكل : الاسترسال مع الله ، تعالى ، على ما يريد .

(٣) أى : هم العيش .

(١) أى على الإقامة فيه .

(٢) أى لتبرى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول سمعت أبا بكر البرذعى يقول ، سمعت أبا يعقوب النهر جورى يقول : التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة^(١) ، ما وقع لإبراهيم ، عليه السلام ، فى الوقت الذى قال لجبريل ، عليه السلام : أما إليك فلا ، لأنه غابت نفسه بالله تعالى ، فلم يرمع الله غير الله عزَّ وجلَّ .

وسمعتُه يقول ، سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول ، سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول ، سمعت ذا النون المصرى ، وسأل رجل فقال ، ما التوكل . فقال : خلع الأرباب^(٢) وقطع الأسباب . فقال السائل : زدنى .

فقال : إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية . وسمعتُه يقول : سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول . سمعت عبد الله بن المبارك يقول : سمعت حمدون القصار ، وسئل عن التوكل ، فقال : إن كان لك عشرة آلاف درهم ، وعليك دائق^(٣) دين ، لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك فى عنقك ، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين ، من غير أن تترك لها وفاء ، لانتأس من الله تعالى أن يقضيه عنك . وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال : التعلق بالله تعالى فى كل حال . فقال السائل : زدنى . فقال : ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك .

وقال سهل بن عبد الله التوكل حال^(٤) النبى ﷺ ، والكسبُ سنته ، فمن بقى على حاله ، فلا يترك سنته : وقال أبو سعيد الخراز : التوكل : اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب^(٥) . وقيل : التوكل : أن يستوى عندك الإكثار والتقليل .

(١) أى : على الحقيقة الكاملة .

(٢) ترك الاعتماد على ما سوى الله .

(٣) الدائق : سدس الدرهم .

(٤) أى صفته وخلقه ومقامه .

(٥) أى جرى وراء الأسباب بلا سكون إليها وسكون إلى الله بلا اضطراب .

وقال ابن مسروق : التوكل : الاستسلام لجريان القضاء والأحكام .
سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول : سمعت أبا عثمان الحيري
يقول : التوكل : الاكتفاء بالله ، تعالى ، مع الاعتماد عليه .
وسمعت : يقول : سمعت محمد بن غالب يحكى عن الحسين بن منصور قال :
توكل المحق لا يأكل شيئا وفي البلد من هو أحق به منه .
وسمعت : يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت منصور بن أحمد الحربي يقول
حكى لنا ابن أبي شيخ قال : سمعت عمر بن سنان يقول :
اجتاز بنا إبراهيم الخواص ، فقلنا له : حدثنا بأعجب ما رأيته في أسفارك ، فقال : لقيني
الخضر عليه السلام ، فسألني الصبغة ، فخشيت أن يفسد عليّ توكل بسكوني إليه . ففارقته .
وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل ، فقال : هو قلب عاش مع الله تعالى بلا علاقة^(١) .
سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول : للمتوكل ثلاث درجات :
التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض .
فالتوكل يسكن إلى وعده^(٢) ، وصاحب التسليم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى
بحكمه .

وسمعت : يقول : التوكل : بداية ، والتسليم : واسطة ، والتفويض نهاية
وسئل الدقاق عن التوكل ، فقال : الأكل بلا طمع .
وقال يحيى بن معاذ :
لبس الصوف^(٣) حانوت^(٤) ، والكلام في الزهد حرفة ، وصحبة القوافل تعرض ، وهذه كلها
علاقات^(٥) .

وجاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال ، فقال :
أرجع إلى بيتك ، فمن ليس رزقه على الله ، تعالى ، فاطرده عنك .

(١) أى بلا تعلق بغيره .

(٢) إلى وعده تعالى في قوله ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ آية ٦ من سورة هود .

(٣) أى : زى الصالحين .

(٤) تسبب .

(٥) أى تعلقات بالأسباب .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت أحمد بن عطاء يقول : قرأت على محمد بن الحسين ، قال سهل بن عبد الله : من طعن في الحركة^(١) فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان .

وسمعت يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت جعفرًا الخلدی يقول : قال إبراهيم الخواص : كنت في طريق مكة ، فرأيت شخصاً وحشياً .. فقلت : جنى أم إنسى ؟ فقال : جنى . فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى مكة . فقلت : بلا زاد ؟ فقال : فينا أيضاً من يسافر على التوكل فقلت : إيش التوكل ؟ فقال : الأخذ من الله تعالى .

وسمعت يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت الفرغاني يقول : كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل ، يدقق فيه ، وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة^(٢) . ومقراض^(٣) فقليل له : يا أبا اسحاق ، لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء ؟

فقال : مثل هذا لا ينقض^(٤) التوكل ، لأن الله ، سبحانه ، علينا فرائض ، والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد ، فربما يتخرق^(٥) ثوبه ، فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته ، فتفسد عليه صلاته ، وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته ، فإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ، ولا خيوط ، فاتهمه في صلاته .

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

التوكل : صفة المؤمنين ، والتسليم : صفة الأولياء ، والتفويض : صفة الموحدين ، فالتوكل : صفة العوام ، والتسليم : صفة الخواص : والتفويض صفة خواص الخواص .

وسمعت يقول ، التوكل صفة الأنبياء ، والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام ، والتفويض : صفة نبينا محمد ﷺ .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول : سمعت أبا جعفر الخدّاد يقول : مكثت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل^(٦) وأنا أعمل في السوق ، وأخذ كل يوم أجرى ، ولا أنتفع منها بشربة ماء ، لا بدخلة حمام ولكن كنت أجيء بأجرى إلى الفقراء في « الشونزية » وأكون مستمرا على حالى .

(٤) أى لا ينافى .

(٥) وفي نسخة : « يتمزق »

(٦) أى عقدته على نفسه .

(١) أى الكسب .

(٢) دلو صغيرة .

(٣) مقص .

وسمعه يقول : سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول : سمعت الخواص يقول : سمعت الحسين أخا سنان يقول :

حجبت أربع عشرة حجة ، حافياً ، على التوكل ، فكان يدخل في رجل شوكة فأذكر أنى قد اعتقدت على نفسى التوكل ، فأحكها في الأرض وأمشى .

وسمعه يقول : سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول : سمعت خيرا النساج يقول : سمعت أبا حمزة يقول : إني لأستحي من الله تعالى أن أدخل البادية وأنا شعبان ، وقد اعتقدت^(١) التوكل ، لئلا يكون سعيي على الشبع زاداً أتزود به .. وسئل حمدون التوكل ، فقال :

تلك درجة لم أبلغها بعد ، وكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال الإيمان ؟ . وقيل : المتوكل كالطفل ، لا يعرف شيئاً يأوى إليه إلا ثدى أمه ، كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه تعالى .

وعن بعضهم قال ؟ كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامى واحدا . فتسارعت حتى أدركته ، فإذا هي امرأة بيدها عكاز ، تمشي على التؤدة .. فظننت أنها أعيت ، فأدخلت يدي في جيبى ، فأخرجت عشرين درهماً ، فقلت : خذها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكثري بها . ثم اتبني الليلة حتى أصلح أمرك . فقالت : بيدها هكذا في الهواء ، فإذا في كفها دنانير ، فقالت : أنت أخذت الدراهم من الجيب ، وأنا أخذت الدنانير من الغيب .

ورأى أبو سليمان الداراني رجلاً بمكة ، لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم . فمضى عليه أيام ، فقال له سليمان يوماً :

أرأيت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب ؟ .

فقام ، وقبل رأسه ، وقال : جزاك الله خيراً ، حيث أرشدتني ، فأنى كنت أعبد^(٢) زمزم منذ أيام . ومضى

وقال إبراهيم الخواص : رأيت في طريق الشام شاباً حدثاً ، حسن المراعاة ، فقال لى : هل لك في الصحبة ؟ فقلت : إني أجوع . فقال : إن جعت جعت معك .

(١) أى : عزمت عليه .

(٢) أى متعلقاً بها ساكناً إلى غير الله .

فبقينا أربعة أيام ، ففتح علينا بشيء ، فقلت : هلم . فقال : اعتقدت^(١) أنى لا آخذ بواسطة فقلت : يا غلام دقت^(٢) . فقال : يا إبراهيم ، لا تبهرج^(٣) ، فأن الناقد بصير ، مالك والتوكل ؟ ثم قال : أقل التوكل : أن ترد عليك موارد الفاقات^(٤) فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات .

وقيل : التوكل : نفى الشكوك ، والتفويض إلى ملك الملوك .
وقيل : دخل جماعة على الجنيد رحمه الله ، فقالوا : أين نطلب الرزق ؟
فقال : إن علمتم فى أى موضع هو ، فاطلبوه منه ، قالوا : فنسأل الله تعالى ذلك .
فقال : إن علمتم أنه ينساكم فذكروه . فقالوا : ندخل البيت فتوكل ؟ فقال : التجربة شك^(٥) .

قالوا : فما الحيلة ؟ فقال : ترك الحيلة .
وقال أبو سليمان الداراني لأحمد بن الحواري :
يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة ، وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك ، فإنى ما شملت منه رائحة .

وقيل : التوكل : الثقة بما فى يد الله تعالى ، واليأس عما فى أيدي الناس .
وقيل التوكل : فراغ السر عن التفكير فى التقاضى فى طلب الرزق .
وسئل الحارث المحاسبى ، رحمه الله ، عن المتوكل : هل يلحقه طمع ؟
فقال : يلحقه من طريق الطباع خطرات ، ولا تضره شيئاً ، ويقويه على إسقاط الطمع اليأس مما فى أيدي الناس .

وقيل : جاع النورى فى البادية ، فهتف به هاتف : أيما أحب إليك سيب أو كفاية^(٦) .
فقال : الكفاية ليس فوقها نهاية ، فبقى سبعة عشر يوماً لم يأكل .

(١) عزمت .

(٢) أى فى الكلام على التوكل .

(٣) لا تمذحنى .

(٤) جمع فاقة . وهى الحاجة .

(٥) أى إن فعلتم ذلك مجربين هل يرزقكم الله أم لا ، يكون ذلك بمثابة الشك فى أن الله ضامن الأرزاق .

(٦) أى قوة تفييه عن الطعام والشراب .

وقال أبو على الروذباري : إذا قال الفقير بعد خمسة أيام : أنا جائع ، فالزموه السوق ، و مروه بالعمل والكسب .

وقيل : نظر أبو تراب النخشي إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام .

فقال له : لا يصلح لك التصوف الزم السوق .

وقال أبو يعقوب الأقطع البصري :

جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً . فحدثني نفسي . فخرجت إلى الوادي ، لعلني أجد شيئاً يسكن ضعفى .. فرأيت « سلجمة^(١) » مطروحة .. فأخذتها .. فوجدت في قلبي منها وحشة .. وكأن قائلاً يقول لي : جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة ، فرميت بها ودخلت المسجد ففقدت ، فإذا أنا برجل أعجمي ، جلس بين يدي ووضع « قمطرة^(٢) » ، وقال : هذه لك .

فقلت : كيف خصصتني بها ؟ . فقال : أعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام . وأشرفت السفينة على الفرق .. فنذر كل واحد منا : إن خلصنا الله ، تعالى ، أن يتصدق بشيء ، ونذرت أنا : إن خلصني الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع بصري عليه من المجاورين^(٣) وأنت أول من لقيته .

فقلت : افتحها . ففتحتها ، فإذا فيها : كعك سميد^(٤) مصري ، ولوز مقشور ، وسكر كعاب^(٥) فقبضت قبضة من ذا ، وقبضة من ذا ، وقبضة من ذا .

وقلت ردّ الباقي إلى صبيانك ، هو هدية مني لكم ، وقد قبلتها^(٦) .

ثم قلت في نفسي : رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي ..

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازي يقول : كنت عند ممشاد الدينوري ، فجرى حديث الدين ، فقال :

كان على دين فاشتغل قلبي . فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول :

يا بخیل ، أخذت علينا هذا المقدار ، خذ ، عليك الأخذ ، وعلينا العطاء

فماحاسببت بعد ذلك بقالا ، ولا قصابا ، ولا غيرهم .

(١) وهو النبات المعروف بـ « اللت » . (٤) الدقيق الجيد .

(٢) القمطرة ، والقمطرة : ما يحفظ فيه الكعب . (٥) معقود .

(٣) أي المجاورين للحرم . (٦) أي القمطرة بما فيها ، فاقبل هديتي للباقي .

ويحكى عن بنان الحمال ، قال : كنت فى طريق مكة حرسها الله أجيء من مصر ، ومعى زاد ، فجاءتنى امرأة ، وقالت لى : يا بنان ، أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد ، وتوهم أنه لا يرزقك ؟؟ . قال فرميت بزادى . ثم أتى على ثلاث « لم أكل » فوجدت خلخالاً فى الطريق .. فقلت فى نفسى : أحمله حتى ييجىء صاحبه ، فربما يعطينى شيئاً فأرده عليه فإذا أنا بتلك المرأة ، فقالت لى : أنت تاجر ؟؟ تقول : حتى ييجىء صاحبه فأخذ منه شيئاً ؟ ثم رمت إليه شيئاً من الدراهم ، وقالت: أنفقها فاكثفت بها إلى قريب من مكة^(١) .

ويحكى عن بنان أنه احتاج إلى جارية تخدمه ، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها ، وقالوا : هو ذا ، ييجىء النفر فتشترى ما يوافقك .

فلما ورد النفر ، اجتمع رأيهم على واحدة ، وقالوا : إنها تصلح له . فقالوا لصاحبها : بكم هذه ؟ فقال : إنها ليست للبيع : فألحوا عليه ، فقال : إنها لبنان الحمال ، أهدتها إليه امرأة من « سمرقند » فحملت إلى بنان ، وذكرت له القصة . سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن الحسين المخزومى يقول : حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال : حدثنا محمد بن عبدون ، قال : حدثنا الحسن الخياط قال : كنت عند بشر الحافى ، فجاء نفر فسلموا عليه ، فقال : من أين أنتم . قالوا : نحن من الشام جئنا لنسلم عليك ، ونريد الحج .

فقال : شكر الله تعالى لكم فقالوا : تخرج معنا . فقال : بثلاثة شرائط لا نحمل معنا شيئاً ، ولا نسأل أحداً شيئاً ، وإن أعطانا أحد شيئاً لا نقبله ؟ قالوا : أما أن لا نحمل ، فنعم . وأما أن لا نسأل ، فنعم ، وأما أن لا نقبل إن أعطينا ، فهذا لا نستطيعه . فقال : خرجتم متوكلين على زاد الحجيج : ثم قال : يا حسن ، الفقراء ثلاثة :

فقير لا يسأل ، وإن أعطى لا يأخذ ، فذاك من جملة الروحانيين . وفقير لا يسأل ، وإن أعطى قبل ، فذاك مما يوضع له موائد فى حظائر القدس^(٢) . وفقير يسأل ، وإن أعطى قبل قدر الكفاية ، فكفارته صدقة .

وقيل لحبيب العجمى : لم تركت التجارة ؟ فقال : وجدت الكفيل ثقة . وقيل : كان فى الزمن الأول رجل فى سفر ومعه قرص ، فقال : إن أكلت مت .

(١) وفى نسخة « من مصر » .

(٢) أى الطهر .

فوكّل الله تعالى به ملكا ، وقال : إن أكله فارزقه ، وإن لم يأكله فلا تعطه غيره .. فلم يزل القرص معه حتى مات ، ولم يأكل ، وبقي عنده القرص .

وقيل : من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما نزع العروس إلى أهلها ، والفرق بين التضييع والتفويض : أن التضييع في حق الله تعالى ، وذلك مذموم ، والتفويض في حقك ، وهو محمود .

وقال عبد الله بن المبارك : من أخذ فلساً من حرام فليس بمتوكل .

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي ، رحمه الله ، يقول سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول : سمعت علياً بن محمد المصري يقول : سمعت أبا سعيد الخزاز يقول : دخلت لبادية مرة بغير زاد ، فأصابتنى فاقة ، فرأيت المرحلة^(١) من بعيد ، فسررت بأنى وصلت ، ثم فكرت في نفسي : أنى سكنت واتكلت على غيره ، فأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة ، وداريت جسدي فيها إلى صدى ، فسمعوا صوتاً في نصف الليل عالياً ، يقول :

يا أهل المرحلة ، إن الله تعالى ولياً ، حيس نفسه في هذا الرمل ، فألحقوه .

فجاءني جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت محمد بن الحسين المخزومي يقول : سمعت ابن المالكي يقول : قال أبو حمزة الخراساني :

حججت سنة من السنين ، فبينما أنا أمشى في الطريق ، إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث ، فقلت : لا والله ، لا أستغيث فما استتمت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان : فقال أحدهما للآخر : تعالى حتى نسد رأس هذه البئر ، لئلا يقع فيها أحد .. فأتوا : بقصب وبارية^(٢) ، وطمعو^(٣) رأس البئر ، فهممت أن أصبح ثم قلت في نفسي : أصبح^(٤) إلى من هو أقرب منها !! وسكنت ، فبينما أنا بعد ساعة ، إذ أنا بشيء جاء .. وكشف عن رأس البئر ، وأدلى رجله ، وكأنه يقول لى : تعلق بى ، فى ههمة^(٥) له كنت أعرف ذلك منه ، فتعلقت به ..

(١) أى نهاية المرحلة أى القرية .

(٢) بارية حصير خشن .

(٣) طم البئر بالتراب أى : ملأها حتى استوت مع الأرض .

(٤) وفى نسخة أشكو .

(٥) وفى نسخة بهمة .

فأخرجني ، فإذا هو سبع ، فمر^(١) وهتف بي هاتف : يا أبا حمزة ، أليس هذا أحسن !! نجيناك من التلف بالتلف^(٢) فمشيت وأنا أقول :

أهابك أن أبدى إليك الذى أخفى
وسرى يبدى ما يقول له طرفي^(٣)
نهانى حيايى منك أن أكنم الهوى
وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى . فأبدت شاهدى^(٤)
إلى غائبى^(٥) والطف يدرك بالطف
تراءيت لى بالغيب ، حتى كأننا
تبشرنى فى الغيب أنك فى الكف
أراك وبى من هيبتى لك وحشة
فتؤنسنى بالطف منك وبالعطف
وتحميى محبا أنت فى الحب حتفه
وذا عجب كون الحياة مع الحتف^(٦)

سمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا سعدان التاهرتى يقول : سمعت حذيفة المرعشى يقول ، وكان قد خدم إبراهيم بن أدهم ، وصحبه ، فقيل له : ما أعجب ما رأيت منه ؟ فقال :

بقينا فى طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً ، ثم دخلنا الكوفة ، فأوينا إلى مسجد خراب ، فنظر إلى إبراهيم بن أدهم ، وقال : يا حذيفة ، أرى بك أثر الجوع !! فقلت : هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة ، وقرطاس .

فجئت به ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أنت المقصود إليه بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى :

(١) وأى جاووزى .

(٢) وفى نسخة « نجيناك بالتلف من التلف » أى خلصناك بسبب التلف من سبب التلف أى خلصناك بالبيع من تغطية البشر .

(٣) وبعض النسخ سقط فيها هذا البيت الأول .

(٤) حاضر الحاضر .

(٥) حال الغائب عني .

(٦) الموت .

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا نائع^(١) أنا عارى
 هى ستة وأنا الضمين لنصفها فكُن الضمين لنصفها يابارى^(٢) .
 مدحى لغيرك هب^(٣) نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار^(٤)
 والنار عندي كالسؤال فهل ترى أن لا تكلفنى دخول النار^(٥)
 ثم دفع إلى الرقعة : قال :

اخرج ، ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى ، وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك .
 قال : فخرجت .. فأول من لقينى رجل كان على بغلة ، فدفعتها إليه ، فأخذها وبكى ،
 وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت : هو فى المسجد القلانى .
 فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار .

ثم لقيت رجلاً آخر ، فقلت له : من صاحب هذه البغلة ؟ فقال لى : هو نصرانى فجنّت إلى
 ابراهيم بن أدهم ، وأخبرته بالقصة ، فقال :
 لا تمسها^(٦) ، فإنه يجيء الساعة .

فلما كان بعد ساعة ، وافى النصرانى ، وأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم :

(١) عطشان .

(٢) وفى نسخة يا جارى أى يا قريباً .

(٣) وفى نسخة وهج .

(٤) أى . من مدح غيرك .

(٥) وسقط هذا البيت الأخير فى بعض النسخ .

(٦) أى المصرة .

باب الشكر

قال الله عز وجل : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۝ ﴾^(١)

وحدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي قال : أخبرنا أبو الحسن الصفار ، قال حدثنا الإسقاطي قال : حدثنا منجاب قال : حدثنا يحيى بن يعلى ، عن أبي خباب ، عن عطاء ، قال :

دخلت على عائشة ، رضى الله عنها ، مع عبيد بن عمير ، فقلت :

أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ .

فبكت ، وقالت :

وأى شأنه لم يكن عجباً ؟ .. إنه أتاني في ليلة .. فدخل معي في فراشي ، أو قالت : في لحافى : حتى مس جلدى ، ثم قال : يا بنت أبى بكر ، نرينى أتعبد لربى .

قالت : قلت : إني أحب قربك^(٢) فأذنت له فقام إلى قربة من ماء . فتوضأ . وأكثر صب الماء .. ثم قام يصلى . فبكى ، حتى سالت دموعه على صدره .. ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى .. فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه^(٣) بالصلاة .

فقلت له : يا رسول الله ، ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ ولم لا أفعل : وقد أنزل الله على : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... الْآيَةَ ۝ ﴾ .

قال الأستاذ :

حقيقة الشكر عند أهل التحقيق : الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ، وعلى هذا القول : يوصف الحق سبحانه ، بأنه : شكور ، توسعاً^(٤) ، ومعناه : أنه يجازى العباد على

(١) آية ٧ من سورة إبراهيم .

(٢) في ابن كثير : إني أحب قربك وأحب أن تعبد ربك والحديث رواه ابن مردويه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه وابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار ..

(٣) أعلمه .

(٤) وفي نسخة « فوصف الحق بأنه شكور توسعاً » .

الشكر ، فسمى جزاء الشكر شكراً ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾^(١) .

وقيل : شكره تعالى : إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير ، من قولهم : دابة شكور : إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف .

ويحتمل أن يقال : حقيقة الشكر : الثناء على المحسن بذكر إحسانه فشكر العبد لله تعالى : ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه ، وشكر الحق ، سبحانه ، للعبد : ثناؤه عليه بذكر إحسانه^(٢) له ، ثم إن إحسان العبد : طاعته لله تعالى ، وإحسان الحق : إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له ، وشكر العبد على الحقيقة ، إنما هو : نطق اللسان ، وإقرار القلب بإنعام الرب . والشكر ينقسم إلى :

شكر باللسان : وهو اعترافه بالنعم بنعت الاستكانة .

وشكر بالبدن والأركان : وهو اتصاف بالوفاء والخدمة .

وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة .

ويقال : شكر هو شكر العالمين ، يكون من جملة أقوالهم .

وشكر : هو نعت العابدين ، يكون نوعاً من أفعالهم .

وشكر : هو شكر العارفين ، يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم .

وقال أبو بكر الوراق : شكر النعمة مشاهدة^(٣) المنة ، وحفظ الحرمة^(٤) .

قال حمدون القصار شكر النعمة : أن ترى نفسك فيه طفيلياً .

وقال الجعدي : الشكر فيه علة ، لأنه^(٥) طالب لنفسه المزيد ، فهو واقف مع الله ، سبحانه ، على حظ نفسه .

وقال أبو عثمان : الشكر : معرفة العجز عن الشكر .

ويقال : الشكر على الشكر أتم من الشكر ، وذلك بأن ترى شكرك بتوفيقه ، ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك ، فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر ، إلا ما لا يتناهى .

وقيل : الشكر : إضافة النعم إلى مولئها بنعت الاستكانة .

(٤) أى معرفة قدرها .

(٥) أى الشاكر .

(١) آية ٤٠ من سورة الشورى .

(٢) طاعته .

(٣) أى معرفة .

وقال الجنيد : الشكر : أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة .

وقال روم : الشكر : استفراغ الطاقة^(١) .

وقيل : الشاكر : الذى يشكر على الموجود ، والشكور : الذى يشكر على المفقود .

ويقال : الشاكر : الذى يشكر على الرشد^(٢) ، والشكور : الذى يشكر على الرد .

ويقال الشاكر : الذى يشكر على النفع ، والشكور : الذى يشكر على المنع .

ويقال : الشاكر : الذى يشكر على العطاء ، والشكور : الذى يشكر على البلاء .

ويقال : الشاكر : الذى يشكر عند البذل ، والشكور : الذى يشكر عند المظل .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت الأستاذ أبا سهل

الصلوكمي يقول : سمعت المرتعش يقول : سمعت الجنيد يقول :

كنت بين يدي السرى ألعب ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر ،

فقال لى : يا غلام ، ما الشكر ؟ فقلت : ألا تعصى الله بنعمه .

فقال : يوشك أن يكون حظك من الله لسانك .

قال الجنيد ، رحمه الله ، فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى .

وقال الشبلى : الشكر : رؤية المنعم ، لا رؤية النعمة .

وقيل الشكر : قيد^(٣) الموجود ، وصيد المفقود .

وقال أبو عثمان : شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخواص على ما يرد على

قلوبهم من المعافى .

وقيل : قال داود ، عليه السلام ، إلهى ، كيف أشكرك ، وشكرى لك نعمة من عندك ؟ .

فأوحى الله إليه : الآن قد شكرتني .

وقيل : قال موسى عليه السلام في مناجاته :

إلهى ، خلقت آدم بيدك ، وفعلت .. وفعلت . فكيف شكرك ؟ .

فقال : علم أن ذلك منى ، فكانت معرفته بذلك شكره لى .

وقيل . كان لبعضهم صديق ، فحبسه السلطان ، فأرسل إليه ، فقال له صاحبه :

(٣) أى حفظ .

(١) استفراغ الطاقة في الشكر .

(٢) العطاء .

اشكر الله تعالى ، فضرب الرجل ، فكتب إليه ، فقال :

اشكر الله تعالى ، فجىء بمجوسى مبطون ، وقيد ، وجعلت حلقة من قيده على^(١) رجل هذا وحلقة على رجل المجوسى ، فكان يقوم المجوسى بالليل مرات وهذا يحتاج أن يقوم على رأسه حتى يفرغ ، فكتب إلى صاحبه ، فقال :

اشكر الله تعالى فقال : إلى متى تقول ، وأى بلاء فوق هذا ؟ .

فقال له صاحبه : لو وضع الزنار الذى فى وسطه فى وسطك ، كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك ، ماذا كنت تصنع ؟ .

وقيل : دخل رجل على سهل بن عبد الله ، فقال له : إن اللص دخل دارى ، وأخذ متاعى !! فقال له اشكر الله تعالى ، لو دخل اللص قلبك - وهو الشيطان - وأفسد التوحيد ، ماذا كنت تصنع !.

وقيل : شكر العينين : أن تستر عيبا تراه بصاحبك . وشكر الأذنين : أن تستر عيباً تسمعه فيه .

وقيل : الشكر : التلذذ بشئائه على ما لم يستوجبه عن عطائه .

سمعت السلمى يقول : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت الحسن بن يحيى يقول : سمعت جعفرأ يقول سمعت الجنيد يقول : كان السرى إذا أراد أن ينفعنى يسألنى ، فقال لى يوماً : يا أبا القاسم ، ما الشكر ! فقلت له : أن لا يستعان بشئ من نعم الله ، تعالى ، على معاصيه .

فقال : من أين لك هذا ! فقلت : من مجالستك .

وقيل : التزم الحسن بن على الركن وقال : إلهى . نعمتى فلم تجدى شاكراً !.

وابتليتى فلم تجدى صابراً ، فلا أنت سلبت النعمة بتركى الشكر ولا أدمت الشدة بتركى الصبر ، إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر .

وقيل : أربعة لا ثمرة لأعمالهم :

مسارة الأسم ، وواضع النعمة عند من لا يشكر ، والباذر في السبخة ، والمسرج في الشمس .

وقيل : لما بُشِّر إدريس ، عليه السلام ، بالمغفرة سأل الحياة^(١) ، ف قيل له فيه ، فقال لأشكره فإني كنت أعمل قبله للمغفرة ، فبسط الملك جناحه وحمله عليه إلى السماء .
وقيل ، مر بعض الأنبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير ، فتعجب منه ، فأنتطقه الله معه ، فقال : مذ سمعت الله ، تعالى يقول : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾^(٢) وأنا أبكي من خوفه قال ، فدعا ذلك النبي أن يجير الله ذلك الحجر ، فأوحى الله تعالى إليه أني قد أجرته من النار ، فمر ذلك النبي ، فلما عاد وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك ، فعجب منه فأنتطق الله ذلك الحجر معه ، فقال له لم تبكي ، وقد غفر الله لك ؟ فقال : ذلك كان بكاء الحزن والخوف ، وهذا بكاء الشكر والسرور .

عقيل : الشاكر مع^(٣) المزيد ، لأنه في شهود النعمة^(٤) ، قال الله تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾^(٥) والصابر مع الله تعالى ، لأنه بشهود المبتلى^(٦) ، قال الله سبحانه : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ :

وقيل : قدم وفد على عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، وكان فيهم شاب .. فأخذ يخطب ، فقال عمر : الكبر . الكبر . فقال له الشاب : يا أمير المؤمنين ، لو كان الأمر بالسِّنِّ ، لكان في المسلمين من هو أسنُّ منك !! فقال : تكلم فقال :

لسنا وفد الرغبة ، ولا وفد الرهبة . أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك . فقال له : فمن أنتم ؟ فقال : وفد الشكر ، جئناك نشكرك وننصرف . وأنشدوا :

ومن الرزية أن شكرى صامت عما فعلت وأن برك ناطق
أرى الصنيعة منك ثم أسرها^(٧) إني إذن ليد^(٨) الكريم لسارق

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : ارحم عبادي : المبتلى ، والمعاق . فقال : ما بال المعاق ؟ فقال : لقلّة شكرهم على عافيتي إياهم .

(٥) آية ٧ من سورة إبراهيم .

(٦) وفي نسخة « المبتلى له » .

(٧) أخفيها .

(٨) لنعمته .

(١) إيطالتها .

(٢) من آية ٦ سورة التحريم .

(٣) أى كائن .

(٤) أى حضورها .

وقيل : الحمد على الأنفاس ، والشكر على نعم الحواس .

وقيل الحمد : ابتداء منه ، والشكر : اقتداء منك .

وفى الخبر الصحيح : « أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله على كل حال » :

وقيل : الحمد .. على ما دفع ، والشكر : على ما صنع .

وحكى عن بعضهم أنه قال : رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن ، فسألته عن حاله ، فقال : إني كنت في ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى ، وهى كذلك كانت تهوانى ، فاتفق أنها زوجت منى ، فليلة زفافها قلنا : تعال : حتى نحىي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ، ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمئذ سبعين ، أو ثمانين سنة ، نحن على تلك الصفة كل ليلة : أليس كذلك يا فلانة ، فقالت العجوز : كما يقول الشيخ .

باب اليقين

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(١) .

حدثنا الاستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي بها قال : حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال : حدثنا خالد ، يعني « ابن زيد » قال . حدثنا سفيان الثوري ، وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة ، عن سليمان التيمي ، عن خيثمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ أنه قال :

« لا ترضين أحداً بسخط الله تعالى ، ولا تحمدن أحداً على فضل الله عز وجل ، ولا تظن أحداً على ما لم يؤتك الله تعالى ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره ، وإن الله تعالى - بعدله وقسطه - ، جعل الروح^(٢) والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط^(٣) » .

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي قال : حدثنا عياش بن حمزة قال : حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، قال : قال أبو عبد الله الأنطاكي :

إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نورا ، وينفى عنه كل ريب ، ويمتلئ القلب به شكراً ، ومن الله تعالى خوفاً .

ويحكى عن أبي جعفر الحداد قال : رأى أبو تراب النخشي ، وأنا في البادية جالس على بركة ماء ، ولي ستة عشر يوماً لم أكل ولم أشرب فقال لي : ما جلوسك ؟ فقلت : أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يغلب فأكون معه ، يعني « إن غلب على العلم شربت ، وإن غلب اليقين مررت » فقال لي : سيكون لك شأن .

وقال أبو عثمان الحيري اليقين : قلة الاهتمام لغد .

(١) آية ٤ من سورة البقرة .

(٢) أى الراحة .

(٣) رواه القضاى في المسند بسند ضعيف .

وقال سهل بن عبد الله : اليقين : من زيادة الإيمان ، ومن تحقيقه .

وقال سهل أيضا : اليقين : شعبة من الإيمان ، وهو دون التصديق .

وقال بعضهم : اليقين : هو العلم المستودع في القلوب ، يشير هذا القائل إلى أنه غير مكتسب .

وقال سهل : ابتداء اليقين : المكاشفة ، ولذلك قال بعض السلف : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، ثم المعاينة والمشاهدة .

وقال أبو عبد الله بن خفيف : اليقين تحقق الأسرار بأحكام المغيبات .

وقال أبو بكر بن طاهر : العلم : بمعارضة الشكوك ، واليقين : لاشك فيه ، أشار إلى العلم الكسبي وما يجرى مجرى البديهي ، وكذلك علوم القوم في الابتداء كسبي ، وفي الانتهاء بديهي .

سمعت محمد بن الحسين يقول : قال بعضهم : أول المقامات^(١) . المعرفة ، ثم اليقين ، ثم التصديق ، ثم الإخلاص ، ثم الشهادة^(٢) ، ثم الطاعة ، والإيمان اسم يجمع هذا كله ، أشار هذا القائل إلى أن أول الواجبات ، هو المعرفة بالله سبحانه ، والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها ، وهو النظر الصائب ، ثم إذا توالى الأدلة ، وحصل البيان ، صار بتوالي الأنوار ، وحصول الاستبصار ، كالمستغنى عن تأمل البرهان وهو حال اليقين ، ثم تصديق الحق ، سبحانه ، فيما أخبر عند إصفائه إلى إجابة الداعي فيما يخبر من أفعاله ، سبحانه في المستأنف^(٣) ، لأن التصديق إنما يكون في الإخبار ثم الإخلاص فيما يتعقبه من أداء الأوامر ، ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة ، ثم أداء الطاعات بالتوحيد فيها أمر به ، والتجرد عما زجر عنه .

وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو بكر محمد بن فورك ، فيما سمعته ، يقول ذكر اللسان فضيلة يفيض بها^(٤) القلب .

وقال سهل بن عبد الله : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله تعالى :

وقال ذو النون المصري : اليقين داع إلى قصر الأمل ، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد ، والزهد يورث الحكمة ، والحكمة تورث النظر في العواقب .

(٣) المستقبل .

(٤) في نسخة . عليها .

(١) درجات الإيمان .

(٢) أى الإقرار باللسان مع الشكر .

وسمعت محمد بن الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت
ذا النون المصري يقول :

ثلاثة من أعلام اليقين :

قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك المدح لهم في العطية ، والتنزه عن ذمهم عند المنع :
وثلاثة من أعلام يقين اليقين .

النظر إلى الله تعالى في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال .
وقال الجنيد ، رحمه الله اليقين : هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في
القلب .

وقال ابن عطاء : على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين .
وأصل التقوى : مباينة النهي ، ومباينة النهي مباينة النفس ، فعلى قدر مفارقتهم النفس
وصلوا إلى اليقين .

وقال بعضهم : اليقين : هو المكاشفة ، والمكاشفة على ثلاثة أوجه :

مكاشفة بالإخبار ، ومكاشفة بإظهار القدرة ، ومكاشفة بحقائق الإيمان .

واعلم أن المكاشفة في كلامهم ، عبارة ، عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير
بقاء للريب ، وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائي بين اليقظة والنوم ، وكثيراً
ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة بـ « الثبات » .

سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول : سألت أبا عثمان المغربي ، فقلت : ما هذا الذي
تقول ؟ .

قال الأشخاص أراهم كذا .. وكذا ، فقلت : تراهم معاينة أو مكاشفة فقال : مكاشفة .

وقال عامر بن عبد قيس : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

وقيل : اليقين : رؤية العيان بقوة الإيمان .

وقيل : اليقين : زوال المعارضات .

وقال الجنيد ، رحمه الله ، اليقين : ارتفاع الريب في مشهد الغيب .

سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ، يقول ، في قول النبي ﷺ ، في عيسى ابن مريم عليه
السلام : « لو ازداد يقيناً لمشي في الهواء كما مشيت فيه » .

قال رحمه الله : أنه أشار بهذا إلى حال نفسه ، ﷺ ، ليلة المعراج ، لأن في لطائف المعراج
أنه ، ﷺ ، قال : « رأيت البراق قد بقي ومشيت » .

سمعت محمد الحسين ، رحمه الله ، يقول : سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول : سمعت إبراهيم بن فاثك يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت السريُّ يقول ، وقد سئل عن اليقين ، فقال :

اليقين : سكونك عند جولان الموارد في صدرك ، لتبينك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضيا .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن علي يقول : سمعت أبا جعفر الأصبهاني يقول : سمعت علي بن سهل يقول : الحضور أفضل من اليقين ، لأن الحضور وطمأنينة^(١) ، واليقين خطرات .

كانه جعل اليقين ابتداء الحضور ، والحضور دوام ذلك . فكأنه جَوَّز حصول اليقين خالياً من الحضور ، وأحال جواز الحضور بلا يقين ، ولهذا قال النوري : اليقين : المشاهدة . يعني أن في المشاهدة يقيناً لاشك فيه ، لأنه لا يشاهده ، تعالى من لا يثق بما منه .

وقال أبو بكر الوراق : اليقين : ملاك القلب ، وبه كمال الإيمان ، وباليقين عرف الله تعالى ، وبالعقل عقل عن الله تعالى .

وقال الجنيد : قد مشى رجال باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً . سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول : سمعت جعفرًا يقول : قال إبراهيم الخواص :

لقيت غلاماً في التيه^(٢) ، كأنه سبيكة فضة ، فقلت : إلى أين يا غلام ؟ فقال : إلى مكة : فقلت : بلا زاد ، ولا راحلة ، ولا نفقة ! فقال لي : ياضعيف اليقين ، الذي يقدر على حفظ السموات والأرضين لا يقدر أن يوصلني إلى مكة بلا علاقة^(٣) قال : فلما دخلت مكة إذا أنا به في الطواف وهو يقول :

ياعين سحى أبدا يا نفس موق كمد
ولا تحبى أحداً إلا الجليل الصمد

فلما رآني قال لي : ياشيخ ، أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين ؟! .
وسمعته يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت النهر جوري يقول : إذا استكمل

(١) من توطن : أى أقام واستوطن .

(٢) التيه : الصحراء التى يتاه فيها .

(٣) العلاقة : ما يتبلغ به العيش ، قال ذلك لقوة يقينه ، ولطف ربه ، وإن كانت السنة حمل الزاد في السفر ، ولا يدل حمله على ضعف اليقين مطلقاً ، فإن الانبياء والأئمة حملوه في السفر ، لكنهم لم يعتمدوا عليه وإنما اعتمدوا على ربه .

العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة ، والرخاء مصيبة .

وقال أبو بكر الوراق : اليقين على ثلاثة أوجه :

يقين خبر ، ويقين دلالة ، ويقين مشاهدة .

وقال أبو تراب النخشبى : رأيت غلاماً فى البادية يمشى بلا زاد ، فقلت : إن لم يكن معه يقين فقد هلك ، فقلت : يا غلام ، فى مثل هذا الموضع بلا زاد ؟ فقال : يا شيخ ارفع رأسك هل ترى غير الله عز وجل ؟ فقلت : الآن اذهب حيث شئت .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا نصر الاصبهاني يقول سمعت محمد بن عيسى يقول : قال أبو سعيد الخراز : العلم ما استعملك^(١) واليقين : ما حملك^(٢) .

وسمعته يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت أبا عثمان الآدمى يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول : طلبت المعاش لأكل الحلال فاصطدت السمك ، فيوماً وقعت فى الشبكة سمكة ، فأخرجتها ، وطرحت الشبكة فى الماء فوقعت أخرى فيها ، فرميت بها ثم عدت ، فهتف بى هاتف لم تجد معاشاً إلا أن تأتى من يذكرنا فتقتلهم !..
قال : فكسرتُ القبضة ، وتركت الاصطياد^(٣) .

(١) أى ما قادك إلى العمل .

(٢) أى بعثك على الجدى فى طاعة الله والرضا بقضائه .

(٣) يقول الشيخ زكريا الأنصارى : « ليس ذلك إنكاراً للاصطياد ، ولا لطلب الحلال ، بل عادة الله تعالى أن يؤدب أوليائه بخواطر ينيهم بها على أنهم لا يسكنون إلى غيره تعالى ، فعنى علم تعالى من أحدهم سكونا إلى غيره نبيه ليرجع إليه ويعتمد عليه دون الأسباب » .

باب الصبر

قال الله ، عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾^(١) .

وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازي ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد البصري ، قال : حدثنا أحمد ابن علي الخراز قال : حدثنا أسيد بن زيد قال : حدثنا مسعود بن سعد ، عن الزيات ، عن أبي هريرة ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، رفعت^(٢) ، قال رسول الله ﷺ : « إن الصبر عند الصدمة الأولى »^(٣) .

وأخبرنا علي بن أحمد قال : أخبرنا أحمد بن عبيد قال : حدثنا أحمد بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن مرداس قال : حدثنا يوسف بن عطية ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الصبر عند الصدمة الأولى »^(٤) . ثم الصبر على أقسام :

صبر على ما هو كسب للعبد ، وصبر على ما ليس بكسب له .

فالصبر على المكتسب ، على قسمين :

صبر على ما أمر الله تعالى به ، وصبر على ما نهى عنه .

وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد : فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول : سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر ابن محمد يقول : سمعت الجنيد يقول : المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن ، وهجران الخلق في جنب^(٥) الله تعالى شديد ، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد ، والصبر مع الله أشد .

وسئل الجنيد عن الصبر ، فقال : هو تجرع المرارة من غير تعيبس .

وقال علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

(١) (٤ ، ٣) متفق عليه .

(٥) أى فى طاعته .

(١) آية ١٢٧ من سورة النحل .

(٢) أى إلى النبى ﷺ .

وقال أبو القاسم الحكيم : قوله تعالى : « واصبر » أمر بالعبادة ، وقوله « وما صبرك إلا بالله » عبودية ، فمن ترقى من درجة « لك »^(١) إلى درجة « بك » ، فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية .

قال ﷺ : « بك أحيأ وبك أموت » .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، يقول : سمعت أبا جعفر الرازى يقول : سمعت عياشاً يقول : سمعت أحمد يقول : سألت أبا سليمان عن الصبر ، فقال :

والله ما نصبر على ما نحب ، فكيف على ما نكره ؟ .

وقال ذو النون : الصبر : التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة .

وقال ابن عطاء : الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقيل : هو الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى .

وقال أبو عثمان : الصبار : الذى عَوَّدَ نفسه الهجوم على المكاره .

وقيل : الصبر : المقام مع البلاء بحسن الصحبة ، كالمقام مع العافية .

وقال أبو عثمان : أحسن الجزاء على عبادة : الجزاء على الصبر ، ولا جزاء فوقه ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢) .

وقال عمرو بن عثمان : الصبر . هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى ، وتلقى بلائه بالرحب والدعة .

وقال الخوَّاص : هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

وقال يحيى بن معاذ : صبر المحيين أشد من صبر الزاهدين ، واعجباً ، كيف يصبرون ؟ وأنشدوا :

الصبر يحمد فى المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يحمد

وقال وریم . الصبر : ترك الشكوى .

(١) أشار إلى التفرقة بين الصبر لله ، والصبر بالله . فالصبر لله تشعر بالاستقلال بالفعل ، والصبر بالله تؤذن بالتبلى من المحول والقوة .

(٢) آية ٩٦ من سورة النحل .

وقال ذو النون : الصبر : هو الاستعانة بالله تعالى .

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول : الصبر كاسمه .

وانشدني الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : أنشدني أبو بكر الرازي قال : أنشدني ابن عطاء لنفسه :

سأصبر ، كي ترضى ، وأتلف حسرة
وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وقال أبو عبد الله بن خفيف : الصبر على ثلاثة أقسام ، متصبر ، وصابر ، وصبار .
وقال عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنه : الصبر مطية لا تكبو .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت علي بن عبد الله البصري يقول : وقف رجل على الشبليّ فقال : أي صبر أسد على الصابرين ؟ .

فقال : الصبر في الله عز وجلّ ، فقال : لا ، فقال : الصبر لله ، قال : لا . قال : الصبر مع الله ، قال : لا . قال : فأى شيء ؟ قال : الصبر عن الله .
قال : فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه أن تتلف .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان ، يقول : سمعت أبا محمد الجريري يقول :

الصبر : أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة ، مع سكون الخاطر فيهما ، والتصبر : هو السكون ، مع البلاء ، مع وجدان أنقال المحنة .

وأنشد بعضهم :

صبرت ولم أطلع هواك على صبري
وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر
مخافة أن يشكو ضميري صباقي
إلى دمعتي سرّاً فتجرى ولا أدري

سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق ، رحمه الله ، يقول :

فاز الصابرون بعز الدارين ، لأنهم نالوا من الله تعالى معيته : قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) .

وقيل في معنى قوله تعالى : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾^(٢) الصبر : دون المصابرة ، والمصابرة : دون المراقبة .

وقيل : اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى ، وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله .

وقيل : اصبروا في الله ، وصابروا بالله ، ورابطوا مع الله .
وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : تخلق بأخلاقى ، وإن من أخلاقى أنى أنا الصبور .

وقيل : تجرّع الصبر ، فإن قتلك قتلك شهيداً ، وإن أحيأك أحيأك عزيزاً .
وقيل : الصبر لله : عناء ، والصبر بالله : بقاء ، والصبر في الله : بلاء والصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله : جفاء .

وأنشدوا:

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الأشياء محمود

وأنشدوا :

وكيف الصبر عمن حل منى بمنزلة اليمين من الشمال
إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

وقيل : الصبر على الطلب عنوان الظفر ، والصبر في المحن علامة الفرج .

سمعت منصور بن خلف المغربي ، رحمه الله ، يقول : جُردّ واحد للسيات ، فلما ردّ إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل على يده ، وألقى من فمه دقاق الفضة على يده فستل ، فقال : كان في فمي درهمان ، وكان على حاشية الحلقة لى عين ، فلم أرد أن أصبح لرؤيته إياى .. فكنت أعض على الدرهمين .. فتكسرا في فمى .

(١) آية ٤٦ من سورة الأنفال .

(٢) آية ٢٠٠ من سورة آل عمران .

وقيل : حالك التى أنت فيها رباطك ، وما دون الله تعالى أعداؤك ، فأحسن المراقبة فى رباط حالك .

وقيل : المصابرة هى الصبر على الصبر ، حتى يستغرق الصبر فى الصبر فيعجز الصبر عن الصبر ، كما قيل :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبراً

وقيل : حبس الشبلى وقتاً فى المارستان ، فدخل عليه جماعة ، فقال : من أنتم ؟ فقالوا . أحباؤك جاءوك زائرين .

فأخذ يرميهم بالحجر ، وأخذوا يهربون .

فقال : يا كذابون ، لو كنتم أحباؤى لصبرتم على بلائى .

وفى بعض الأخبار . يعنى ما يتحمل المتحملون من أجلى .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (١) .

وقال بعضهم : كنت بمكة .. فرأيت فقيراً طاف بالبيت ، وأخرج من جيبه رقعة ، ونظر فيها ، ومر ، فلما كان بالغد ، فعل مثل ذلك ، فترقبته أياماً وهو يفعل مثل ذلك ، فيوماً من الأيام طاف ونظر فى الرقعة ، وتباعد قليلاً . وسقط ميتاً ، فأخرجت الرقعة من جيبه ، فإذا فيها :

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٢) .

وقيل : روى حدث يضرب وجه شيخ بنعله ، فقبل له . ألا تستحى !! تضرب حروجه شيخ بمثل هذا ؟ فقال : جرمه عظيم . فقبل : وماذا ؟

فقال : هذا الشيخ يدعى أنه يهوانى ، ومنذ ثلاث ما رآنى .

وقال بعضهم : دخلت بلاد الهند ، فرأيت رجلاً بفرد عين « يسمى فلانا الصبور » فسألت عن حاله ، فقبل : هذا فى عنفوان شبابه سافر صديق له ، فخرج فى وداعه ، فدمعت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى ، فقال لعينه التى لم تدمع : لم لم تدمعى على فراق صاحبي ؟ لأحرمك النظر إلى الدنيا وغمض عينه ، فعمد ستين سنة لم يفتح عينه .

(١) آية ٤٨ من سورة الطور .

(٢) آية ٤٨ من سورة الطور .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ ^(١) : الصبر الجميل : أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، لو كان الصبر والشكر بعيرين ، لم أبال أيهما ركبت .

وكان ابن شبرمة ، رحمه الله ، إذا نزل به بلاء قال : سحابة ثم تنقشع .
وفي الخبر ، أن النبي ﷺ ، سئل عن الإيمان فقال : « الصبر والسماحة » ^(٢)
أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، قال أخبرنا محمد بن أحمد بن طاهر الصوفى قال : حدثنا محمد بن على التيجانى قال : حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى قال : حدثنا موسى بن اسماعيل قال : حدثنا سويد بن حاتم قال : حدثنا عبد الله بن عبيد ، عن عمير ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان ، فقال : « الصبر والسماحة » ^(٣) .

وسئل السرى عن الصبر ، فجعل يتكلم فيه ، فذب على رجله عقرب وهى تضربه بإبرتها ضربات كثيرة ، وهو ساكن : فقيل له : لِمَ لَمْ تنحها ؟ .

فقال : استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى الصبر ، ولم أصبر .

وفى بعض الأخبار : الفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة .
وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : أنزلت بعبدى بلائى ، فدعانى ، فمأطلته بالإجابة ، فشكأنى ، فقلت : يا عبدى ، كيف أرحمك من شيء به أرحمك .

وقال ابن عيينة فى معنى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ^(٤) ، قال :

لما أخذوا برأس الأمر ^(٥) جعلناهم رؤساء ^(٦) .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : إن الصبر حده أن لا تعترض على التقدير ، فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافى الصبر ، قال الله تعالى فى قصة أيوب : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ^(٧) مع ما أخبر عنه تعالى أنه قال ﴿ مَسْنَى الضَّرِّ ﴾ ^(٨) .

(٥) أى الصبر .

(٦) أى أئمة .

(٧) آية ٤٤ من سورة ص .

(٨) آية ٨٣ من سورة الأنبياء .

(١) آية ٥ من سورة المعارج .

(٢) رواه أبو يعلى والطبرانى .

(٣) رواه أبو يعلى والطبرانى .

(٤) السجدة : ٢٤ .

وسمعه يقول : استخرج الله منه هذه المقالة : يعنى قوله : ﴿ مسنى الضر ﴾ لتكون متنفسا لضعفاء هذه الأمة .

وقال بعضهم : إنا وجدناه صابراً ، ولم يقل « صبوراً » لأنه لم يكن جميع أحواله الصبر ، بل كان فى بعض أحواله يستلذ البلاء ، ويستعذبه ، فلم يكن فى حال الاستلذاذ صابراً ، فلذلك لم يقل : « صبوراً » .

سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول : حقيقة الصبر : الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه ، مثل أيوب عليه السلام فإنه قال فى آخر بلائه : ﴿ مَسْنَى الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ﴾ فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله : ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ﴾ ولم يصرح بقوله « ارحمنى » .

واعلم أن الصبر على ضربين : صبر العابدين ، وصبر المحبين .
فصبر العابدين ، أحسنه : أن يكون محفوظاً^(١) ، وصبر المحبين أحسنه : أن يكون مرفوضاً^(٢) . وفى معناه أنشدوا :

تبين يوم البين أن اعتزامه

على الصبر من إحدى الظنون الكواذب

وفى هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا على ، رحمه الله ، يقول : أصبح يعقوب ، عليه السلام ، وقد وعد الصبر من نفسه ، فقال : « فصبر جميل أى : فشأنى صبر جميل ، ثم لم يمس حتى قال : يا أسفا على يوسف » .

(١) أى دائماً .

(٢) أى متروكاً .

باب المراقبة

قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝ ﴾^(١) .

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد ابن إسحق ، قال : حدثنا أبو عوانة يعقوب ابن إسحق ، قال : حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم ، قال : حدثنا خالد بن يزيد قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : « جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة رجل ، فقال : يا محمد ، ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والقدر : خيره وشره ، وحلوه ومره . قال : صدقت .. قال : فتعجبنا من تصديقه النبي ﷺ وهو يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . قال : صدقت . قال : فأخبرني ما الإحسان ؟ قال : الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : صدقت .. الحديث^(٢) .

قال الشيخ : هذا الذي قاله ﷺ : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » إشارة إلى حال المراقبة ، لأن المراقبة ، علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه ، فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه ، وهذا أصل كل خير له ، ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة ، فإذا حاسب نفسه على ما سلف له ، وأصلح حاله في الوقت ، ولازم طريق الحق ، وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب ، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس ، وراقب الله تعالى في عموم أحواله ، فيعلم أنه سبحانه ، عليه رقيب ، ومن قلبه قريب ، يعلم أحواله ، ويرى أفعاله ، ويسمع أقواله ، ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة ، فكيف عن حقائق القربة .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول : سمعت أبا بكر الرازى يقول : سمعت الجريري يقول : من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة .

(١) آية ٥٢ من سورة الأحزاب .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما .

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق . رحمه الله ، يقول :

كان لبعض الأمراء وزير ، وكان بين يديه يوماً ، فالتفت الى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفاً ، لا لريية ، ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم ، فاتفق أن ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الأمير أنه نظر إليهم ، فجعل ينظر إليه كذلك ، فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير ، وهو أبداً ينظر إلى جانب ، حتى توهم الأمير أن ذلك خلفه ، وحول فيه ، فهذه مراقبة مخلوق لمخلوق ، فكيف مراقبة العبد لسيدته ؟ .

سمعت بعض الفقراء يقول : كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه ، ولم يكن أكثرهم قيمة ، ولا أحسنهم صورة ، فقالوا له في ذلك ، فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره . فيوماً من الأيام كان راكباً ، ومعه الحشم ، وبالبعد منهم جبل عليه ثلج ، فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق رأسه ، فركض الغلام فرسه ، ولم يعلم القوم لماذا ركض ! فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ومعه شيء من الثلج . فقال له الأمير : ما أدراك أنى أردت الثلج ؟ فقال الغلام : لأنك نظرت إليه ، ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غير قصد صحيح فقال الأمير : إنما أخصه بإكرامى وإقبالى ، لأن لكل أحد شغلاً ، وشغله مراعاة لحظاتي ، ومراقبة أحوالى .

وقال بعضهم : من راقب الله تعالى في خواطره ، عصمه الله في جوارحه .
وسئل أبو الحسين بن هند : متى يهش الراعى غنمه بعضا الرعاية عن مراتع الهلكة ؟
فقال : إذا علم أن عليه رقيباً .

وقيل : كان ابن عمر ، رضى الله عنه ، في سفر ، فرأى غلاماً يرعى غنماً ، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ .

فقال : إنها ليست لى فقال : قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة ، فقال العبد : فأين الله !! فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة : قال ذلك العبد : فأين الله .

وقال الجنيد : من تحقق^(١) في المراقبة خاف فوت حظه من ربه عز وجل لا غير .
وكان بعض المشايخ له تلامذة .. فكان يخص واحداً منهم بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره ، فقالوا له في ذلك ، فقال : أبين لكم ذلك .. فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً ،

وقال له : إذبحه بحيث لا يراه أحد ، ودفع إلى هذا أيضا ، فمضوا ، ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره ، وجاء هذا بالطائر حيا فقال : هلا ذبحته ؟ فقال : أمرتني أن أذبحه بحيث لا يراه أحد ، فقال : لهذا أخصه بإقبالي عليه .

وقال ذو النون المصري : علامة المراقبة : إثارة ما آثر الله تعالى ، وتعظيم ما عظم الله تعالى ، وتصغير ما صغر الله تعالى .

وقال النصراباذي : الرجاء : يحركك إلى الطاعات ، والخوف : يبعدك عن المعاصي ، والمراقبة : تؤدبك إلى طرق^(١) الحقائق .

سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سألت جعفر بن نصير عن المراقبة ، فقال : مراعاة السر ، لملاحظة نظر الحق سبحانه مع كل خطوة .

وسمعت يقول : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت الجريري يقول : أمرنا هذا مبني على فصلين وهو^(٢) أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ، ويكون العلم على ظاهرك قائما . وسمعت يقول : سمعت أبا القاسم البغدادي يقول : سمعت المرتعش يقول : المراقبة : مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولقطة .

وسئل ابن عطاء ما أفضل الطاعات ؟ فقال : مراقبة الحق على دوام الأوقات .

وقال إبراهيم الخواص : المراعاة تورث المراقبة ، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى .

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى ، رحمه الله ، يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول :

أفضل ما يلزم به الإنسان نفسه في هذه الطريقة : المحاسبة ، والمراقبة وسياسة عمله بالعلم .

وسمعت يقول : سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت أبا عثمان : يقول : قال لى أبو حفص إذا جلست للناس فكُن واعظا لقلبك ولنفسك ، ولا يفرنك اجتماعهم عليك ، فإنهم يراقبون ظاهرك ، والله يراقب باطنك .

وسمعت يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول :

(١) درجات .

(٢) الأولى أن يقول : « وما » .

سمعت أبا سعيد الخراز يقول : قال لى بعض مشايخى : عليك ، بمراعاة سرك والمراقبة ، قال : فبينما أنا يوما أسير فى البادية ، إذ أنا بخشخشة خلفى ، فهالنى ذلك .. وأردت أن ألتفت فلم ألتفت .. فرأيت شيئا واقفاً على كنفى .. فأنصرف ، وأنا مراعى لسرى . ثم ألتفت ، فإذا أنا بسبع عظيم .

وقال الواسطى : أفضل الطاعات حفظ الأوقات . وهو : أن لا يطالع العبد غر حده ، ولا يراقب غير ربه ، ولا يقارن غير وقته .

* * *

انتهى الجزء الأول وبلية الجزء الثانى وأوله « باب الرضا »

فهرس محتويات الجزء الأول

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تقديم	٥	أبو حامد : أحمد بن خضروية البلخي	٦٧
مقدمة المؤلف	١٤	أبو الحسين : أحمد بن أبي الحواري	٦٨
فصل (في بيان اعتقاد هذه الطائفة		أبو حفص : عمر بن مسلمة الحداد	٦٩
في مسائل الأصول)	١٩	أبو تراب : عسكر بن حصين النخشي	٧٠
فصل (في بيان عقائدهم في مسائل		أبو محمد : عبد الله بن خبيق	٧٢
التوحيد)	٣٢	أبو علي : أحمد بن عاصم الأنطاكي	٧٣
باب (في ذكر مشايخ هذه الطريقة)	٣٤	أبو السري : منصور بن عمار	٧٤
أبو إسحق : إبراهيم بن أدهم بن منصور	٣٥	أبو صالح : حمدون بن أحمد بن	
أبو الفيض : ذو النون المصري	٣٨	عمارة القصار	٧٦
أبو علي : الفضيل بن عياض	٤٠	أبو القاسم : الجنيد بن محمد	٧٨
أبو محفوظ : معروف بن فيروز		أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الجبري	٨١
الكرخي	٤٢	أبو الحسين أحمد بن محمد النوري	٨٣
أبو الحسن : سري بن المغلس السقطي	٤٥	أبو الحسين أحمد بن يحيى الجلاء	٨٤
أبو نصر : بشر بن الحارث الحافي	٤٨	أبو محمد : رويم بن أحمد	٨٥
أبو عبد الله : الحارث المحاسبي	٥١	أبو عبد الله : محمد بن الفضل البلخي	٨٧
أبو سليمان : داود بن نصير الطائي	٥٣	أبو بكر : أحمد بن نصر الزقاق الكبير	٨٩
أبو علي : شقيق بن إبراهيم البلخي	٥٥	أبو عبد الله : عمرو بن عثمان المكي	٩٠
أبو يزيد : طيفور بن عيسى البسطامي	٥٧	سمنون بن حمزة	٩١
أبو محمد : سهل بن عبد الله التستري	٥٩	أبو عبيد البصري	٩٣
أبو سليمان : عبد الرحمن بن عطية		أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى	٩٤
الداراني	٦١	يوسف بن الحسين	٩٥
أبو عبد الرحمن : حاتم بن « الأصم »	٦٣	أبو عبد الله محمد بن علي الترمذى	٩٦
أبو زكريا : يحيى بن معاذ الرازي		أبو بكر : محمد بن عمر الوراق الترمذى	٩٧
الواعظ	٦٥		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز	٩٨	أبو الحسين بن بنان	١٢٩
أبو عبد الله : محمد بن اسماعيل المغربي . ٩٩		أبو إسحق : إبراهيم بن شيبان	
أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق	١٠٠	القرمسيني	١٣٠
أبو الحسن : علي بن سهل الأصبهاني	١٠١	أبو بكر : الحسين بن علي بن يزدانبار	١٣١
أبو محمد بن محمد بن الحسين الجريري	١٠٢	أبو سعيد بن الأعرابي	١٣٢
أبو العباس : أحمد بن محمد بن سهل بن		أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي	
عطاء الأدمي	١٠٣	النيسابوري	١٣٣
أبو إسحق إبراهيم بن أحمد الخواص ... ١٠٤		أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير	١٣٤
أبو محمد : عبد الله بن محمد الخراز	١٠٥	أبو العباس السيارى	١٣٥
أبو الحسن : بنان بن محمد الحمال	١٠٦	أبو بكر محمد بن داود الدينوري	
أبو حمزة البغدادي الزاز	١٠٧	(الدقي)	١٣٦
أبو بكر محمد بن موسى الواسطي	١٠٨	أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي	١٣٧
أبو الحسن بن الصائغ	١١٠	أبو عمرو وإسماعيل بن نجيد	١٣٨
أبو إسحق إبراهيم بن داود الرقي	١١١	أبو الحسن : علي بن أحمد بن سهل	
ممشاد الدينوري	١١٢	البوشنجي	١٣٩
خير النجاج	١١٣	أبو عبد الله : محمد بن خفيف الشيرازي	١٤٠
أبو حمزة الخراساني	١١٥	أبو الحسين : بندار بن الحسين الشيرازي . ١٤١	
أبو بكر بن جحدر الشبلي	١١٦	أبو بكر الطمستاني	١٤٢
أبو محمد : عبد الله بن محمد المرتعش ١١٨		أبو العباس : أحمد بن محمد الدينوري	١٤٣
أبو علي : أحمد بن محمد الروذباري	١١٩	أبو عثمان : سعيد بن سلام المغربي	١٤٤
أبو محمد عبد الله بن منازل	١٢٠	أبو القاسم إبراهيم بن محمد	
أبو علي محمد بن عبد الوهاب الثقفي	١٢١	النصرابادي	١٤٥
أبو الخير الأقطع	١٢٢	أبو الحسن : علي بن إبراهيم الحصري	
أبو بكر محمد بن علي الكتاني	١٢٣	البقري	١٤٦
أبو يعقوب إسحق بن محمد النهر جوري	١٢٤	أبو عبد الله بن أحمد بن عطاء الروذباري . ١٤٧	
أبو الحسن : علي بن محمد المزين	١٢٥	باب (في تفسير ألفاظ تدور	
أبو علي بن الكاتب	١٢٦	بين هذه الطائفة)	١٥٠
مظفر القرمسيني	١٢٧	الوقت	١٥١
أبو بكر : عبد الله بن طاهر الأبهري	١٢٨	المقام	١٥٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الحال	١٥٤	الروح	٢٠٥
القبض والبسط	١٥٦	السر	٢٠٦
الهيئة والأنس	١٥٩	باب التوبة	٢٠٧
التواجد والوجد والوجود	١٦١	باب المجاهدة	٢١٦
الجمع والفرق	١٦٦	باب الخلوة والعزلة	٢٢٢
جمع الجمع	١٦٨	باب التقوى	٢٢٧
الفناء والبقاء	١٧٠	باب الورع	٢٣٣
الغيبة والحضور	١٧٣	باب الزهد	٢٣٩
الصحو والسكر	١٧٦	باب الصمت	٢٤٥
الذوق والشرب	١٧٨	باب الخوف	٢٥١
المحو والإثبات	١٨٠	باب الرجاء	٣٥٩
الستر والتجلى	١٨٢	باب الحزن	٢٦٧
المحاضرة ، والمكاشفة والمشاهدة	١٨٤	باب الجوع وترك الشهوة	٢٧٠
الموائع والطوالع واللوامع	١٨٦	باب الخشوع والتواضع	٢٧٥
البوادر والهجوم	١٨٨	باب مخالفة النفس وذكر عيوبها	٢٨٣
التلوين والتمكين	١٨٩	باب الحسد	٢٨٨
القرب والبعد	١٩٢	باب الغيبة	٢٩١
الشريعة والحقيقة	١٩٥	باب القناعة	٢٩٤
النفس	١٩٦	باب التوكل	٢٩٨
الخواطر	١٩٧	باب الشكر	٣١١
علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين	١٩٩	باب اليقين	٣١٧
الوارد	٢٠٠	باب الصبر	٣٢٢
الشاهد	٢٠١	باب المراقبة	٣٢٩
النفس	٢٠٣	باب فهرس محتويات الجزء الأول	٣٣٢

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٣٨٥٦
الترقيم الدولي	ISBN 978-977-02-7746-1

١ / ٢٠١٣ / ١٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)